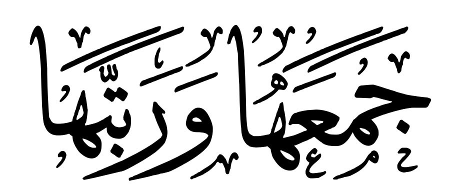




علي بن أحسن خليل الحمزي

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، نستعينه ونستهديه، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين، وبعـد:

فإن الحياة مملوءة بالمتاعب والمنغِّصات، والإنسان يُهدر كثيراً من أوقاته، ويُهدر كثيراً من طاقاته فيما لا يعنيه ولا فائدة منه، وذلك بالطبع يقضي على المنحة التي أعطاها ربنا سبحانه وتعالى من العمر الفسيح، والكنز الربيح، والنصيب الموهوب، يقول الله تعالى في ذلك: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧].

ولقد جاء الأنبياء والرسل عليهم السلام بهدف سامٍ، هو تزكية النفوس وتربيتها التربية المثالية، وإرشاد الإنسانية إلى سبل الخير والسعادة؛ فلذا عملوا على إعداد الفرد إعداداً إيمانياً كاملاً؛ لأنه كلما حسَّن علاقته بخالقه، وترسخ الإيمان بالغيب في نفسه، تحرر ذلك الإنسان من وطأة المادة التي طغت على النفوس، وحجبتها عن التطلع إلى ما يهمها.

ومنذ الخليقة الأولى والإنسان تتجاذبه قوة المادة وقوة الإيمان، ويتنازعه دعاة الغواية ودعاة الهداية، وكان الأنبياء عليهم السلام على رأس الدعاة إلى الإيمان والهداية، فقد جاؤوا لاكتشاف النفوس، وإعدادها إعداداً صحيحاً؛ لمواجهة شهوات الدنيا، ولتكون النفوس قادرة على التصرف بحكمة عند نزول الخطوب.

فذكر الله سبحانه وتعالى واستشعار عظمته من أعظم وسائل القرب منه.. ذكر الله بجميع أنواعه هو الذي يغمر قلوبنا بالرضاء والسعادة، وهو الذي يربطنا باتصال مباشر مع بارئنا سبحانه وتعالى.

والشخص عندما يرتب وقته ويستغله في النافع المفيد، وهو طريق الآخرة التي إليها المعاد، يضع له جدولاً في يومه وليله وأسبوعه وشهره وعامه. . هنا نقول: إنه بدأ يمشي في الخط المستقيم، فيكون محباً وسائراً على النهج النبوي الشريف، وعلى خطى أهل البيت عليهم السلام.

أخي القارئ الكريم .. بين يديك (دروس رمضانية)..

جهد متواضع.. عبارة عن دروس تذكيريِّة.. ألقي بعضها في المسجد خلال ليالي وأيام شهر الصوم المبارك.. بها أعظ نفسي أولاً، وأهديها لإخواني المؤمنين ثانياً؛ تعرضاً لما عند الله، وإخلاءً للمسؤولية التي على كاهلي أمام الله.

وقد طلب مني من يعزّ عليَّ إلا الامتثال أن أُخرج هذه الدروس؛ ليستفاد منها.

وبما أن الطابع العام لبعض هذه الدروس هو التذكير والإرشاد، فقد تركت أشياء ينبغي مراعاتها، مثل إسناد الأحاديث وتخاريجها إلا القليل، وكذلك أموراً غير ذلك لا تخفى.

شهر رمضان المبارك .. المدرسة المتكاملة، والتي بها كل ما يحتاج إليه المسلم في صقل شخصيته..

هذا الشهر الفضيل يحظى من جم غفير من المسلمين بالاهتمام والعناية، سواء في لياليه أو أيامه، وسواء كانوا في بيوت الله أو خارجها؛ خاصة الاهتمام والتركيز على كتاب الله القرآن المجيد، تعلماً وتعليماً، وتلاوةً وتفسيراً، واستخراج الأحكام والفوائد من آياته المباركة.

لهذا فقد اشتملت هذه الدروس على محطات قد تكون هامة فيما يتعلق بالكتاب المقدس القرآن الكريم، وإن كان بعضها موسعاً نوعاً ما.

والزيدية لها اهتمام كبير وباع طويل بتفسير كتاب الله الكريم، فلقد أورد مولانا الإمام الحجة سيد بني الرسول، وشيخ الإسلام، وقائد أهل البيت الكرام، السيد العلامة الولي، مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي عليه السلام،

في كتابه المبارك (لوامع الأنوار في جوامع العلوم والآثار، وتراجم أولي العلم والأنظار)[1] عند الحديث عن سند ومؤلفات ومرويات السيد الإمام، حافظ اليمن، وسيد بني الحسن، صارم الدين، إبراهيم بن محمد بن عبد الله الوزير رحمه الله، صاحب (الفصول) و(البسامة) و(الفلك الدوار - المسمى علوم الحديث-) وغيرها من المؤلفات- فقال مولانا مجد الدين عليه السلام نقلاً عن (الفلك الدوار): «وليس أحد من أئمتنا وعلمائنا إلا وله تفسير كامل، أو كلام على كثير من الآيات، فللقاسم عليه السلام تفسير، وللهادي عليه السلام تفسير (سبعة أجزاء) وللناصر الكبير عليه السلام تفسير، وكذلك للمرتضى، وأخيه الناصر، ولعلي بن سليمان بن القاسم، وللحسين بن القاسم، وللناصر الديلمي، وللمنصور بالله عليه السلام تفسير (الزهراوين)، ولغيرهم من علماء أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، كمحمد بن منصور من المتقدمين، وغيرهم ممن يطول ذيول الكلام بذكره من الأولين والمتأخرين.

ولقد حكى الذهبي في ترجمة الإمام العلامة محمد بن يوسف القزويني الزيدي مذهباً، أحد تلامذة القاضي عبد الجبار، أنه جمع تفسيراً كبيراً لم يسمع في التفاسير أكبر منه، ولا أجمع للفوائد، وهو (سبعمائة مجلد كبار) وأنه فسر قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ ..﴾ الآية [البقرة ١٠٢] في مجلد، والفاتحة سبعة أجزاء.

ولا أذهب بعيداً، فهناك كتاب (مفتاح السعادة) مطبوع بين أيدينا، والحمد لله رب العالمين، لمؤلفه السيد العلامة الولي الفهامة، مثال الزهد والورع، والمجتهد المطلق، كعبة المسترشدين، حلاّل المشكلات، والموضح للمبهمات، علي بن محمد العجري -رحمة الله تغشاه- بلغ ستة مجلدات كبار، مجموع صفحاته (٤٠٤٠)، آخر آية فسرها المؤلف في كتابه هذا هي الآية (١٠٦) من سورة (البقرة)، مع تفسير سورة (فاتحة الكتاب).

---

(١)- لوامع الأنوار: ٢/ ٣١٠، الطبعة الثانية.

أخي القارئ، وبما أن الحقوق والواجبات التي حددها الإسلام الحنيف كثيرة، تحدث فيها كتاب الله القرآن المجيد، وفصلتها السنة النبوية الشريفة على صاحبها وآله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

الإسلام أكد على حقوق الإنسان واحترامها، وحفظ للإنسان كرامته وحريته وأمنه واستقراره، ومن الملاحظ -أيضاً- أن الإسلام العظيم أكد على ضرورة الحفاظ على حقوق الخالق سبحانه وحقوق المخلوق في آن واحد، وجعلها مرتبطة ببعضها البعض.

والشخص الذي يحرص على بعضها ويترك البعض الآخر يعتبره الإسلام مقصراً غير ملتزم، وعاصياً لله غير مطيع، فقد نجد قسماً من الناس يُقرُّ بالله تعالى، ولكنه لا يلتزم بمقتضيات هذا الإقرار، فقد يكذب، أو يظلم، أو يسرق، أو يزني، أو يقتل ويعتدي على حقوق الآخرين، أو يخون، أو ينافق ويرائي في أعماله، أو يتكبر، أو يعق والديه، أو يقطع أرحامه، أو يتهاون بحقوق الجيران والإخوان، أو ما شابه ذلك.

ونجد قسماً يقرُّ بالله تعالى، ولكنه قد لا يصلي أو يصلي ولكنه لا يصوم، أو لا يحج، ولا يؤدي الزكاة.

فالإسلام لن يقبل الإنسان المنقسم على نفسه، الذي يكون طيباً هنا وخبيثاً هناك، هكذا هو الإسلام، الذي يصون الحياة، ويُعْلِي شأنها، ويواكب تطورها، في إطار ثابت إلى قيام الساعة.

والحقوق تنقسم إلى قسمين رئيسين:

١ـ قسم يتعلق بالخالق عزّ وجل سبحانه.

٢ـ قسم يتعلق بالمخلوق.

فأما ما يتعلق بالخالق سبحانه فيتمثل في العقيدة والعبادة والتشريع، وتوابعها. وأما ما يتعلق بالمخلوق فيتمثل في الإنسان وما يحيط به من المخلوقات الأخرى، ويستمد شرعيته من القسم الأول.

وقد اشتملت هذه الدروس على بعض هذه الحقوق، وقد طرزت برسالة للإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام حول الحقوق.

وأما الصبر -أخي القارئ- فإنه ملاك الأمور، وأسُّ الأعمال، وأساس العبادة، فقد أحلنا علمه إلى علمك ومعرفتك، فسقط من دروسنا المتواضعة هذا، وبعض هذه الدروس أدعية متمحضة ليس بينها خلط؛ فيرجى من القارئ الكريم توخي الساعة المستجابة ليلاً ونهاراً، فلعله لا ينسانا من دعائه.

وختاماً هذا جهدنا مع الاعتراف مسبقاً ولاحقاً بالتقصير، وقلة البضاعة، ولكن كما قال الله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا ءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾ [الطلاق].

نسأل الله الكريم ذا الجلال والإكرام أن يصلي على محمد وآله، وأن يجعلنا من عباده العاملين بطاعته، ومن المقبولين لديه، والفائزين برضائه، آمين آمين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

علي بن أحسن خليل الحمزي

وفقه الله تعالى

٧/ رجب/ ١٤٣٨هـ

٢١/ ٧/ ٢٠٠٧م

الدرس الأول

الموعظة الأولى[١]

الحمد لله المحمود المعبود، الصمد المقصود، ذي الكرم والجود، والعطاء الممدود، والفضل المسرود، أنت العزيز الباقي، والحافظ الواقي، لك العزة والبقاء، والجود والبهاء، والأرض والسماء، وما بينهما وما تحت الثرى، لك الأسماء الحسنى، والأمثال العليا.

إليك يفزع المجهود، تجيرُ من استجار بك، وتحفظ من لجأ إليك، وتغني من توكل عليك، وترشد من أطاعك.

والصلاة والسلام على الدليل إليك، ومفتاح الخيرات والسعادات، سيدنا وشفيعنا محمد، صلى الله عليه وعلى آله أمناء الأمة، ومصابيح الظلمة، وحشرنا الله في زمرتهم، آمين.. آمين.

ربِّ اللهم أنت أهل الوصف الجميل، والتعداد الكثير، إنْ تُؤمل فخير

---

(١) – إن معظم هذه الموعظة وكذلك التي بعدها مقتبسة من كلام الإمام الأواه نجم آل الرسول، وترجمان الدين، القاسم بن إبراهيم عليه السلام، الذي قال في وصفه وعند الحديث عنه مولانا ربّاني آل محمد، حجة الله على خلقه، المجتهد المطلق، والمجدد المحقق، صاحب الفضيلة، الولي بن الولي مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي عليه السلام، في كتابه (التحف شرح الزلف: ١٤٥-١٤٩): (والإمام أبو محمد نجم آل الرسول، وإمام المعقول والمنقول، القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن السبط صلوات الله عليهم وسلامه. قام – لما سمع بموت أخيه الإمام محمد بن إبراهيم – بمصر سنة تسع وتسعين ومائة، ولبث في دعاء الخلق إلى الله إلى سنة ست وأربعين ومائتين. ورد عن جده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما رواه أئمتنا أنه قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا فاطمة إن منك هادياً ومهدياً ومستلب الرباعيتين لو كان نبي بعدي لكان إياه)). وقيل للفقيه العالم حواري أهل البيت أبي جعفر محمد بن منصور المرادي: إن الناس يقولون: إنك لم تستكثر من القاسم بن إبراهيم، وقد طالت صحبتك له، فقال: نعم، صحبته خمساً وعشرين سنة، ولكنكم تظنون أنا كلما أردنا كلامه كلمناه، ومن كان يقدر على ذلك منا، وكنا إذا لقيناه، فكأنما أشرب حزناً لتأسفه على الأمة، وما أصيب به من الفتنة من علماء السوء وعتاة الظلمة. وروي أنه سمع صوت طنبور في جنده، فقال: والله هؤلاء لا ينتصر بهم، وتركهم. دعا إلى الله في بعض الشدائد فامتلأ البيت نوراً)) صلوات الله عليهم أجمعين.

مؤمَّل، وإن ترج فخير مرجوٍّ، وقد بسطت لي فيما لا أمدح به غيرك، ولا أثني به على أحد سواك، ولا أوجهه إلى معادن الخيبة، ومواضع الريبة، وعدلت بلساني عن مدح الآدميين، والثناء على المربوبين المخلوقين..

اللهم ولكل مُثْنٍ على من أثنى عليه مثوبةٌ من جزاء، أو عارفة من عطاء، وقد رجوتَك دليلاً على ذخائر الرحمة، وكنوز المغفرة..

اللهم وهذا مقام من أفردكَ بالتوحيد الذي هو لك، ولم ير مستحقاً لهذه المحامد والمادح غيرك، وبي فاقة إليك، لا يجبر مسكنتها إلا فضلك، ولا يُنْعِش من خَلِقِهَا إلا منّك وجودك، فهب لنا في هذا المقام رضاك، وأغننا عن مد الأيدي إلى سواك، إنك على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله.

يا أُخيَّ .. كنا صبياناً فلعبنا، فصرنا شباباً فسكرنا، فصرنا كهولا فكسلنا، فصرنا شيوخاً فعجزنا وضعفنا، فمتى نعبد الله ربنا، عطلنا الشباب بالجهالة، وأذهبنا العمر في البطالة، فأين الحجة والدلالة؟

من غفل في وقت شبابه، ندم في وقت خضابه، الشباب لا يصبر على الصواب، ويندم عند الخضاب، ما أحسن الشاب في المحراب! إلى متى العصيان؟ إلى متى متابعة الشيطان؟ إلى متى الجرأة على الرحمن؟

ألنا صَبْر على مقطعات النيران، ومجاورة الحنشان، ولباس القطران، وتهدد مالك الغضبان، وضرب الزبانية والأعوان؟! ألا بتزوّدٍ من هذا اليوم لذلك اليوم، وبتخلّصٍ من الهوان واللوم.

أيها المغرور بشبابه، والمسرور بأصحابه، والمختال في أثوابه، أما تحذر أليم عذابه، وتخاف شديد عقابه، كم من وجه صبيح، وخد مليح، وبدن صحيح، ولسان فصيح، أصبح في العذاب يصيح، بين أطباق النار لا يستريح.

كم من شاب ينتظر المشيب، عاجله الموت وأحل به النحيب، كم من مسرور بشبابه، أخذه الموت من بين أحبابه، إلى قبره وترابه.

أيها الشاب الجهول، إنك إلى التراب منقول، وعلى النعش محمول، وعن أعمالك مسئول. مالك لا ترجع؟! مالك لا تفزع؟! مالك لا تخضع؟! مالك لا تخشع؟! آه من يومٍ يقول فيه المولى: عبدي شبابَكَ فيم أبليته؟! وعمرك فيما أفنيته؟! فلا تنظر إلى الشباب وطراوته، ولا تغتر بحسنه وملاحته، ولكن انظر إلى صرعته وندامته.

ما أحسن الإياب بالشاب! وما أقبح الخضاب لمن قد شاب وما تاب! ما بقاء الشيخ في الدهر، إلا كبقاء الشمس على العصر، في وقت العصر. الشيب داعي الموت، وناعي الفوت، الشيب يؤذن بالفراق، ويخبر بالتلاق، الشيب ظاهره وقار، وباطنه انزجار، الشيب يكدر المنى، ويكثر العناء، الشيب كسل في كسل، وعلل في علل، وملل في ملل، وخلل في خلل.

أين الاستعداد؟ أين تحصيل الزاد؟ وأنت للذنوب تعتاد، وقد ناداك المناد، أين الراجع إلى الله؟ أين المشتري نفسه من الله؟ أين النادم على ذنبه؟ أين الباكي على أمسه؟ أين المستعد لرمسه؟ أين الطالب للثواب؟ أين الخائف للعذاب؟

ألا ترجعون إلى الله! ألا تُقبلون على الله! ألا تخافون من عذاب الله! ألا تطمعون في ثواب الله! ألا تقتدون بأولياء الله! ألا تتقون من الذنوب! ألا ترجعون من العيوب! ألا تندمون على ما أسلفتم! ألا تعترفون بما أقترفتم! ألا تستغفرون لما أجرمتم!!

أما آن للقلوب أن تخشع؟! أما آن للعيون أن تدمع؟! أما آن للصدور أن تجزع؟! أما آن للعاصي أن يتزعزع من الذنوب؟! أما آن للخاطئ أن يرجع من العيوب؟!

أما تعلم أيها العاصي أنه لا تخفى خافية على علام الغيوب؟! أما تعلم أنك مأخوذ مطلوب، ومتتبع محسوب، وعلى الوجه في النار مَكبُوب؟! أما تعلم أنك مفارق لكل صديق، ودمعك على خدك مسكوب؟! أما تخاف أن تصبح وأنت

عن رحمة الله محجوب؟! وعلى حرِّ الوجه إلى النار مسحوب؟! فيا له من جسد متعوب!! ودمع مسكوب!! وقلب مكروب!! وعقل مرعوب!!!

يا أُخيَّ، والآن تعالى معي لنعرف أوصاف العبد العائد إلى مولاه، وشروط التائب والراجع إليه:

شروطه: المحبة والطاعة، والإقبال والضراعة، من أراد الحبيب؟ جاء بقلب منيب، من اعترف وأقرَّ بما اقترف، واعتذر وأنصف، وبادر وعطف، وتاب وأكثر الانتحاب، وعمل بالصواب، وتبع آيات الكتاب.

أين التوبة؟ يا صاحب الحوبة، أين الاستغفار؟ يا أهل الإصرار، أين الوجل؟ يا أهل الزلل، أين الضراعة؟ يا أهل الطاعة، توبوا وأنيبوا، ولا تسوِّفوا فتخيبوا واعتذورا واستغفروا وازدجروا، وتذللوا واعترفوا واعتبروا، واخضعوا وانكسروا، واصبروا على الطاعة، تدركوا الفوز والنفاعة، ارغبوا وتقربوا، واندموا على المعاصي ولا تصروا: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴿٣١﴾﴾ [النور].

أين المؤمنون؟ أين الموحدون؟ أين ﴿الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾ [التوبة]. كيف ينامون ولا يشتاقون؟!

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. قصورها من الذهب والجوهر، والياقوت الأخضر، فيها الحور الحسان، والأكاليل والتيجان، تجري من تحتها الأنهار، لباس أهلها الحرير والسندس والعبقري، أين الراغبون؟ أين المجتهدون؟ هذه دار لا تخرب ولا يفنى شبابها، ولا تُبْلى ثيابها، هذه دار المجتهدين ما هم عنها بمخرجين، دارُ أهلها لا يَشقَون، ولا يفتقرون ولا يحزنون، ولا يمرضون ولا يموتون، ولا يهرمون ولا يحتاجون.

هيئة التائب

العزم على أن لا يعود، إلى عصيان المعبود، ويأسف على ما اقترف، ويندم على ما أسلف، ويرجع مما عرف، يندم بالقلب، على ما قدم من الذنب، يرجع إلى

اليقين، ويبكي ويستكين، يكثر الصوم، ويقل النوم. فهو مشفق من عصيانه، مطرق بين إخوانه، ظاهرٌ خشوعه، متبادر دموعه، منقطع كلامه، قليل منامه، دائم كربه، مستهام قلبه، يسيرٌ أكله، كثير شغله، صحيح قوله، لا ينقض عهده، ولا يخلف وعده، ولا يمنع رفده، يطلب خلاصه، ويعرف انتقاصه، إن طلبته وجدته في فكرته، وإن سألته خاطبك بعبرته، لا تسكن حرقته، ولا تزول رقته، ولا تكف دمعته.

من رآه انتبه من غفلته، ومن جالسه تاب من زلته، فهو حقير عند نفسه، غريب في أهل جنسه، كريم على ربه، نادم على ذنبه، ملتمس لما به، طامع في ثواب ربه، رافض لأسبابه، باكي على شبابه، كثير الوجع، عظيم الفزع، متين الورع، ظاهر خشوعه، غزيرة دموعه، صادق رجوعه، معتبرٌ مفكرٌ، شاكرٌ ذاكرٌ، خجلٌ، وجلٌ، واجدٌ، ساجد، تضيق به البلاد، ويسأم من صحبته العباد، ينتظر المعاد، ويطلب تحقيق الوداد، جهده شديد، وعمله كل يوم يزيد، وحزنه في كل نَفَس جديد، يتجرع الغصص، ولا يطلب الرخص، دائم الطلب، ملازم الكُرب، مواظب على التعب، رافض للطّرب، ظاهر الحزن والنَّصَب، ضيق الأوقات، مغتنم الساعات، قليل الالتفات، حذر من كل الجهات، ماله هدوء ولا سكون، خائف غير أمون، وجِلٌ محزون، كأنه مقيد مسجون، لونه أصفر من خدمة الرحمن، ونفسه ذائبة من خوف الهجران، نحيف البدن، خفيف المؤن، سقيم الأركان، سليم الجَنان، مستقيم اللسان، حريص على طلب الجِنان، لا تصده العوائق، ولا يُبالي بالخلائق، منقطع من العلائق، متمسك بالحقائق، فهو في الطلب حتى ينجو من التعب.

يا أخي كيف نصنع بالنفس حتى ترجع عن شر عادتها؟

إن النفس لا ترجع عن شرِّ عادتها أبداً، وليس منها إقلاع ولا رجوع، إلا بالقهر والغلبة والجهد والتضرع، فبالعلم والمعرفة والزهد تحبس النفس عن شر

عادتها حتى ترجع عن شهواتها، ولا يُدرك ذلك منها إلا بصدق الإرادة، والصبر والمعالجة، وكثرة الخوف، والعمل بالصواب، وإذا ظفرت بها حتى تردها إلى طاعة الله ورضاه، ووُفِّقت لذلك فاشكر الله، واعترف له بالطاعة إذ جعل ذلك لك بتوفيقه.

فينبغي لك من بعد ذلك أن تقلع عن الهوى، وتُصَمَّ أذنه، وتخرج التخاليط والآفات من أماكن مزرعتها، وتغلب هواك وتحذر النسيان والغفلة، ووسوسة الشيطان، وسرعة العجلة وتأخير الخير، وتحذر التواني والعجز.

واعلم يقيناً أنك لا تظفر بذلك من نفسك إلا بالقهر، وتمنعها من الرغبة، والحرص، والكبر، والرياء، والحسد، والرياسة، والبخل، وطول الأمل، والتقلب في طلب الشهوات، ومحبة الدنيا، والتصنع للناس، وحب المحمدة، وترك الغش والخيانة، وخوف الفقر، والطلب لما في أيدي الناس، ولا تنس الموتَ، واترك الغفلة والشح والسفالة والسفاهة.

فإذا نصرت على ذلك وأنفيته عن نفسك، فاشكر الله كثيراً فقد شكر سعيك، فعند ذلك تصح أعمالك، غير أن النَّفس لا تصلح حتى تكدّها، وتقهرها وتجهدها، لأنها أمَّارة بالسوء والفحشاء، وبالشر والفتنة والآفات مولعة، وهي خزانة إبليس، منها خرج وإليها يعود، وهي تزِّين لصاحبها تسعة وتسعين باباً من أبواب الطاعات والخير، لتظفر به في كمال المائة، فكيف يسد السيل العريض من لا يعرف مجراه؟! وكيف يعرف عدوه ودنيّاه وقربه من ليس يختلف إلى العلماء؟ ولا يخالط الحكماء، ولا يجالس الصالحين.

فإذا أردت النجاة فتعلم العلم من العلماء، وخذ الحكمة من الحكماء، ولا تشد على نفسك مرة وترخي عنها مرة، ولكن أقبل عليها بعزم صحيح، وورع شحيح، وصبر ثخين، وأمر متين، حتى تمنعها عن شهواتها، وترجعها عن شر عاداتها.

ثم اجمع أطرافك إلى وسطك ـ أعني إلى قلبك ـ وهو أن تحكِّم القلبَ على الجوارح، ولا تُحكِّم الجوارحَ على القلب، ولا يتم لك عمل ولا يخلص لك إلا

بهذه الصفة.

فالعين تغمضها عن الحرام، فإنها جاسوس القلب، ثم الأذنان تمنعهما أن يوعيا الشر والخَنَا والنمائم والكذب، ثم اللسان خاصة، نزهه عن الكذب والغيبة والمجادلة والفضول والمقاولة والشبهات، فإنه معدن قرارة النفس، وهو ترجمان القلب. ثم البطن فاحفظه لا يدخله الحرام والسحت والشبهة والشهوات، فإن نور القلب وصفاه من طيب طعمة البدن. وأما الفرج فما دمت حابساً لبطنك من الامتلاء والشبع، فأنت قادر على حفظه.

يا أُخَيَّ.. من كمال العزم قلة التسويف، ولزوم الصدق، وتمام النية، ومن تمام النية إخلاص العمل..

إن الإنسان الذي هو في صلاته قد يكون في طهارته محكماً، وفي ركوعه وسجوده محكماً، فظاهره طاهر، وباطنه محشو من الآفات والتخاليط، فمن خلَّط فقد اغتر واستعبده الهوى، وزين له شيطانه، وخيلت إليه نفسه الكذب صدقا، والباطل حقا، ولم يستحق اسم الإخلاصِ.

ولو أن مؤمنا بلغ من كرامته عند الله أن يطير في الهواء، لم يزده ذلك إلا شدة وخوفاً واجتهاداً، وما ازداد إلاَّ خشية، ولا ازداد إلا عبادة وهيبة، وما جعل الله للخالص إلى الرخصة سبيلا، فمن كان لله أعرف، فهو له أخوف.

فينبغي لمن أراد الإخلاص في عمله، ألاَّ تسكن روعته، ويكون خائفاً وجلاً حزيناً، وهذا إذا كان الخوف والحزن وافقهما القبول من الله عز وجل، كان الخوف والحزن معدن للصفا، ومخ الإخلاص وبنيانه.

والله أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، فإذا علم من قلبك صحة الإرادة، وإخلاص العمل، أوصلك إلى الخيرات، وهدى قلبك، ويسر أمرك، وجمع شملك، وهوّن عليك الصعوبة، وقمع عنك الشهوات، وبغَّض إليك الدنيا، وبصرك عيوبها، وصار عملك الصالح واجتهادك تلذذاً وحلاوة، وقَبِلَ اللهُ سعيك، وشكر عملك.

ولقد قال مولانا وحجة عصرنا وسيد بني الرسول الأمين، الإمام مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي عليه السلام في كتابه (لوامع الأنوار)[١] وذلك خلال الحديث عن سيرة وليّ الله، عبّادة اليمن، إبراهيم بن أحمد الكينعي رضي الله عنه:

(فإن قلت: أنى يتهيأ هذا العمل الكثير في هذا الوقت اليسير لهذا الرجل وهؤلاء السادة؟

قلت: إن ذلك يسير على من يسَّره الله عليه؛ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴿١٧﴾﴾ [محمد] ولقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١] ((والخير عادة)) قاله صلى الله عليه وآله وسلم.

وروي: أن رجلاً صالحاً من أهل صنعاء في زمان الهادي إلى الحق عليه السلام رأى النبي الخضر في جامع صنعاء، فقال له: أنت النبي الخضر؟ قال له: نعم. قال: ادع الله لي؟ فقال له: يَسَّرَ اللهُ عليكَ طاعتَه.

فقال له: زدني؟ فقال: ما أجِدُ زِيادةً.

نسأل الله ذلك بحق جلاله وعظيم سلطانه، ونتوسل بمحمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجمع الأنبياء والرسل، وأهل البيت المطهرين، وبسائر أولياء الله الصالحين، رضي الله تعالى عنهم أجمعين...

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين،،،

الدرس الثاني

الموعظة الثانية

الحمد لله حمداً دائماً مقيماً، وصلى الله على محمد وأهله وسلم تسليماً كثيراً..

يا ربي ويا كهفي حين تعييني المذاهب، ويا بادئ خلقي رحمة لي وكنت عن خلقي غنياً، ويا مقيل عثرتي ولولا سترك عورتي لكنت من المفضوحين، ويا

---

(١)- لوامع الأنوار: ٢/ ٢١٣، الطبعة الثانية.

مؤيدي بالنصر على أعدائي، ولولا نصرك لكنت من المغلوبين، ويا مرسل الرحمة من معادنها، ويا ناشر البركة من مواضعها، ويا من خص نفسه بشموخ الرفعة، فأولياته بعزه يتعززون، ويا من وضعت له الملوك نير المذلة على أعناقهم من سطواته خائفون.

أسألك باسمك الذي شقَقَته من كينونتك، وأسألك بكينونتك التي شققتها من عظمتك، وأسألك بعظمتك التي شققتها من كبريائك، وأسألك بكبريائك التي شققتها من عزتك، وأسألك بعزتك التي شققتها من اسمك الذي هو في الحجاب عندك، فلم يطّلع عليه حجابك ولا عرشك، وخلقت به خلقك فكلهم لك مذعنون.

أسألك أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد وآله، وارزقني حبك، وحب من يحبك، وحب كل عمل يقربني إلى حبك.

نستهدي الله الهدى، ونعوذ به من الضلالة والردى، فكم من ضال مغتر؟! ورَدٍ مدمر، قد غَر حياته بالأمل والمنى، وهو يرى في كل حين الموت والفناء، يتمنى من بقائه كثيرا، وقد رأى من أُخذ غريرا، مما لا يحصيه بعدٍّ، ولو جهد كل جهد، فكم رأى في غرته من مأخوذ! وميت بالعراء منبوذ!! يتخالس الطير لحمه تخالسا، وتتناهشه سباع الوحش تناهشاً، وكم سمع به من ملقًى في بحر من البحور للموت؟ يأكل لحمه من ملقى من البحر ما قاربه من حوت، وكم رأى في الثراء من ملحود؟ متناثرة أوصاله وعظامه، وقد نسيه بعد الذكر أهلوه!! وقطعه بعد مودته مواصلوه، فأغفلوا ذكره فلا يذكرونه إلا قليلا، وكلهم فقد كان له أهلا وخليلا، فكأن لم يروه قط حيا في الأحياء معهم!! ولم ينالوا منه ومن كدِّه عليهم ما نفعهم!!

فيا ويل من سقط هذا عن ضمير قلبه! وأصر مقيما على الخطيئة بعد علمه به! كيف خسر دينه ودنياه؟! وآثر ضلالته في الحياة على هداه؟! فهلك هلاك الأبد

وقد رأى في حياته منجاه، ودُل فيها على نجاته ورداه.

فنعوذ بالله لنا ولك من العماية عن الهدى، ونعتصم بالله لنا ولك من الهلكة والردى، فكم من مهديٍّ لقصده ورشده قد ضل بعد هدايته عن قصده! وكم من مستمع ومبصر لا يسمع ولا يرى؟! كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾ [الأعراف]. وقال سبحانه: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة].

يا أُخيَّ اعلم أن الأجل حثيث الفناء، ليس لأحد معه بقاء، ولا يقف من أهله على من استوقفه، ولا يغفل لمحاذرة سرعة انقطاعه مَن عرفه، وكيف يغفله عارف به، أو موقن بمعاده إلى ربه؟! مع ما يرى من مَرِّهِ وحثه، وقلة تعريجه ولبثه، فهو دائب الحث، غير ذي إبطاء ولا لبث، يقطع منه ساعاتِه الليالي والأيام، ويقطع أيامه ولياليه منه الشهور التَّوآم، وكذلك جعل الله شهوره، تقطع بمرها سنينه ودهوره، فدهره قصير، وعمره يسير، لا يطرف أحد من أهله طرفا، إلا اقترب من فناء مدته زلفا، فأنفاسه ولحظاته تطويه، وساعاته وأوقاته تفنيه، يقظان كان أو نائما، ومقيما كان أو ظاعنا.

فواعجبا لمن كان بهذا موقنا!! بل لمن ظنه وإن لم يوقن به ظنا!! كيف لعب ولها؟! فانظر إلى ما قال الله سبحانه: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين].

يا أُخيَّ فلا تغفل عن الموت والبعث كما يفعله الغافلون، فإنهم بغفلتهم بَعُدوا من النجاة والفوز والحبور، فعموا عما كان ممكنا في حياتهم من الهدى والرشاد، وشقوا فدام شقاؤهم، وأقام ندمهم وخسارتهم، ثم بكوا فلم يُرحموا، ودعوا فلم يجابوا في الدعاء﴿وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ وقال مالك بعد السنين الطوال: ﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف].

فاتقوا الله، عباد الله، فيما تَقدَّم إليكم، واحتج به عليكم، من قبل اللهف

والندم، ومن قبل الأخذ بالكظم، وانقطاع المدة، واستكمال العدة، ومن قبل التلاقي واللزام، والأخذ بالنواصي والأقدام، فكأن قد نزلت بكم نازلة الفناء، وأخرجتكم إلى دار البقاء، وكشف عنكم الغطاء، وتجرعتم سكرات الموت، وخضتم غمرات الآخرة، وأتاكم ما كنتم توعدون، وعاينتم ما كنتم تحذرون .

الدنيا دار غرور، لا يدوم فيها سرور، ولا يؤمن فيها محذور، جديدها يبلى، وخيرها يفنى، من وثق بها خدعته، ومن اطمأن إليها صرعته، ومن أكرمها أهانته، أفراحها تُعقب أحزانا، ولذاتها تُورث أشجانا.

أعمار الدنيا قصيرة، ورحاها مديرة، وسهامها قاصدة، وحتوفها راصدة، والمغرور من اغتر بها، والمخدوع من ركن إليها، من زهد فيها كُفِيها، ومن رغب عنها وطيها، قد غرت القرون الماضية، وهي على الباقين آتية، فيا بؤسا للباقين، لا يعتبرون بالماضين، يجمعون للوارثين، ويقيمون في محلة المتجبرين .

فاقنع باليسير، وبادر بالتشمير، وإياك والتغرير، وانظر إلى ما تصير، فليس الأمر بصغير، وهيئ زادك للمسير، فقد أتاك النذير، ووضح لك الطريق، فلا تحيدن عن إطاره إلى المضيق، فقد مضت الأيام، وذهبت الأعوام، وفنيت الأعمار، وأُحصيت الآثار، وعن قليل تدعى فتجيب، وتصعق فتغيب، فعجبا لقلبك كيف لا يتصدع؟! وعجبا لركنك كيف لا يتضعضع؟! وعجبا لجسمك كيف لا يتزعزع؟!

أما بعد .. فإنك لو رأيت يسير ما بقي من عمرك وأجلك، لزهدت في طول ما ترجو من أملك، ورغبت في الزيادة من عملك، فإنك إنما تُلقى غدا في حفرتك، وتُخلى في وهدتك، ويتبرَّأُ منك القريب، ويتسلى منك الحبيب، فلا أنت إلى أهلك راجع، ولا في عملك زايد شارع، فاعمل ليوم القيامة، قبل الحسرة والندامة.

فتعز يا أخي بالصبر عن الشهوات، وفكِّر فيما اقترفت على نفسك من الذنوب، وفيما قد ستر الله عليك من العيوب، أما علمت حين عصيته لم يكن

بينك وبينه، ستر يواريك منه .

أما استحييت من مولاك؟! وقد علمت أنه يراك، أما خفت العقوبة حين آثرت على تقواه هواك؟!

تأملوا قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴿١٢٣﴾﴾ [النساء]. وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴿٢٥﴾﴾ [آل عمران].

ولقد قال الشاعر:

إذا أمسى وسادي من تراب ... وبت مجاور الرب الرحيم

فهنأني أُصَيحابي وقالوا ... لك البشرى قدمت على كريم

أيها الخاطئون العاصون، أيها المفسدون، أيها المذنبون، مالكم لا تتوبون؟! مالكم لا ترجعون؟! مالكم لا تخافون؟ أمعكم صبر على النار؟ ألكم في ذلك اعتذار، ألا تخافون نار الجحيم؟! وشراب الحميم؟! وطعام الزقوم؟! ولباس القطران؟! ألا إن جهنم حرها لا يبرد، وعذابها لا ينفذ، ولهبها لا يخمد، إلى كم هذه الغفلة؟!

كم تعصون المعبود، ارجعوا إلى الله في وقت المهَل، قبل أن ينقطع الأجل ويرفع العمل، فإن الله يقبل التوبة، ويكفِّر الحوبة.

لا تُخسروا الميزان، ولا تبخسوا المكيال، لا تسيئوا الأعمال، لا تصحبوا الأنذال، لا تضيعوا الصلاة، توبوا إلى المطلع عليكم في الخلوات.

أيها الخائن بالعين والفؤاد، تب إلى الملك الجواد، قبل أن يُسلط عليك ملائكة غلاظ شداد.

أيها المؤذي للجيران، تب إلى الملك الديان، قبل سرابيل القطران .

يا صاحب الكذب والزور، تب إلى الله قبل الويل والثبور. أيها الباهت

المغتاب، تب إلى الملك الوهاب، قبل أن تذوق أليم العقاب. أيها الحالف بالأيمان، تب إلى الله قبل نزول النيران

والآن أُخَيَّ تعالَى معي لنسمع ما قاله أمير المؤمنين وقائدهم، ويعسوب المتقين وأميرهم، الإمام الأواه، أبو الأئمة الأطايب، علي بن أبي طالب عليه السلام في وصف المتقين، بعد أن طلب منه صاحبه المخلص همام، وما إن تم الوصي عليه السلام موعظته ووصفه لأولياء الله المتقين حتى سقط صاحبه مفارقاً للحياة، فقال عليه السلام: (هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها).

فقام أمير المؤمنين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال:

(أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ، لِأَنَّهُ لاَ تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ، وَلاَ تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ، فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ. فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ: مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الاقْتِصَادُ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ. غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ. نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلاَءِ كَالَّتِي نَزَلَتْ فِي الرَّخَاءِ. لَوْلاَ الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ. عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ. قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ. صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً، تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ، يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ. أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا، وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا. أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ، تَالِينَ لأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلاً، يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ، فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُو ا إِلَيْهَا طَمَعاً، وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ

إِلَيْهَا شَوْقاً، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ، وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ، فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ ، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ، وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ. وَأَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ، قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى، وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ، وَيَقُولُ: لَقَدْ خُولِطُوا! وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ! لاَ يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ، وَلاَ يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ. فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ إِذَا زُكِّيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي، وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسِي! اللَّهُمَّ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لاَ يَعْلَمُونَ. فَمِنْ عَلاَمَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ، وَحَزْماً فِي لِينٍ، وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ، وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ، وَعِلْماً فِي حِلْمٍ، وَقَصْداً فِي غِنىً، وَخُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ، وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ، وَصَبْراً فِي شِدَّةٍ، وَطَلَباً فِي حَلاَلٍ، وَنَشَاطاً فِي هُدًى، وَتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ. يَعْمَلُ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ، يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ. يَبِيتُ حَذِراً، وَيُصْبِحُ فَرِحاً، حَذِراً لَمَّا حُذِّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ. إِنِ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ. قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لاَ يَزُولُ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لاَ يَبْقَى، يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمَ، وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ. تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ، قَلِيلاً زَلَلُهُ، خَاشِعاً قَلْبُهُ، قَانِعَةً نَفْسُهُ، مَنْزُوراً أَكْلُهُ، سَهْلاً أَمْرُهُ، حَرِيزاً دِينُهُ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ، مَكْظُوماً غَيْظُهُ. الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ. إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ، وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ. يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ. بَعِيداً فُحْشُهُ، لَيِّناً قَوْلُهُ، غَائِباً مُنْكَرُهُ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ، مُدْبِراً شَرُّهُ. فِي الزَّلاَزِلِ وَقُورٌ، وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ، وَفِي الرَّخَاءِ شَكُورٌ. لاَ يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ، وَلاَ يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ. يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ. لاَ يُضَيِّعُ مَا

اسْتُحْفِظَ، وَلاَ يَنْسَى مَا ذُكِّرَ، وَلاَ يُنَابِزُ بِالأَلْقَابِ، وَلاَ يُضَارُّ بالْجَارِ، وَلاَ يَشْمَتُ بالْمَصَائِبِ، وَلاَ يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ، ولاَ يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ. إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتّى يَكُونَ اللهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ. نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ. أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ، وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ. بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزاهَةٌ، وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنَهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ، لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ، وَلاَ دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ)).



الدرس الثالث

الضامئة أكبادهم في الميزان

قال لقمان لابنه: (يا بني خُلِق الإنسان ثلاثة أثلاث: ثلث لله، وثلث لنفسه، وثلث للدود والتراب، فالذي لله روحه، والذي لنفسه عمله، والذي للدود والتراب فجسده، يا بني فالعاجز الخاسر من ينْصَبُ ويشقى للدود والتراب).

ولقد روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين الضامئة أكبادهم، وعزتي لأروينّهم اليوم، قال: فيؤتى بالصائمين فتوضع لهم الموائد، فإنهم ليأكلون والناس يحاسبون)).

الصوم من أعظم الطاعات المقربة إلى رضوان الله، وهو بحق باب العبادة، فمن فضائله أنه أخفى الأعمال وأبعدها عن الريا، وأسلمها من الآفات، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((كلُّ حسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلاّ الصوم، قال الله تعالى: «الصوم لي وأنا أجزي به»)).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لكل شيء باب، وباب العبادة الصوم)).

أخي المؤمن.. ليس لنفسك خلف، ولا لأيامك عوض، ولا لأعمالك إذا ختمت بدل، فانظر لغدك، فإن مركبك الليل والنهار يسيران بك وإن لم تسيِّرْهما، ولن يقفا بك وإن استوقفتهما، وعن قريب يحطانك منزل البلاء والبلوى، فمنه إلى دار القرار، وإما إلى دار البوار، التوبة.. التوبة قبل هجوم النوبة، وقبل أن يقتحمك الأجل فيخذلك الأمل، جهدَك.. جهدَك قبل أيام البلاء، والليلة التي تتوسد فيها على الثرى، التقمك التراب، ومن ورائك الحساب، فإما إلى نعيم الجنان، وإما إلى أليم النيران.

فواحسرتنا يوم الندامة عند صيحة القيامة، إذا قلنا: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴿٤٩﴾﴾ [الكهف].

ومن فضائل الصوم -أيضاً- يقول الرسول ﷺ: ((وكَلَ اللهُ عز وجل ملائكةً بالدعاء للصائمين)).

إن الصوم يذل النفس الأمارة بالسوء، ويكسر شهواتها العاتية؛ لأن الامتناع عن الأكل يكسر شهوة البطن وشهوة الفرج، وعند ذلك تجلى عظمة الخالق سبحانه أمام الصائم، فيكسبه الخوف والخشية والخشوع والذلة، ويمنعه من الكبر، ويُلزمه السكينة والوقار، ولذا قال الله تعالى في آخر الآية التي توجب صيام شهر رمضان: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ۝١٨٣﴾ [البقرة].

والبطن إذا امتلأ تحركت جيوش الشهوات، وطلائع الآمال.

وكل الوقت الذي يعيشه الصائم عبادة لله سبحانه في يقظته ونومه، فقد روي عن رسول الله ﷺ: ((نوم الصائم عبادة، ونفسُهُ تسبيح)) ويقول ﷺ: ((للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة يوم القيامة، ينادي المناد: أين الضامئة أكبادهم، وعزتي لأروينهم اليوم)).

وقال رسول الله ﷺ: ((الأعمال عند الله سبعةٌ: عملان موجبان، وعملان بأمثالها، وعملٌ بعشرة، وعملٌ بسبعمائةٍ، وعملٌ لا يعلم ثوابه إلا الله.

فأما الموجبان: فمن لقي الله تعالى يعبده مخلصاً لا يشرك به شيئاً وجبت له الجنة، ومن لقي الله قد أشرك به وجبت له النار، ومن عمل سيئةً جزي مثلها ومن أراد أن يعمل حسنةً ولم يعمل بها جزي مثلها، ومن عمل حسنةً جزي عشراً ومن أنفق مالاً في سبيل الله ضوعفت له نفقته الدرهم بسبعمائةٍ، والدينار بسبعمائةٍ، والصيام لله لا يعلم ثواب عامله إلا الله تبارك وتعالى)).

شهر رمضان الكريم

هو ربيع القرآن الكريم، شهر التوبة، وشهر العبادة، منحة ربانية للمؤمنين، وغنيمة باردة للموحدين، الأجر فيه مضاعف، والدعاء فيه مستجاب، وأبواب الجنة مفتحة، وأبواب النار مغلقة، شهر الرحمة، وشهر العتق من النار، فرصةُ

للمؤمن ليحاسب فيه نفسه، ويقف معها بحزم وصدق وجد.

فعلينا أن نتذكر هذه المكانة وهذه القداسة لهذا الشهر الأغر، فقد روي أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في آخر جمعة من شعبان خطب، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ((أيها الناس إنه قد أظلكم شهرٌ فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهرٍ وهو شهر رمضان، فرض الله عز وجل صيامه، وجعل قيام ليلةٍ منه بتطوع صلاةٍ كمن تطوع سبعين ليلةً فيما سواه من الشهور، وجعل لمن تطوع فيه بخصلةٍ من خصال الخير والبر كأجر من أدى فريضةً من فرائض الله عز وجل فيما سواه، ومن أدى فريضةً من فرائض الله عز وجل فيه كمن أدى سبعين فريضةً من فرائض الله عز وجل فيما سواه من الشهور، وهو شهر الصبر وإن الصبر قوامه الجنة، وهو شهر المواساة وهو شهرٌ يزيد الله تعالى فيه في رزق المؤمن.

ومن فطر فيه مؤمناً صائماً كان له عند الله عز وجل بذلك عتق رقبةٍ ومغفرةٌ لذنوبه فيما مضى، فقيل له: يا رسول الله ليس كلنا يقدر على أن يفطر صائمًا.

فقال: إن الله تعالى كريمٌ يعطي هذا الثواب من لا يقدر إلا على مذقة من لبنٍ يفطر بها صائماً، أو شربةٍ من ماءٍ عذبٍ أو تميراتٍ لا يقدر على أكثر من ذلك، ومن خفف فيه عن مملوكه خفف الله عز وجل حسابه، وهو شهرٌ أوله رحمةٌ، ووسطه مغفرةٌ، وآخره إجابةٌ وعتقٌ من النار، ولا غنى بكم عن أربع خصالٍ: خصلتان ترضون الله بهما، وخصلتان لا غنى بكم عنهما. أما اللتان ترضون الله تعالى بهما: فشهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأما اللتان لا غنى بكم عنهما: فتسألون الله فيه حوائجكم والجنة، وتسألون الله تعالى العافية وتتعوذون به من النار)).

وعن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: ((لما كانت أول ليلة من شهر رمضان، قام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ((يا أيها الناس، قد كفاكم الله عدوكم من الجن ووعدكم الإجابة، وقال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]،

ألا وقد وكل الله بكل شيطانٍ سبعة أملاك، فليس بمحلولٍ حتى ينقضي شهركم هذا، ألا وإن أبواب السماء مفتحةٌ لأولى ليلةٍ منه إلى أخرى ليلةٍ، ألا والدعاء فيه مقبولٌ)).

ثم قال: إن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شد المئزر وبرز من بيته واعتكفهن وأحيا الليل، وكان يغتسل كل ليلةٍ بين العشاءين فقلنا له: ما معنى شد المئزر؟ قال: كان يعتزل النساء فيهن.

وفي حديث آخر عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: كان رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يخطب في أول ليلة من شهر رمضان، فيقول: ((أيها الناس أبشروا فإن الله قد كفاكم عدوكم من الجن والشياطين ووعدكم الإجابة فقال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

فما منكم من أحدٍ يدعو دعوةً إلا استجيب له ما لم يدعو بإثمٍ أو قطيعة رحمٍ أو يستعجل فيقول: دعوت فلم أُجَب وإنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: إذا كانت أولى ليلةٍ من رمضان صفدت مردة الشياطين حتى ينقضي وينادي منادٍ كل ليلةٍ يا باغي الخير هلم، ويا باغي الشر أقصر ولله في كل ليلةٍ عتقاء يعتقهم من النار عند كل فطرٍ، فإذا كان آخر ليلةٍ أعتق مثل ما أعتق في سائر الشهر)).

ولنتأمل قول الله تعالى في شهر التزكية والتطهير، وشهر المواساة.

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة].

قرآن كريم يتلى في الآية الأولى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ۝١٨٣﴾، وفي الثانية: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ۝١٨٤﴾، وفي الثالثة: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ۝١٨٥﴾، وفي الرابعة: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ۝١٨٦﴾.

فإذا صمنا هذا الشهر، فهل نحقق هذا الرجاء الذي رجاه الله منا؟ والرجاء في حقه تعالى، هو إرادة ذلك، إرادة التقوى، والشكر، والرشد.

وليكن على بالنا دائماً ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما قال: ((رُبَّ صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش)).

شهر رمضان فرصة العمر كما قيل، فإنه ربما لا يتكرر، فمن منا يعلم هل يأتي شهر رمضان المقبل وهو حي يرزق، بل ربما يكون قد أصبح تحت الثرى، هناك حيث الحساب ولا عمل.

فشهر رمضان فرصة للإنسان يحاسب فيها نفسه محاسبة دقيقة وصادقة، يقلب في صفحات سجلاته، فيحمد الله تعالى ويشكره كثيراً على ما كان فيها من طاعة وخير، ويتوب ويندم على ما فيها من الشين والشر، ويعزم على ألا يعود، ويجدد النشاط.

إنه فرصة لنيل الأجر العظيم، ليكسب ليلة هي عند الله خير من ألف شهر، منحة ربّانية للاستثمار في سوق عظيم من أسواق الآخرة..

عن علي عليه السلام، قال: صعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنبر فقال: ((يا أيها الناس، إن جبريل أتاني فاستقبلني ثم قال: يا محمد، من أدرك شهر رمضان فلم يُغفَر له فمات ودخل النار فأبعده الله قل: آمين، فقلت: آمين)).

ومن النعمة العظمى أن هذه المنحة والفرصة منوعة المشارب، فبالإضافة إلى الصوم، هناك الصدقات، والمواساة للمؤمنين، والتفقد لأحوال المساكين.

وهناك تلاوة القرآن الكريم، وهناك النوافل من الصلوات، وهناك ذكر الله من تسبيح وتهليل وتكبير، واستغفار ودعاء، وهناك زيارات الأرحام، وزيارات المؤمنين.

فعلينا أن ننظم وقتنا ونوزعه بين هذا وذاك، وعلى مدار الليل والنهار.

خسارة ليس لها مثيل أن ينقضي هذا الشهر الفضيل وما عملنا ما يثقل موازين حسناتنا.. خسارة كبيرة أن يذهب كل هذا الوقت المبارك بين الأكل والشرب، والنوم السبات، والحديث الذي لا ينفع.

خسارة أن ينقضي عمر الشهر الفضيل والإنسان في الشوارع والأسواق يتسكع، وفي مجالس القيل والقال يتنقل ويتربع..

صحيح أنّ نوم الصائم عبادة، ونَفَسهُ تسبيح، لكن ليس كل ساعات النهار، وبعض ساعات الليل، يكفي بزيادة ثمان ساعات للنوم.

خسارة أن نضيع ويضيع معنا أهلنا وأولادنا على حلقات اللهو والضياع، الحلقات الحالقات للدين، وللمثل العليا، وللأخلاق الحميدة، والتقاليد المحبوبة.

الإعلام بجميع مشاربه الآن يشمِّر عن ساعديه للقضاء على البقية الباقية من معالم الدين، ولذا نراهم ـ إنا لله وإنا إليه راجعون ـ يهتمون بجميع أوقات شهر رمضان، الليل والنهار.

خسارة أن تكون مساجدنا ـ أيها المؤمنون ـ في شهر رمضان خالية من الذكر المبين والذاكرين الخاشعين، أو تكون عامرة ولكن بأحاديث الدنيا وأحوال أهلها فحسب ففي هذا من الوعيد الشديد.

وعن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حِلَقاً، ذكرهم الدنيا وحب الدنيا، لا تجالسوهم، فليس لله فيهم حاجة)) وفي حديث: ((الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمةُ الحشيش))[1] وفي رواية ((كما تأكل النار الحطب)).

وعلينا أن نتذكر حديثاً شريفاً رواه الإمام أبو جعفر محمد بن علي الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١)- الكشاف بتصرف يسير، في تفسير سورة التوبة آية (١٨) قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ .

عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من هجم عليه شهر رمضان صحيحاً سليماً فصام يومه، وصلى ورداً من ليله، وحفظ فرجه ولسانه، وكف يده وغض بصره، وحافظ على صلواته مجموعةً، وشهد جمعه، ثم بكر إلى عيده حتى يشهده فقد استكمل الأجر، وصام الشهر، وأدرك ليلة القدر، وانصرف بجائزة الرب عز وجل)).

قال أبو جعفرٍ عليه السلام: أما أنها ليست كجائزة الأمراء.

أيها الأخوة .. إن من الخطأ بمكان خلال أيام هذا الشهر الفضيل: عدم التحري عند الإفطار وتناول الأكل قبل تيقن دخول الليل وظهور علاماته، وطبعاً في هذا ضياع الصوم تماماً، فصاحبه يكتب في سجل المفطرين لشهر رمضان، خمس دقائق أو أكثر أو أقل لا تشق، وينبغي في هذا الوقت بالذات الاشتغال بالدعاء، فهو من المواطن المستجابة: ((اللهم لك صمنا، وعلى رزقك أفطرنا، فتقبله منا)) كان هذا دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أفطر.

كان الحديث حول شهر رمضان، وإذا أردنا الحديث عن الصوم بشكل عام، فلنعلم: أنّ الصوم والمداومة عليه من جملة أشرف الطاعات، فبالصوم يقوى العبدُ على العبادة، وتدفع عنه خطورة الشهوات المرديات، ويُكسب العبد الخوف والخشية والخشوع لجبار السموات والأرض، ولقد قيل في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥] أن المراد بالصبر: الصوم.

وعلى كل حال الصيام هو الشعار لأولياء الله الصالحين والمخلصين، ومع هذا كله فقد رغّب الإسلام العظيم في صيام أيام محدّدة، بل وأشهر معلومة، وفي ذلك أحاديث لا تحصى، منها: صيام أيام البيض (الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر من كل شهر) وصيام الأيام التسع في أول شهر ذي الحجة، ومنها: صيام يومي الخميس والاثنين، ومنها صيام ست من شوال، وصوم يوم عاشوراء ويوماً قبله أو يوماً بعده.

ومنها: صيام شهر رجب الأصب، ومنها: صيام شهر شعبان الأغر، وغير ذلك، وفي ذلك روايات كثيرة، ولنذكر بعضاً منها:

روى الإمام المرشد بالله عليه السلام في كتابه (الأمالي) بسنده عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((دخلت الجنة فرأيت أكثر أهلها الذين يصومون الأيام البيض)).

وفي كتاب (الأحكام) للإمام الهادي إلى الحق عليه السلام، قال: بلغنا عنه عليه السلام ـ أي: عن الإمام علي ـ أنه قال: (صيام ثلاثة أيام في كل شهر صيام الدهر، وهنَّ يُذْهِبْنَ وَحَرَ الصدر) فقيل له: وما وحر الصدر؟ قال: (إثمُهُ وغِلّه).

وفي كتاب (الإرشاد إلى نجاة العباد) للقاضي العلامة الولي عبد الله بن زيد العنسي رحمه الله في سياق حديث طويل: ((ومن صام من رجب ثلاثين يوماً نادى منادٍ من السماء: يا عبد الله أمّا ما قد مضى فقد غُفِرَ لك، فاستأنف العملَ فيما بقي، وأعطاه الله في الجنان كلها، وفي كل جنة أربعين ألف بيت، وفي كل بيت أربعين ألف ألف مائدة من ذهب، على كل مائدة أربعون ألف ألف قصعة، في كل قصة أربعون ألف ألف لون من الطعام والشراب، لكل طعام وشراب من ذلك لون على حده.

وفي كل بيت أربعون ألف ألف سرير من ذهب، طول كل سرير ألف ذراع في ألفي ذراع، على كل سرير جارية من الحور العين، عليها ثلاثمائة ألف ذؤابة من لؤلؤ، يحمل كل ذؤابة سبعون ألف ألف وصيفة، يفوح منها المسك والعنبر إلى أن يوافيها صائم شهر رجب، هذا لمن صام شهر رجب كله.

قيل: يا نبي الله فمن عجز عن صيام شهر رجب لضُعْف أو علةٍ كانت، أو امرأة غير طاهرة تصنع ماذا لينال ما وصفت؟

قال: يتصدق بهذه الصدقة كل يوم رغيف على المساكين، والذي نفسي بيده إنه إذا تصدق بهذه الصدقة كل يوم ينال ما وصَفْتُ وأكثر، إنهم لو اجتمعوا جميع

الخلائق كلهم من أهل السماوات والأرض على أن يقدِّروا قدر ثوابه ما بلغوا ما نصب في الجنان من الفضائل والدرجات.

قيل: يا رسول الله، ومن لم يقدر على هذه الصدقة يصنع ماذا لينال ما وصفتَهُ؟

قال: يسبح الله في كل يوم في شهر رجب إلى تمام ثلاثين يوماً هذا التسبيح ـ مائة مرة ـ: ((سبحان الإله الجليل، سبحان من لا ينبغي التسبيح إلا له، سبحان الأعزُّ الأكرم، سبحان من لَبِسَ العزَّ وهو له أهل)).

هذا فضل الله الواسع، وهذا جود الله الفيّاض على عباده.

نسأل الله الكريم ذا الجلال والإكرام أن يصل على سيدنا ونبينا محمد وآله، وأن يلهمنا ذكره، ويعيننا على طاعته وشكره وحسن عبادته، آمين.. آمين.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين،،،



الدرس الرابع

إنه القرآن الكريم*

الحمد لله رب العالمين، الذي جعل الهدى فيما نزل من كتابه مكملاً، ونزل برحمته للعباد منه بياناً كريماً مفصلاً، وجعله سبحانه وتعالى بالتحميد مفتتحاً، وبالاستعاذة مختّماً، وأوحاه على قسمين متشابهاً ومحكماً، وفصله سوراً، وسوّره آيات.

فيه لمن استغنى به أغنى الغنى، وممن اجتنى ثمرات هداه أكرم مجتنى، نور أعين القلوب المبصرة، وحياة ألباب النفوس المطهرة، ألف فكر كل حكيم، وسكن نفس كل كريم، وقصص الأنباء الصادقة، ونبأ الأمثال المتحققة، وخير ما صُحب من الأصحاب. سر أسرار الحكمة، ومفتاح كل نجاة ورحمة، قول أرحم الراحمين، وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين.

فأي مُنزِّل سبحانه ونازل وتنزيل. لقد جل تنزيله، وطهر وتقدس عن قذف الشياطين وأكاذيبها، وافتراء مردة الآدميين وألاعيبها، فأُحكم عن خطل الوهن والتداحض، وأُكرم عن زلل الاختلاف والتناقض، فجُعل بآياته مترافداً، وبضياء بيناته متشاهدا، غير متكاذب الأخبار، ولا متضايق الأنوار، بل ضحيان النور[1]، فيحان الأمور، سيحان الأنهار بالحياة المنجية، واسع الأعطان والأفنية، ساطع النور والبرهان، جامع الفضل والبيان، فأنواره بضيائه زاهرة، وأسراره لأوليائه ظاهرة.

فسبحان من جاء به طولاً، وجعل سببه به موصولاً، لقد أحل سبحانه به المنة على العباد، فدلهم به على كل رشاد، أنشأه كتاباً ساطعاً تبيانه، قاطعاً برهانه، وحياً ناطقاً ببينات وحجج، قرآناً عربياً غير ذي عوج، مفتاحاً للمنافع الدينية

(*)- (مديح القرآن الصغير) للإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام بتصرف.

(١)- واضح النور لكل مبصر ذي عينين، أعطى فهماً ومنح توفيقاً وتسديداً.

والدنيوية، مصداقاً لما بين يديه من الكتب السماوية، معجزاً باقياً دون كل معجز على وجه كل زمان، دائر من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان.

أفحم به من طولب بمعارضته من العرب العَرْبَاء، وأبكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء، فلم يتصد للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم، ولم ينهض لمقدار أقصر سورة منه ناهض بلغائهم، على أنهم كانوا أكثر من حصى البطحاء، وأوفر عدداً من رمال الدهماء، ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالإفراط في المضادة والمضارة، والقائهم الشراشر على المعازَّة والمعارَّة، إن أتاهم بمفخرة أتوه بمفاخر، وإن رماهم بمأثرة رموه بمآثر، وقد جرّد لهم الحجة أولاً، والسيف آخراً، فلم يعارضوا إلا السيف وحده.

فسبحانه ما أجوده، لقد جَاءً لهم من كتابه بكنوز لا تبلى، وأعطاهم به عطية لا يجدها واحد وإن جهد فبذل لهم به كنز الكنوز، ودلهم به على كل نجاة، فتح لهم أبواب الجنان، وهداهم به سبل الرضوان، ونبأهم فيه عن نبأ السماوات العلى وما تحتهن من الأرض السفلى، وما فتق من الأجواء بين الأرض والسماء، وعن خلق الملائكة والجن والإنس فقد نبأهم، وعن كل علم كريم فَقَدْ بِهِ أتاهم، قص به عليهم أخبار القرون الماضية، وأخبرهم فيه بمن أُهْلِكَ بذنبه من الأمم العاتية بكل عجيب من الأشياء، أو قصة كريمة من قصص الأنبياء، فقد أوصل فيه علمها بكم، وأورد عجيب نبأها به عليكم.

فالقرآن الكريم ذروة الذرى، وبصر من لا يَرَى، وعروة الله الوثقى، وروح من أرواح الهدى، سماوي أحلّه الله برحمته، وأحكم به في العباد فرضه، فلا يُوصَل إلى الخيرات إلا به، ولا تكشف الظلمات إلا بثواقب شهبه، من صحبه صحب سماوياً لا يجهل، وهادياً إلى كل خير لا يضل، ومؤنساً لقرنائه لا يُمل، وسليماً لمن صحبه لا يَغِل، ونصيحاً لمن ناصحه لا يغش، وأنيساً لمن آنسه لا يوحش، وحبيباً لمن حابّه لا يبغض، ومقبلاً على من أقبل عليه لا يعرض، يأمر

بالبر والتقوى، وينهى عن المنكر والأسواء، لا يكذب أبداً حديثاً، ولا يخذل من أوليائه مستغيثاً، إن وعد وعداً أنجزه، أو تعزز به أحد أعزّه.

فعلينا أيها المؤمنون أن نسلك سبيله ما بقينا، متمسكين به، حافظين له، ومحافظين عليه، فنتخذه هادياً ودليلاً وحبيباً، فإنه لا يحِب أبداً مبغضاً، ولا يُقْبِل على من كان عنه معرضاً، ومن تعامى عنه أعماه، ولا يُعطى هداه إلا أهله، فقد جعله الله يتلوّن بألوان، ويتفنن فيه على أفنان، فهو الهادي المضل، وهو المدبر المقبل، وهو الْمُسمع الْمُصم، وهو المهين المكرم، وهو المعطي المانع، وهو القريب الشاسع، وهو السر المكتوم، وهو العلانية المعلوم.

أرشد زاجرٍ وآمر، وأعدل مقسط معذر، يوقظ بزجره النُّوَمى، ويعظ بأمره الحكماء، ويحيى بروحِه الموتى، فهو معجزة الحبيب ذي اللواء المرفوع في بني لؤي، وذي الفرع المنيف في عبد مناف، المثبت بالعصمة، والمؤيد بالحكمة، النبي الأمي المكتوب في التوارة والإنجيل، صلى الله عليه وآله وعلى آله الأطهار، خزان علمه، وتراجمة وحيه، والعالِمين سوره وآياته.

أيها المؤمنون.. قد بلينا قديماً وحديثاً في القرآن الكريم من تلبيس ملوك الجبابرة، وأتباعها من علماء العوام المتحيّرة، في توجيه الكتاب الكريم على أهوائها، وتأويلها له بخطئها، حتى عُطِّل منهم قضاؤه، وبُدّلت لديهم أسماؤه، فسميت الإساءة فيه إحساناً، والكفر بالله إيماناً، والهدى فيه عندهم ضلالاً، وعلماء أهله من أهل الحق به جهالاً، ونور حكمه ظُلَمَاً، وبصر ضيائه عمى، بل حتى كادت أن تجعل فاؤه ألفاً، وألفه للجهل بالله فاءاً، تلبساً على الطالب المرتاد، وضلالة من العامة عن الرشاد، فنعوذ بالله من عماية العمين.

ولكن الله سبحانه أبى له أن يطفأ نوره، ولذلك يقول سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة]، فمن اعتصم بنور كتاب الله وبرهانه، واتبع ما فيه من أموره وتبيانه أدخله الله،

كما قال سبحانه: ﴿مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء]، وهذا لأنه كما وعد صراطاً مستقيماً: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء].

ولننظر إلى كلام في وصف القرآن الكريم جاء عن أمير المؤمنين، إمام البلغاء، ورائد الحكماء، قائد الغر المحجلين، الإمام علي بن أبي طالب، قال عليه السلام: ((ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقده، وبحراً لا يُدرك قعره، ومنهاجاً لا يضل نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوءه، وفرقاناً لا يخمد برهانه، وبنياناً لا تهدم أركانه، وشفاءً لا تخشى أسقامه، وعزاً لا تهزم أنصاره، وحقاً لا تخذل أعوانه.

فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العلم وغدرانه، وأثافيّ الإسلام وبنيانه، وأودية الحق وغيطانه، وبحر لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون، وأعلام لا يعمى عنها السائرون، وآكام لا يجوز عنها القاصدون، جعله الله رِياً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاجّاً لطريق الصلحاء، ودواءً ليس بعده داء، ونوراً ليس معه ظلمة، وحبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته، وعزاً لمن تولاه، وسلماً لمن دخله، وهدى لمن ائتم به، وعذراً لم انتحله، وبرهاناً لمن تكلم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاجَّ به، وحاملاً لمن حمله، ومطية لمن أعمله، وآية لمن توسم، وجُنَّة لمن استلأم، وعلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى)).



الدرس الخامس

القرآن الكريم المعجزة العظمى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، القرآن معجزة السماء الخالدة، عجزت أمامها كل العقول، رغم التحدي الواحد بعد الآخر، الذي اعتمده القرآن في بيان عدم قدرة تلك العقول على مضاهاته.

والإعجاز ما زال يضيف إلى انبهار العقول وقصورها أمامه انبهاراً، وإلى عجزها عجزاً، وهو هكذا سيظل..

واليوم وبعد خمسة عشر قرناً ما زال التحدي قائماً، ومعجزة كهذه يحتاج المسلم إلى فهمها فهماً واقعياً مثلما أرادته السماء؛ لأنه أكفأ سلاح يدافع به عن ذاته، ويهاجم به الأعداء؛ ولئن كان للقرآن مثل هذا الدور في معركة بدر، والأحزاب، وفتح مكة وغيرها، فإنه لا زال اليوم له نفس الدور، إذا لم يكن أكثر، خاصة وأن حقانيته تجلت، وضعف شبه أعدائه بانت.

القرآن معجزة في كل وجهٍ من وجوهه، وحال من أحواله، بداية ما نزل منه كآخر ما انتهى إليه، ووسطه كطرفيه، نسيج فريد، ونسق واحد، ومستوى شاهق، هو معجز في حركات حروفه، وحروف كلماته، وكلمات آياته، وآيات سوره، وسور مصحفه، معجز فيما أخبر، وفيما أنبأ، وفيما أمر، وفيما نهى، وفيما قرر، وفيما نفى، معجز في الصياغة والنظم الموزون، وفي التراكيب والمضمون، لا في عصر دون سائر العصور، بل للجن والإنس إلى يوم يبعثون.

والآن أُخَيَّ المطلع تعال معي لنرى ونسمع مكانة هذا الكتاب المقدس، المعجزة العظمى، وذلك من خلال ما قدمه لنا الولي العلامة المجتهد المطلق، سيد بني الحسن، علي بن محمد العجري رحمة الله تعالى تغشاه في مقدمة كتابه العظيم (مفتاح السعادة) قال:

عن الحارث قال: دخلت المسجد فإذا قد وقعوا في الأحاديث فأتيت

علياً عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد وقعوا في الأحاديث قال: وقد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((ستكون فتنة. قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، والصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته إلا أن قالوا: إنا سمعنا قرآناً عجباً، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه فقد هدى إلى صراط مستقيم، خذها إليك يا أعور)). ورواه المرشد بالله عليه السلام وأخرجه الدارمي، والترمذي.

ثم قال العلامة العجري -رحمة الله تعالى تغشاه[١]-: قلت: والحديث أخرجه أبو طالب عليه السلام عن معاذ بن جبل قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الفتنة فعظمها وشددها، فقال علي بن أبي طالب[٢]: فما المخرج منها؟ فقال[٣]: ((كتاب الله...)) وساقه بنحو حديث علي عليه السلام[٤].

وفي البحر المحيط لأبي حيان قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أراد علم الأولين والآخرين فليثوِّر القرآن))[٥].

قال في المختار: ثوَّر القرآن بحث عن علمه.

---

(١)- مفتاح السعادة: ١/ ٥٢، وما بعدها.

(٢)- أمالي أبو طالب (١٧٣).

(٣)- في الأصل: فقال كتاب الله.

(٤)- وفي إيثار الحق نسبة حديث علي عليه السلام إلى السيد أبي طالب في الأمالي ثم قال: رواه في أماليه بسند آخر عن معاذ بن جبل ورواه ابن الأثير في الجامع عن عمر بن الخطاب فهو مع شهرته في شراط أهل الحديث متلقي بالقبول عند علماء الأصول. انتهى تمت مؤلف .

(٥)- البحر المحيط.

وعن علي عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((خير الناس من تعلم القرآن، وعلمه، وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه)). رواه المرشد بالله[١]، وله بطريق أخرى عن علي عليه السلام مرفوعاً: ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)). وأخرجه البخاري والترمذي، وأخرجه المرشد بالله[٢]، وأحمد، وأبو داود، عن عثمان، ونسبه القرطبي إلى البخاري من رواية عثمان، وللمرشد بالله[٣] إليه طرق، وفي بعضها: ((وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه)).

ثم ساق المولى العلامة العجري ـ رحمة الله تغشاه ـ الأحاديث في هذا المعنى: وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا الثقلين وأحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)). رواه المرشد بالله[٤].

وهذا -أعني حديث الثقلين- متواتر لا ينكره إلا معاند، رواه أئمة العترة وشيعتهم ومخالفوهم بطرق متعددة عن جماعة من الصحابة، ومن أراد الحقيقة طالع الأمهات، والمناقب، والمسندات، والمرسلات يجد بغيته، ويبلغ أمنيته.

وذكر الموفق بالله عليه السلام في الإحاطة: تلقي الأمة له بالقبول، وأنه ظهر في الكتب المصنفة في أيام الأموية والعباسية من دون نكير فيما بينهم.

ثم قال ـ رحمه الله تعالى ـ في ص(٥٥) تحت عنوان: (من كلام الإمام علي عليه السلام في وصف القرآن): ((ومن كلام علي # بعد أن ذكر بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأحواله:

---

(١)- في الأمالي: المرشد بالله ج١/ ٧٢.
(٢)- أخرجه المرشد بالله في الأمالي ج١/ ٧٢ -ج١/ ص (١٠٥)، ج١/ ١١١.
(٣)- أخرجه المرشد بالله في الأمالي ج١/ ٧٨.
(٤)- ج١/ ١٥٥.

(ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقده، وبحراً لا يدرك قعره، ومنهاجاً لا يضل نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوؤه، وفرقاناً لا يخمد برهانه، وبنياناً لا تهدم أركانه، وشفاء لا تخشى أسقامه، وعزاً لا تهزم أنصاره، وحقاً لا تخذل أعوانه، فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العلم وغدرانه، وأثافي الإسلام وبنيانه، وأودية الحق وغيطانه، وبحر لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون، وأعلام لا يعمى عنها السائرون، وآكام لا يجوز عنها القاصدون، جعله الله رياً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاجًّا لطريق الصلحاء، ودواءً ليس بعده داء، ونوراً ليس معه ظلمة، وحبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته، وعزاً لمن تولاه، وسلماً لمن دخله، وهدى لمن ائتم به، وعذراً لمن انتحله، وبرهاناً لمن تكلم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاج به، وحاملاً لمن حمله، ومطية لمن أعمله، وآية لمن توسم، وجُنَّة لمن استلأم، وعلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى). رواه في (نهج البلاغة) [وقد تقدم في الدرس السابق].

وأقول: لو لم يكن في هذا الموضع إلا هذا الفصل العجيب لكان كافياً فيما نريده من الحث على العمل بالكتاب، والترغيب، ولنقتصر من كلام أمير المؤمنين عليه السلام هنا عليه، ففيه ما يكفي من التنبيه.

ثم قال مولانا ـ رحمة الله تغشاه ـ تحت عنوان (من كلام الإمام زيد بن علي عليه السلام في وصف القرآن): وقال زيد بن علي عليه السلام في كتاب (الإيمان): (وأوصيكم أن تتخذوا كتاب الله قائداً وإماماً، وأن تكونوا له تبعاً فيما أحببتم وكرهتم، وأن تتّهِمُوا أنفسكم ورأيكم فيما لا يوافق القرآن، فإن القرآن شفاء لمن استشفى به، ونور لمن اهتدى به، ونور لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، من عمل به رشد، ومن حكم به عدل، ومن خاصم به فلج، ومن خالفه كفر، فيه نبأ

من قبلكم، وخبر معادكم، وإليه منتهى أمركم، فإياكم ومشتبهات الأمور وبدعها؛ فإن كل بدعة ضلالة)[(١)].

وقال القاسم بن إبراهيم عليه السلام في كتاب (المديح الكبير للقرآن): (فكتاب الله إمام لكل مهتد من خلق الله ورشيد أعزه من الوهن والتداحض فلا يتصلان به أبداً، ومنعه من أن يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ إذ حفه بالنور والهدى، فنوره وهداه مقيمان أبداً معه، مضيئان مشرقان لمن قبله عن الله وسمعه، ساطع فيه نور شمسهما، بين هداه ونوره لملتمسهما، لا يميلان بمتبع لهما عن قصده، ولا يمنعان من طلب رشدهما عن رشده، بل يدلانه على المراشد، ويقصدان به الأمور المسعدة التي لا شقاء أبداً معها، ولا يضل أبداً من اتبعها، فرحم الله امرأً نظر فيه فرأى سعادته ورشده وهداه، فجانب شقوته وغيه ورداه، قبل أن يقول يوم القيامة مع القائلين: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ۝١٠٦﴾ [المؤمنون] فضلال من ترك كتاب الله لايغبا إلا على من لم يهبه الله عقلاً ولباً، كتاب نزله الله الرحيم الأعلى برحمته من فوق السماوات العلى، فأقر في أرضه قراره، وبث في عباده أنواره، فنوره ظاهر لا يخفى، وضياؤه زاهر لا يطفى).

وقال ولده محمد بن القاسم: (وبعد: فإن الله بفضله ورحمته جعل من عظيم ما مَنَّ به علينا وعليكم من نعمته ما هدانا وهداكم إليه، ودلنا ودلكم عليه من طلب حقائق الحق، حين ضل عن ذلك كثير من الخلق في تنزيل الله سبحانه وكتابه؛ إذ لا يُوصل إلى حقيقة حق إلا بأسبابه، ولا يُهْتَدى إلى صواب رشد إلا بمفاتيح أبوابه، فمن فتح الله له أبواب علم الكتاب علم حقائق البر والهدى والصواب).

وقال الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام: (إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً إلى الأمة بكتاب ناطق، وأمر صادق، فيه شفاء الصدور، وكمال الفرائض والأمور،

(١)- كتاب الإيمان للإمام زيد -خ-.

والهدى والتقوى، والرجوع عن الردى، والنجاة من المهالك، والسبيل إلى أفضل المسالك، لا يظمأ من ورد شرائعه، ولا يجوع من أكل سائغه، ولا يُصَمُّ من سمع واعظه، ولا يعمى من أبصر سبيله، ولا يضل من اتبع نوره، ولا يغلط من استشهد ناطقه، ولا يهلك من اتبع بيانه، ولا يندم من استمسك بوثيق عروته، ولا يفلج إلا من احتج بمحكم حججه، نور ساطع، وبرهان لامع، وحق قاطع، كتاباً مفصلاً، ونوراً وهدى، قد ترجمه الرسول، وأحكم فيه وثائق الأصول، وفرع فروعه بأحسن القول)).

وقال المنصور بالله عليه السلام: ((الحكمة العلم النافع وهو علم القرآن وتفسير معانيه، وتفصيل مجمله، والمعرفة بأحكام أوامره ونواهيه، ومحكمه ومتشابهه، وخاصه وعامه، ومجمله ومبينه، وناسخه ومنسوخه، والاعتبار بعبره، والفهم لأمثاله العجيبة، وقصصه الغريبة، فهذا عندنا رأس الحكمة، ومفتاح الرحمة)).

فصلوات الله وسلامه على سيدنا محمد وآله، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.



الدرس السادس

فضل القرآن وفضل حامله

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المنزل عليه القرآن، محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار..

القرآن الكريم من أعظم معالم الرشاد والهداية، فمما يدهش كل عاقل، ولا يمكن تعليله إلا بكون القرآن وحياً من العليم الحكيم، هو هذا التشريع الأمثل للإنسانية، والقانون الأقوم للحياة، الذي جاء به لتنظيم شؤون المجتمع البشري، وكلما مر قرن وجاء آخر أثبت القرآن الكريم ـ بلا ريب ـ أصالته وشموله للهيمنة على جميع شؤون الحياة، على أحسن وأكمل وجه.

والآن أخي المطلع تعال معي لنرى ونسمع ما أعده لنا الولي العلامة، المجتهد المطلق، سيد بني الحسن، علي بن محمد العجري ـ رحمة الله تغشاه ـ في أجزاء كتابه المبارك (مفتاح السعادة) لنرى فضل هذا الكتاب الكريم، ونرى المكانة المرموقة التي يتبوؤها حامله، وتاليه، والعامل به، فقد قال رحمه الله تعالى في (ج٥ ص ٣٢١٦) وما بعدها:

وروى زيد بن علي عليه السلام في(المجموع) عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((تعلموا القرآن وتفقهوا به وعلموه الناس ولا تستأكلوهم به فإنه سيأتي قوم من بعدي يقرؤونه ويتفقهون به يسألون الناس لا خلاق لهم عند الله عز وجل)).

قوله: لا خلاق لهم: أي لا نصيب لهم في رحمة الله وثوابه.

[ثم قال]: وعن عمران بن الحصين، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((اقرءوا القرآن واسألوا الله به فإن من بعدكم قوماً يقرءون القرآن يسألون به الناس)) [ثم قال المؤلف]: قلت: والظاهر أن معنى سؤال الله به أن يجعله وسيلة إلى نيل ما عند الله تعالى من رفيع المنزلة وتيسير الأرزاق ونحو ذلك.

وأمَّا سؤال الناس فهو أن يجعله وسيلة إلى حصول الرئاسة وانتشار الصيت في الناس، أو إلى نيل ما في أيديهم من الحطام، أو مجموع الأمرين، والتوسل على هذه الصفة يسمى سؤالاً؛ إذ معنى السؤال راجع إلى الطلب فيشمل الطلب بلسان الحال وبلسان المقال. والله أعلم.

ثم قال المؤلف: وفي (أمالي المرشد بالله أيضاً [سند طويل ذكره المؤلف] قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر المال لهم فيتحاسدوا ويقتتلوا ويفتح لهم القرآن فيقرأه البر والفاجر والمنافق، فيجادلون به المؤمن ابتغاء الفتنة، ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران:٧].

والناس في القرآن ثلاثة: فرجل يقرؤه بلسانه ولا يسوغ به الحنجرة فهو له إصر وعذاب وعقاب، ورجلٌ يقرأه فخراً ورياء ليأكل به في دنياه فليس له منه يوم القيامة شيء، ورجل يأخذه بسكينة ووقار فهو له حجةٌ يوم يلقى ربه)).

[وكان المؤلف قد قال سابقاً: وفي أمالي المرشد بالله عليه السلام، فذكر السند، حتى قال]: عن أبي عتبة الحمصي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من قرأ القرآن كان حقاً على الله عز وجل أن لا يطعمه النار ما لم يغل به، وما لم يأكل به، وما لم يراء به، وما لم يدعه إلى غيره)).

[ثم قال المؤلف]: وفي (الجامع الصغير) عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من قرأ القرآن يتأكل به الناس جاء يوم القيامة ووجهه عظم ليس عليه لحم)).

ثم قال المؤلف: وفي (الروض النضير) منسوباً إلى (جمع الجوامع) للسيوطي من رواية أبي نعيم، عن أبي هريرة: ((من أخذ على القرآن أجراً فذلك حضه من القرآن))، قال: ومن رواية أيضاً عن ابن عباس: ((من أخذ على القرآن أجراً فقد تعجل حسناته في الدنيا والقرآن يحاجه يوم القيامة)).

ثم قال المولى العلامة علي بن محمد العجري ـ رحمة الله تعالى تغشاه ـ وكأنه يجيب على تساؤل ما حكم ما يُعْطَى من العوض على تعليم أو تلاوة القرآن الكريم ص(٣٢٣٣):

إذا عرفت هذا فالأولى أن يقال العمل بالدليلين هو الواجب مهما أمكن، وهاهنا الجمع ممكن بلا كلفة بأن تحمل الآية [(وهي قوله تعالى في (سورة البقرة): ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ۝﴾)] وما في معناها على تحريم أخذ العوض على كل أمر واجب يتعلق بالقرآن من تعليمه، وتبليغ أحكامه المستنبطة منه؛ لأن الواجب منه يجب تبليغه لوجهه، أو محظور كالتحريف والتبديل والكتم لأحكامه ونحو ذلك مما يتعلق به من هذين النوعين[1]، لأن الأخذ على أحد هذين الوجهين يكون من أكل أموال الناس بالباطل، ويحمل حديث ابن عباس وما في معناه، كأحاديث الرقية [الأحاديث المشهورة عن جمع من الصحابة أنهم مروا على حي من أحياء العرب، فطلب أهل الحي من الصحابة الرقية لسيدهم الذي لدغ، فرقوه بالفاتحة، فأعطوهم جعلاً .. إلى آخر ما هناك، وسيأتي إن شاء الله تعالى] على جواز أخذ العوض على ما يصح تعلقه بالقرآن من الأمور التي ليست بواجبة ولا محظورة كالرقية والتلاوة ونحوهما مما يمكن تعلقه به على هذا الوجه، ويدخل في ذلك كتابته بالأجرة، وهذا جمع حسن يقتضيه العقل والشرع.

أما العقل: فلأنه لا قبح في أخذ العوض على ما هذا حاله.

وأما الشرع: فلأنا لم نجد فيه منعاً من أخذ العوض على ما ليس بواجب ولا محظور يعلم ذلك من ضرورته مع ما فيه من الجمع، وعدم الإهمال، واعتبار عموم لفظ الحديث وهو أولى من قصره على سببه الذي هو الرقية، وكون سبب

---

(١)- يعني الواجب والمحظور. تمت. مؤلف. [المؤلف هو العلامة الولي مؤلف (مفتاح السعادة) علي بن محمد العجري رحمة الله تعالى تغشاه].

الحديث[1] مما لا يتصف بالوجوب مما يؤيد هذا الجمع. والله الموفق.

وقال العلامة الولي علي بن محمد العجري ـ رحمة الله تعالى تغشاه ـ في موضع جواز أخذ الأجرة على تلاوة القرآن الكريم للغير، أي الدرس للقرآن على نية الغير مقابل الأجرة، وذلك في ج٥/ ٣٢٤١، من كتابه (مفتاح السعادة): ولا يبعد أن يكون ثواب التكسب على النفس والعيال من هذا الوجه الحلال مساوياً لثواب التلاوة أو أكثر منه، لما ورد في فضل التكسب من الحلال فيما يعود به على النفس والعيال.

وقال السيد محمد بن إسماعيل الأمير ما معناه: ولا يبعد أن يكون الأجير والمستأجر داخلين تحت قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة:٢] إذ الأجير أعان أخاه بما أهداه من ثواب تلاوته، والمستأجر أعانه بالأجرة، والثواب حق للأجير فله أن يهبه لمن يشاء من إخوانه، كما أن له أن يسقط حقه اللازم من جناية أو دين، ويعوضه الله خيراً منه، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى:٤٠] وقد ثبت أن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، فإذا كان الله في عون العبد وهو الذي يكافيه على أعماله فماذا يخاف، وقد ثبت أنه إذا دعا العبد لأخيه بظهر الغيب قال له ملك: ولك مثل ذلك، ولا يقوله الملك إلا عن أمر الله، ودعاء الملَك مجاب.

قال: ومن هنا أقول إن دعاء العبد لأخيه بظهر الغيب أفضل من دعائه لنفسه، لأنه يعطى ما سأله لأخيه، لأنه يسأله الملَك.

[وفي ص (٣٢٤٧) ما معناه]:

---

(١)- أعني قوله أحق ما أخذتم عليه... إلخ. وسببه الأخذ على الرقية. تمت. مؤلف.

[وجوب إخلاص طلبة العلم]

وروى الموفق بالله عليه السلام في (السلوة) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تطلبوا العلم لثلاث خصال: لتباهوا به العلماء ولا لتباهوا به السفهاء ولا لتصرفوا وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو في النار، تعلموا لله والدار الآخرة)) ورواه في (الإحياء) بلفظ: ((لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو في النار)).نسبه العراقي في (التخريج) إلى ابن ماجة من حديث جابر، قال: بإسناد صحيح.

وفي (الجامع الصغير) من حديث كعب بن مالك مرفوعاً: ((من طلب العلم ليجاري به العلماء وليماري به السفهاء أو يصرف وجوه الناس إليه أدخله الله النار)) وعزاه إلى الترمذي.

والمباهاة والمجاراة: بمعنى واحد هنا يجري معهم في المناظرة ليظهر علمه رياء وسمعة، والمماراة: المحاججة والمجادلة، ومعنى صرفه وجوه الناس إليه: أن يطلبهُ بنية تحصيل المال والجاه وصرف وجوه العوام إليه.

وفي (أمالي المرشد بالله): أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد بن ريذة، قال: أخبرنا سليمان بن أحمد الطبراني، قال: حدثنا الحضرمي عن محمود بن غيلان، قال: حدثنا نصر بن خالد النحوي، قال: حدثنا هداب، عن إبراهيم بن الضريس، عن الهيثم عن الجارود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من طلب الدنيا بعمل الآخرة طمس وجهه، ومحق ذكره، وأثبت اسمه في النار)).

[وقال رحمة الله تعالى تغشاه قبل ذلك]: وروى الموفق بالله عليه السلام في (سلوة العارفين) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((من تعلم علماً مما يبغى به وجه الله لا تعلمه إلا ليصيب عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة-يعني ريحها-)).

وقال رحمة الله تغشاه: ص٣٢٤٩: وروى الغزالي في (الإحياء) عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((علماء هذه الأمة رجلان:

رجلٌ آتاه الله علماً فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعاً ولم يشتر به ثمناً فذلك تصلي عليه طير السماء وحيتان الماء، ودواب الأرض، والكرام الكاتبون، يقدم على الله عز وجل يوم القيامة سيداً شريفاً حتى يرافق المرسلين، ورجل آتاه الله علماً في الدنيا فَضَنَّ به على عباد الله وأخذ عليه طمعاً واشترى به ثمناً فذلك يأتي يوم القيامة ملجماً بلجام من نار ينادي مناد على رؤوس الخلائق هذا فلان بن فلان آتاه الله علماً في الدنيا فَضَنَّ به على عباده، وأخذ به طمعاً، واشترى به ثمناً، فيعذب حتى يفرغ من حساب الناس)).

ثم قال رحمه الله تعالى (ص٣٢٥٣): فإن قيل: هذه الأدلة إنما تدل على تحريم أخذ العوض على التعليم حيث قصد بتعليمه التوصل إلى العوض، فأما إذا لم يقصد ذلك فلا وجه لتحريم ما أخذه ولا تقتضيه هذه الأدلة.

قيل: لا نحكم إلا بتحريم ما كان عوضاً في مقابلة التعليم، والأدلة لا تتناول إلا ذلك، فأما إذا أخذ من المتعلم ما يعطيه على جهة البر والإحسان وإرادة وجه الواحد المنان لا لتعليمه فلا نقول بمنعه، ولا يقوله فيما أحسب أحد من أهل العرفان لخروجه عن أدلة التحريم، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل ما يتحفه به أصحابه وهو المعلم لكل خير والهادي إلى الرشد، وكذلك أمير المؤمنين ثم من بعده من أهل بيته" وغيرهم، وذلك معلوم لمن بحث، وجرى على ذلك علماء الأمصار في جميع الأعصار إلى يومنا هذا، ويدل على ذلك ما ورد من الحث على الصدقة وفعل المعروف إلى كل أحد، ثم ما جاء في فضل إكرام المؤمن والإحسان إليه، ثم ما ندب الله إليه من إكرام العلماء خاصة والإحسان إليهم، فالعلماء إذا أخذوا ممن يعلمونه على هذا الوجه مهتدون بهدي النبي صلى الله عيه وسلم، ومقتدون بعمل الوصي وأهل بيته"، وعلماء السلف والخلف من هذه الأمة، وداخلون في عموم من حث الله على التصدق عليهم الأسود والأحمر، واختصوا بعد ذلك بما جاء في فضل الإحسان إلى المؤمنين ثم بما جاء من الحث على إكرام العلماء خاصة.

وقال رحمة الله تعالى تغشاه في تبيين واجب حامل المعرفة، والعلم (ص٣٢٦٣) في حديث رواه المرشد بالله، وهو حديث طويل في أمارات اقتراب الساعة: ((وركن علماؤكم إلى ولاتكم فأحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال، وأفتوهم بما يشتهون، وتعلم علماؤكم العلم ليجلبوا به دنانيركم ودراهمكم واتخذتم القرآن تجارة)).

وقال رحمة الله تعالى تغشاه في (ج٣/ ١٣٨٣): وعن أبي أمامة: حثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على تعليم القرآن وحدثنا من فضله وقال: ((تعلموا القرآن واتلوه فإن القرآن يأتي صاحبه يوم القيامة أحوج ما كان إليه فيأتيه في صورة حسنة فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا الذي كنت تكرمه وتحبه، وكان يسهر ليلك، ويدأب نهارك، ويشخصك وينصبك، فيقول: لعلك القرآن، فيقول: أنا القرآن، فيتقدم بين يدي ربه فيعطيه الـمُلْكَ بيمينه والخلد بشماله، ويوضع تاجُ السكينة على رأسه، ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا أضعافاً مضاعفة، فيقولان: إن هذا لم تبلغه أعمالنا، فيقال لهما: بفضل ولدكما الذي قرأ القرآن)) رواه المرشد بالله[1].



(١) أمالي المرشد بالله ج/ ١ ص/ ٧٥.انتهى.

الدرس السابع

الوسائل المعينة على فهم القرآن

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد وآله الطاهرين..

اللهم إنا نسألك إخبات المخبتين، وإخلاص الموقنين، ومرافقة الأبرار، واستحقاق حقائق الإيمان، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، ووجوب رحمتك، وعزائم مغفرتك، والفوز بالجنة، والنجاة من النار.

نعم من اليقين أنه كلما تقدم الزمن، وعكف الباحثون على دراسة القرآن، كلما ظهرت وجوه إعجاز جديدة لم تكن معروفة من قبل، وفهم القرآن، والوصول على المعنى المراد منه يحتاج إلى وسائل وطرق.

ولقد جمع لنا العلامة الولي، عالم آل محمد، المجتهد الألمعي، علي بن محمد العجري ـ رحمه الله تعالى ـ في مقدمة كتابه (مفتاح السعادة) الجزء الأول في ص(٦٢) وما بعدها الكثير الطيب المفيد، فقال:

أحدها: أن يخلص في عمله الذي هو تدبر كتاب الله والاستنباط منه خصوصاً، وفي سائر أعماله لله تعالى عموماً قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣].

وعن علي عليه السلام قال: (من أخلص لله أربعين صباحاً يأكل الحلال قائماً ليله صائماً نهاره أجرى الله سبحانه ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه). رواه في المجموع[١].

وعن أبي أيوب مرفوعاً: ((من أخلص لله أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه)). أخرجه أبو نعيم في الحلية.

---

(١)- ص (٣٨٤).

قال العزيزي بإسناد ضعيف، ورواه ابن عدي وغيره في (الضعفاء) عن ابن عباس، والمروزي وابن حبان عن مكحول مرسلاً.

وقال القاسم بن إبراهيم عليه السلام: (واعلموا أن البحر لا يجاز يقيناً إلا بمعبر، وأنه يحتاج الشجاع المحارب إلى السلاح في الحرب فكيف بالعيِّ المغتر، فلا يتعاطى أحد سبيل التقوى، وما قرن الله بها من التمحيص والبلوى، إلا وقد تحصن بالعلم والنظر الذي ميز الله به بين أهل الخير والشر، فلا تدعوا رحمكم الله حسن النظر في الأمور، والاستضاء في ظلمها بما جعل الله في العلم من النور، واعلموا أن من أبواب ذلك ومفاتيحه، وأضواء ضياء نوره ومصابيحه إخلاص العمل لله، وصدق التوكل على الله).

الثاني: الرجوع إلى الله والاستعانة به، والتضرع إليه، وسؤاله أن يهب له لساناً قؤولاً، وقلباً عقولاً، وفهماً ذكياً، وحفظاً لما سمع، وأن يسهل له طرق العلم النافع، وقد نبه الله على ذلك بقوله: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ﴾ [الأعراف:١٢٨]، ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء:٣٢].

وعن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((سلوا الله علماً نافعاً، واستعيذوا به من علم لا ينفع)). رواه المرشد بالله[١]، وأخرجه ابن ماجة، والبيهقي في شعب الإيمان، وصححه محمد حجازي الشعراني المشهور بالواعظ شيخ العلامة علي بن أحمد نور الدين محمد بن إبراهيم العزيزي شارح الجامع الصغير.

وعن علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: ((اللهم اغنني بالعلم، وزيني بالحلم، وأكرمني بالتقوى، وحلني بالعافية)). رواه المرشد بالله[٢]، وأخرجه ابن النجار من حديث ابن عمر إلا أنه قال: وجملني بالعافية بجيم بعدها ميم من الجمال.

---

(١)- أخرجه المرشد بالله في الأمالي ج١/ ٢٤٥.

(٢)- أخرجه المرشد بالله ج١/ ٤٨.

وعن أنس[١] بن مالك قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((اللهم انفعنا بما علمتنا، وعلمنا ما ينفعنا، وزدنا علماً إلى علمنا)). رواه المرشد بالله[٢].

وقال علي عليه السلام في وصيته لولده الحسن عليهما السلام: (وألجئ نفسك في أمورك[٣] كلها إلى إلهك، فإنك تلجئها إلى كهف حريز، ومانع عزيز، وأخلص المسألة لربك فإن بيده العطاء والحرمان). رواه في النهج[٤].

الثالث: أن يستعين على ذلك بأنظار أئمة العترة وعلمائهم "، وغيرهم من سائر علماء الأمة، أما آل محمد" فلأنهم عيبة العلم، وموئل الحكم، وقرناء الكتاب، ونفاة الشك والارتياب، سفينة نوح من ركبها نجا، فأين يتاه بكم عن علم تنوسخ من أصلاب أصحاب السفينة حتى صار في عترة نبيكم المصطفى.

[هذا الكلام الأخير من كلام أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، علي بن أبي طالب عليه وعلى آل محمد أفضل الصلوات والتسليم، ثم قال المؤلف:]

وأما غيرهم فلأن العلماء ورثة الأنبياء، وقد جعلهم الله حملة علمهم، والواسطة بيننا وبينهم، مع أنه لا يعتبر في أخذ الحكمة أن يكون عن شخص مخصوص إذا كان معناها صحيحاً، والعقول كما قال القاسم بن إبراهيم" حظوظ منقسمة، والحكمة ضالة المؤمن.

كما روي عن علي عليه السلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها)). رواه الموفق بالله في (سلوة العارفين)[٥]. وفي النهج عن علي عليه السلام: (الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق)[٦].

---

(١)- في الأصل: وعن أنس كان.
(٢)- ج١/ ٥٧.
(٣)- في الأصل: في الأمور كلها.
(٤)- نهج البلاغة (٣٣٩).
(٥)- (ص ٤٣).
(٦)- نهج البلاغة (٤٨١).

وفيه عنه عليه السلام: (خذ الحكمة أنى كانت فإن الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج[١] في صدره[٢] حتى تخرج فتسكن إلى صواحبها في صدر المؤمن، على أن الحق لا يعرف بالرجال وإنما الرجال يعرفون به).

كما قال علي عليه السلام: (اعرف الحق تعرف أهله). رواه في النهج.

وفيه أن الحارث بن حوط أتى علياً عليه السلام فقال: أتراني أظن أصحاب الجمل كانوا على ضلالة، فقال: يا حار[٣] إنك[٤] لم تعرف الحق فتعرف من أتاه، ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه)[٥].

[أي أنك لم توف النظر حقه، بل نظرت نظراً قصيراً، فكانت النتيجة أن صرت حيران، فعليك أيها الناظر بما يخلصك عند خالقك ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾ [عبس].

يوم يكون القاضي والحاكم هو الخلاق، وشهوده أهل السماء، والشهود عليك ـ أيضاً ـ أعضاؤك التي طالما تعبتَ ونصبتَ وسهرتَ من أجل سلامتها في الدنيا، فعليك بسلامتها مما هناك، رزقنا الله وإياك الإنابة والاستعداد لذلك اليوم، آمين.. آمين].

ثم قال العلامة العجري ـ رحمة الله تعالى تغشاه ـ: وليس المقصود أن الناظر يقلد من سبقه من الأئمة والعلماء، وإنما المقصود الاستعانة بما فهموه من الأدلة، ونبهوا عليه من مدلولاتها، ثم يميز بعقله بين صحيحها وسقيمها، ويصير كأنه الذي فهمها واستنبطها، ولا يبعد أن هذا أمر مجمع عليه، وإلا فما فائدة تأليف الكتب،

---

(١)- نهج البلاغة (٤٨١).

(٢)- في الأصل: فتختلج.

(٣)- إنك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت.

(٤)- في الأصل: يا حارث إنك لم تعرف.

(٥)- نهج البلاغة (٥٢١).

وتدوين الأقوال وتقييدها بالكتابة، ويشهد له قول أمير المؤمنين عليه السلام:(من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها). رواه في النهج[(١)].

[ثم ذكر المؤلف رحمه الله تعالى الأمر الرابع من الوسائل المعينة على فهم القرآن الكريم، فقال]:

الأمر الرابع: أن لا يتقيد بمذهب مخصوص، بل يجعل كتاب الله حاكماً على كل مذهب؛ لأن من تقيد بمذهب واعتقد صحته قبل النظر في الأدلة عسر عليه الخروج منه، وأداه ذلك إلى تأويل الأدلة، وردها إلى ما قد اعتقد بجهله صحته، وهذا مشهور معلوم، فعليك بتجنب هذه الخصلة، واجعل نظرك كله لخلاص نفسك، وتحصيل نفعك، ولا تشغلها بتقويم كلام غيرك فتكون كما قال علي عليه السلام:(فمن شغل نفسه بغير نفسه تحير في الظلمات، وارتبك في الهلكات، ومدت به شياطينه في طغيانه، و زينت له سيء أعماله). رواه في النهج[(٢)].

قال العلامة ابن أبي الحديد رحمه الله: وذلك أن من لا يوفي النظر حقه، ويميل إلى الأهواء، ونصرة الأسلاف، والحِجَاج عما ربى عليه بين الأهل والأستَاذِيْن[(٣)] الذين زرعوا في قلبه العقائد يكون قد شغل نفسه بغير نفسه لأنه لم ينظر لها، ولا قصد الحق من حيث هو حق، وإنما قصد نصرة مذهب معين يشق عليه فراقه...)).

[وذلك الفريق كثير رجاله، جم أنصاره، انظر مثلاً (الرازي) العالم المعروف، والمفسر المشهور، كيف يتعصب لأصحابه، تأمل قول المولى العلامة العجري حيث يقول تحت عنوان في الجزء الأول من (مفتاح السعادة) ص ٢٣١-٢٣٤: تنبيه في التعليق على كلام الرازي: وظاهر كلام (الرازي) التزام هذا وأن

(١)- ص (٥٠٠).
(٢)- ص (٢٢١).
(٣)- جمع أستاذ. تمت. مؤلف.

الاستعاذة لا تكون إلا من الله تعالىٰ عن ذلك كما سيأتي، وفي هذا من سوء الأدب، ومخالفة العقل، والكتاب والسنة ما لا يُؤْمَنُ عليه الهلاك بسببه [أي الرازي] فإن أريد بذلك الحكاية، أو مجرد الجدل فقد لبَّس وشكَّك في موضع يجب عليه البيان فيه، فالله المستعان.

[ثم قال العجري رحمة الله تعالىٰ تغشاه]: وهذا هو ما حكيناه من التزامه كون الاستعاذة لا تكون إلا من الله تعالىٰ، وقد حكينا لفظه بذاته، وهو كما ترىٰ قد تضمن من سوء الأدب ما لا مزيد عليه، وصدق بإيراده ما ورد فيه وفي أصحابه من أنهم جند إبليس، وشهود الزور، ولولا خوف ارتكاب المحظور بعدم الجواب عليه لما ذكرته.

إذا عرفت هذا فاعلم أن هذا الرجل من فحول العلماء، وممن لا تخفىٰ عليه دلالات الألفاظ ومعانيها، إلا أنه كثير المغالطة والتعصب لأصحابه وإن كان مخالفاً لهم في كثير من المسائل كما سيأتي بيانه.

[فالبصيرة البصيرة أخي الناظر، ولنرجع إلىٰ بقية كلام مؤلف (مفتاح السعادة) حول الأمر الرابع (أي لا يتقيد بمذهب مخصوص) ذاكراً لبقية كلام ابن أبي الحديد قال]:

ويصعب عنده الانتقال منه، ويسوءه أن يرد عليه حجة تبطله، فيسهر عينه، ويتعب قلبه في تهويس تلك الحجة والقدح فيها بالغث والسمين، لا لأنه يقصد الحق، بل يقصد نصرة المذهب المعين، وتشييد دليله، لا جرم أنه متحير في ظلمات لا نهاية لها، والارتباك: الاختلاط، وارتبك الرجل في الأمرِ: أي نشب فيه ولم يكد يتخلص منه، ومدت له شياطينه أي: طولت، وزينت له سيء أعماله، مأخوذ من قوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [فاطر:٨].

قلت: ولا تكاد تجد اختلافاً بين المحققين في ذم التمسك بمذهب مخصوص لغير دليل والتعصب له، لكن الأكثر خالفوا في العمل.

الخامس: أن يؤدي النظر حقه في أدلة المحقين وشبه المبطلين، ويستوفي ما عثر عليه من أقوالهم ومستنداتهم عقلاً وكتاباً وسنة وغيرها، فإنه لا يعرف الحق ويقطع به إلا من عرف الباطل وبطلانه، وإلا فلا يأمن أن ترد عليه شبهة لا يتمكن من حلها لضيق وقت، أو عدم من يراجعه فيها، أو فتور في همته لزمانة ونحوها، أو تعذر كتب البحث عليه فيبقى في حيرته ويضعف يقينه، وقد أرشدنا الله إلى هذا في كتابه العزيز بما حكى فيه عن الدهرية والثنوية، وغيرهم من الملل الكفرية من الأقوال الباطلة، وبما رد عليهم به من الحجج القاطعة على تنوعها، فتارة بالإلزام، وتارة بالقياس، وتارة بمطالبتهم بالبرهان إلى غير ذلك مما اشتمل عليه القرآن.

وبالجملة إنه لا يعرف الحق إلا من عرف الباطل كما نص عليه باب مدينة علم الرسول عليه وعلى آله الصلاة والسلام، وعلى هذا جرى أئمة العترة" وغيرهم، فإن كتبهم مشحونة بأقوال المختلفين أصولاً وفروعاً حتى بكلام الملاحدة والفلاسفة وشبههم مع الرد عليهم، وبيان بطلانها.

ومن كلام علي عليه السلام:(واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه، ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه). رواه في النهج[1].

وقال زيد بن علي عليه السلام: (أما بعد يا قارئ القرآن فإنك لن تتلو القرآن حق تلاوته حتى تعرف الذي حرفه، ولن تمسك بالكتاب حتى تعرف الذي نقضه، ولن تعرف الهدى حتى تعرف الضلالة، ولن تعرف التقى حتى تعرف الذي تعدى، فإذا عرفت البدعة في الدين والتكليف، وعرفت الفرية على الله والتحريف رأيت كيف اهتدى من هدي).

---

(١)- ص (٢٠٥-٢٠٦).

وقال القاسم بن إبراهيم عليه السلام: (فاعرف يا بني الحق ومن خالفه فإنك يا بني حينئذٍ تعرف الحق ومن أَلِفَهُ).

واعلم أن معرفة الحق قسمان معلومان، وجزآن عند المحققين مقسومان:

أحدهما: معرفة الحق في نفسه ونعته، وما أبانه الله من ضياء بينته.

والآخر: معرفة ما خالفه من الباطل، والبراءة إلى الله من جهل كل جاهل.

فاعرفهما جميعاً تعرف الحق وتوقنه، وتعرف قبيح كل أمر كان أو يكون وحسنه، ولا تغتر بهما جهلاً، ولا تكون لواحد منهما معطلاً، فتجهل بعض الحق أو تعطله، ولا تؤمن أن تركب بعض الباطل أو تفعله، ومتى لا تعرف الباطل لا تتبرأ من أهله، ومن لا يتبرأ من المبطل حل من السخط في محله، ومتى يجهل بعض الحق لا يؤمن على البراءة من المحق، ومن تبرأ من المحقين تبرأ الله منه، ومن أعرض عنه المحقون سخطاً أعرض الله عنه). ذكره في كتاب (الدليل الكبير).

ثم قال العلامة العجري ـ رحمة الله تعالى تغشاه ـ ص ٧٦:

وينبغي له مع إمعان النظر -أن يكون عالماً بالعربية بجميع أنواعها من المفردات، والقواعد النحوية، والبيانية وغيرها- محققاً في أصول الفقه، وعلم الكلام، ممارساً في الفقه وغيره من الفنون التي يريد استخراجها من القرآن؛ لأن بذلك يسهل عليه إدراك مآخذ المسائل، ولذا قال الغزالي: وإنما يحصل الاجتهاد في زماننا بممارسة الفقه فهو طريق تحصيل الدراية في هذا الزمان، ولم يكن الطريق في زمن الصحابة رضي الله عنهم ذلك.

وقال العجري رحمه الله تعالى:

اعلم أنه ينبغي له إمعان نظره وفكره، والصبر على التفطن والتفهم لما تضمنته الآيات من الدلالات، والرموز والإشارات؛ حتى يهجم على اليقين مما نبه عليه القرآن من البراهين العقلية، وما دل عليه من الأحكام الشرعية، والآداب المرضية، فلن يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان، وقد نبه الله على

هذا بتكرير الأمر بالنظر والتفكر والتذكر، وذم من لا يعقل ولا يفقه في آيات متعددة، ودل عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: ((من أخذ دينه عن التفكر في آلاء الله والتدبر لكتابه والتفهم لسنتي زالت الرواسي ولم يزُل...))[١] الخبر.

وقوله: ((فليولج بصره وليبلغ الطريقة نظره)).

وقوله: ((فإن التفكر حياة قلب البصير)) ونحو ذلك.

ومن كلام علي عليه السلام بعد أن ذكر أن الإيمان على أربع دعائم: (على الصبر، واليقين، والعدل، والجهاد، ثم قال: واليقين منها على أربع شعب: على تبصرة الفطنة، وتأول الحكمة، وموعظة العبرة، وسنة الأولين، فمن تبصر الفطنة تبينت له الحكمة، ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة فكأنما كان في الأولين، والعدل منها على أربع شعب: على غائص الفهم، وغور العلم، وزهرة الحكم، ورساخة الحلم، فمن فهم علم غور العلم، ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحلم، ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش في الناس حميداً). رواه في النهج[٢].

وقال عليه السلام في وصيته لولده الحسن": (وتفهم وصيتي ولا تذهبن عنك صفحاً). رواه في النهج[٣]، و(سلوة العارفين)[٤].

وفي هذه الوصية أيضاً ما رواه في النهج وهو قوله عليه السلام: (واعلم يا بني أن أحب ما أنت آخذ به إلي من وصيتي تقوى الله والاقتصار على ما فرضه الله عليك، والأخذ بما مضى عليه الأولون من آبائك والصالحون من أهل بيتك فإنهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر، وفكروا كما أنت مفكر، ثم ردهم آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا، والإمساك عما لم يكلفوا، فإن أبت نفسك

---

(١)- تمام الخبر: ((ومن أخذ دينه من أفواه الرجال ذهبت به الرجال من يمين إلى شمال، وكان من دين الله على أعظم زوال)) رواه الإمام أبو طالب في الأمالي (١١١).

(٢)- نهج البلاغة ص (٤٧٣).

(٣)- نهج البلاغة (٣٩٣).

(٤)- ص (٥٦٤).

أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفّهم وتَعلُّمٍ، لا بتورط الشبهات، وعلق الخصومات، وابدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة بإلهك، والرغبة إليه في توفيقك، وترك كل شائبة أولجتك في شبهة، أو أسلمتك إلى ضلالة، فإن أيقنت أن قد صفى قلبك فخشع، وتم رأيك فاجتمع، وكان همك في ذلك هماً واحداً فانظر فيما فسرت لك، وإن أنت[١] لم يجتمع لك ما تحب من نفسك، وفراغ نظرك وفكرك، فاعلم أنك إنما تخبط العشواء، وتتورط الظلماء، وليس طالب الدين من خبط أو خلط، والإمساك عن ذلك أمثل)[٢].

ثم ساق المؤلف العجري رحمة الله تعالى تغشاه ما قاله ابن أبي الحديد في شرح الكلام العلوي المبارك، وأجاب المؤلف على بعض التساؤلات.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين..



(١)- (وإن أنت) ص ٩ ج١ س ٢٣.، وفي النهج بدون (أنت) ولعلها أصوب.

(٢)- نهج البلاغة (٣٩٤-٣٩٥).

الدرس الثامن

أعربوا الكلام كي تعربوا القرآن

الحمد لله رب العالمين، الذي منّ علينا بوحي كتابه المبين، وتنزيله بالإعراب والتبيين، والصلاة والسلام على من أنزل عليه الفرقان تبياناً لكل شيء، محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، ومن همزات الشياطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون، إن الله هو السميع العليم.

اللهم نور بكتابك بصري، وأطلق به لساني، واشرح به صدري، ويسر به أمري، وأفرج به عن قلبي، واستعمل به جسدي، وقوني لذلك، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

والآن أُخَيَّ تعال معي لنرى ونسمع ما أعده لنا العلامة الولي، المجتهد المطلق، مثال الورع والزهد، علي بن محمد العجري ـ رحمة الله تعالى تغشاه ـ في الجزء الثاني من كتابه (مفتاح السعادة) من ص (١١٨٦) وما بعدها، قال:

المسألة السادسة: في اللحن في القراءة:

اللحن في الأصل: الانتقال، قال في المصباح: لحن في كلامه لحناً من باب نفع أخطأ في العربية، وفي المختار: اللحن: الخطأ في الإعراب، وبابه قطع، وقد اختلف العلماء في اللحن الذي تفسد به الصلاة، فقال زيد بن علي: اللحن يقطع الصلاة، وظاهره العموم، ويستدل له بما رواه في العلوم: قال حدثنا: أبو كريب، عن أبي زائدة، عن عبدالله بن سعيد، عن أبيه، عن أبي هريرة يرفعه قال: ((أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه)).

أبو زائدة: ذكره في الجداول وقال: روى عنه أبو كريب ولم يبين حاله، ولعله ابن أبي زائدة وهو يحيى بن زكريا ابن أبي زائدة الكوفي، أبوسعيد، وثقه ابن معين وأبو حاتم والعجلي والنسائي وغيرهم، توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة.

احتج به الجماعة، وروى له أئمتنا الأربعة.

وعبد الله هو: ابن سعيد بن أبي سعيد المقبري أبو عباد المدني.

قال (البخاري): تركوه، واحتج به الترمذي وابن ماجة، وروى له أبو طالب، والمرشد ووالده.

وأما سعيد المقبري: فقال في الجداول: سعيد بن سعيد بن كيسان المقبري، أبو سعيد المدني، عن أبيه وأبي سعيد وأنس وأم سلمة وعائشة وآخرين، وعنه ولده، وأبو معشر والليث وخلق، وثقه ابن المديني وأبو زرعة والنسائي وابن سعد والذهبي، لكنه اختلط في آخر عمره، قيل: أربع سنين قبل موته.

قال (الذهبي): وما أحسب أحداً أخذ عنه في الاختلاط، توفي سنة ثلاث أو خمس وعشرين ومائة.

احتج به الجماعة، وروى له أئمتنا الخمسة والنيروسي، والحديث رواه في الجامع الصغير ونسبه إلى ابن أبي شيبة والحاكم في المستدرك، والبيهقي في الشعب، وأخرجه ابن الأنباري.

وفي الجامع الصغير: من حديث أبي جعفر الأنصاري، التابعي معضلاً: ((اعربوا الكلام كي تعربوا القرآن))، ونسبه إلى ابن الأنباري في كتاب الوقف والابتداء، والمرهبي في كتاب فضل العلم.

قلت: هكذا قال العزيزي من حديث أبي جعفر الأنصاري، ووجدته منسوباً إلى الباقر عليه السلام من طريق المرهبي، ولفظه بعد أن ذكر ما يدل على الحث على تعلم العربية: ومن ذلك ما أخرجه المرهبي: عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب" أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((اعربوا الكلام...)) الخبر، ويؤيد ما ذهب إليه الإمام زيد بن علي عليه السلام اهتمام أمير المؤمنين عليه السلام بتدوين علم العربية وحفظه وحث السلف على تعلمه، وكذلك من بعدهم فإنهم لم يزالوا في الحث على تعلمه، والاهتمام بتحرير قواعده

وتهذيبها إلى يومنا هذا، فلو لم يكن إعراب القرآن واجباً لم يكن لذلك فائدة، وقد نبه الشارع على أن علة وجوب تعلم الإعراب هي إعراب القرآن، ولذا قيل: إن القراءة مع فقد الإعراب ليست قراءة ولا ثواب فيها، وقد وصف الله القرآن بأنه: عربي غير ذي عوج، وقراءة اللاحن ليست عربية ولا خالية عن العوج قطعاً.

ومن كلام السلف: ما روي عن أبي بكر أنه قال: لأن أقرأ وأسقط أحب إلي من أن أقرأ وألحن، أخرجه أبو طاهر عن الشعبي، وأخرج البيهقي: أن ابن عباس وابن عمر كانا يضربان أولادهما على اللحن، وأخرج عن عمر أنه قال: (تعلموا السنة والفرائض واللحن كما تعلمون القرآن).

وأخرج (المرهبي): عن جابر قال: مر عمر بقوم قد رموا رشقاً فأخطأوا، فقال: ما أسوأ رميكم، فقالوا: نحن متعلمين، فقال: لحنكم أشد علي من رميكم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((رحم الله امرأً أصلح من لسانه)).

وأخرج ابن الأنباري: عن عباد المهلبي قال: سمع أبو الأسود الدؤلي رجلاً يقرأ: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة:٣] بالجر، فقال: لا أظنني يسعني إلا أن أضع شيئاً يصلح به لحن هذا الكلام أو كلاماً هذا معناه، والآثار في ذلك كثيرة وكلها تدل على قبح اللحن مطلقاً، فكيف باللحن في قراءة الصلاة التي هي أم العبادات، والمراد باللحن المفسد هو اللحن في إعراب الكلمة، وتغيير بنيتها لا ترك التجويد الذي لا يعرفه إلا علماء القراءة، وإن كانوا قد عدوه لحناً لأنهم قسموا اللحن إلى جلي وخفي.

قال في (الإتقان): فاللحن خلل يطرأ على الألفاظ فيخل، إلا أن الجلي يخل إخلالاً ظاهراً يشترك في معرفته علماء القراءة وغيرهم، وهو الخطأ في الإعراب، والخفي يخل إخلالاً يختص بمعرفته علماء القراءة وأئمة الأداء الذين تلقوه من أفواه العلماء، وضبطوه من ألفاظ أهل الأداء.

قلت: والقول بوجوب مراعاة هذا على كل قارئ ومصل ينافي التيسير الذي أراده الله بنا، ويمنع رفع الحرج الذي رفعه الله عنا؛ إذ لا يهتدي لذلك إلا خواص من الناس بعد رياضة وتعب، ولذا قال الجزري: لا أعلم لبلوغ الغاية في التجويد مثل رياضة الألسن والتكرار على اللفظ المتلقى من فم المحسن، وقد كان العجم يتعلمون القرآن في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومن المعلوم أن ألسنتهم لا تواتيهم على النطق به على مقتضى قواعد التجويد، ولم يأمرهم بتعلمها، يدل على ذلك ما أخرجه أبو داود عن جابر قال: خرج علينا رسو الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نقرأ القرآن، وفينا الأعرابي والعجمي، فقال: ((اقرءوا فكل حسن، وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه)).

هذا وأما أئمة الفقه فلهم في المسألة أبحاث وتفاصيل فيما بينهم، واختلاف لا يخلو بعضه عن التحكم بلا دليل، ولا بأس بذكر أقوالهم.

فنقول: قال الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام: اللحن المفسد ما كان راجعاً إلى تحريف اللفظ كالحمد لله بالخاء المعجمة، أو فساد المعنى كجر ورسوله من قوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣]، وضم التاء من: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، أو إلى فساد النظم كالتقديم والتأخير، أو إلى مفردات الكلمات كترك بعض تشديدات الفاتحة أو ما بعدها، وما عدا ذلك فليس بمفسد، ولو زاد في المد أو نقص حرفاً زائداً كلام التعريف أو التنوين لكنه يجب عليه التعليم لذلك، ولا تفسد به الصلاة؛ لأن الإخلال بواجب التعليم أمر خارج عن الصلاة، واستدل له في الروض بحديث جابر، ويجاب بأن النقص المذكور يوجب خللاً في النظم، ونقصاً في الإعجاز، وهو الفائدة العظمى في تنزيله، وربما فسد به المعنى.

وأما حديث جابر فمحمول على أن بعضهم وقع منه نقصان في محسنات التلاوة التي لا تضر كقواعد التجويد، ويؤيده قوله: ((يقيمونه كما يقام القدح)).

وقال (النووي): لا يفسد منه إلا ما كان في الفاتحة، وأخل بالمعنىٰ كضم تاء: ﴿أَنْعَمْتَ﴾، وكسر كاف: ﴿إِيَّاكَ﴾ وإلا فلا، بل يكره كفتح الباء من: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ﴾.

لنا ما مر مع ما في ذلك من التحكم[1] ومخالفة هديه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهدي أصحابه إذ لم تؤثر عن أحد منهم القراءة الملحونة مطلقاً[2].

وحكىٰ في (الروض): عن المقبلي أنه أشار في المنار إلىٰ أن الذي لا يتمكن من إقامة الإعراب أو من سبقه لسانه معذور في ذلك؛ إذ قد فعل ما يمكنه ولا دليل علىٰ الفساد في حقه، وأما العامد إلىٰ اللحن مع تمكنه من الإعراب فهو مخل بما يجب عليه من صيانة الكتاب العزيز من التغيير عن وضعه فتفسد لذلك صلاته، ولكونه مخلاً ببلاغته مخرجاً له إلىٰ حيز الابتذال، ولو كان في الظاهر قرآناً.

وأجيب: أما من سبقه لسانه ولم يعلم فلا شك في كونه معذوراً، وأما الذي لا يتمكن من الإعراب فقد أرشده الشارع إلىٰ التسبيح.

وقوله: لا دليل علىٰ الفساد في حقه ممنوع، بل دليله ما ذكره من الإخلال بصيانة الكتاب العزيز، وإخراجه إلىٰ حيز الابتذال، فالأولىٰ أن يقال: لا دليل علىٰ كونه معذوراً.

قلت: والظاهر من كلامه في المنار أن اللحن غير مفسد مطلقاً، ذكره في شرح قوله واللحن الذي لا مثل له فيهما، وإنما فهم صاحب الروض التفصيل من إلزامه لأهل المذهب الفساد مطلقاً أو عدمه مطلقاً، وقد وهم بعض الناظرين، فقال: إن كلامه متدافع فإن أوله يقتضي أن القرآن لا يكون قرآناً إلا بجوهر لفظه وتركيبه وصفاته، وآخره يقتضي أن اللحن لا يضر، ولا تدافع فيه فإن أوله إلزام، وآخره التزام، وقد استدل علىٰ عدم الإفساد بحديث جابر وقد مر تأويله،

(١)- يعني بالفرق بين لحن ولحن تمت مؤلف.

(٢)- أي: سواء غيرت المعنىٰ أم لا. تمت مؤلف.

وممن قال بعدم الإفساد مطلقاً: الحسن الجلال، واستدل بأن الإعراب هيئة للفظ ليست من جوهره، ولا مما قام دليل عقلي ولا نقلي على وجوبه، وهو مجازفة لما قدمنا من الأدلة على ذلك، وكيف يقول: لا دليل على وجوب الإعراب مع اهتمام السلف والخلف بحفظ قواعده، وتقييد شوارده، وعدم اعتدادهم بعلم من لا يعرفه، بل منع بعضهم رواية الحديث ملحوناً وقال إن الراوي له كذلك داخل في عموم حديث: ((من كذب علي متعمداً))، لأن النبي ﷺ لم ينطق به ملحوناً فكيف بكلام الله تعالى، فإن قيل: قد ورد ما يدل على عدم وجوب إعراب القرآن، وهو ما أخرجه البيهقي من حديث ابن عمر مرفوعاً: ((من قرأ القرآن فأعربه كان له بكل حرف عشرون حسنة، ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنات)).

وفي (تفسير القرطبي): عن أبي بكر بن الأنباري قال: حدثني أبي، قال: حدثنا إبراهيم بن الهيثم، قال: حدثنا آدم يعني ابن أبي إياس، قال: حدثنا أبو الطيب المروزي، قال: حدثنا عبدالعزيز ابن أبي رواد، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: ((من قرأ القرآن فلم يعربه وكل به ملك يكتب له كما أنزل بكل حرف عشر حسنات، فإن أعرب بعضه وكل به ملكان يكتبان له بكل حرف عشرين حسنة، فإن أعربه كله وكل به أربعة أملاك يكتبون له بكل حرف سبعين حسنة)).

أما ابن الأنباري فهو: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار النحوي، أبو بكر المعروف بابن الأنباري.

قال (ابن خلكان): كان صدوقاً ثقة ديناً خيراً من أهل السنة، وأثنى عليه غيره، توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، روى له أبو طالب والمرشد بالله والسيلقي.

وأما أبوه فقال ابن خلكان: كان موافقاً في الرواية صدوقاً أميناً، توفي سنة أربع أو خمس وثلاثمائة، روى له أبو طالب والسيلقي.

وأما ابن الهيثم فهو: البلدي، وثقه الدارقطني، وروى له المرشد بالله.

وأما أبو الطيب فذكره الذهبي في الميزان، وقال: أبو الطيب الحربي، وذكر من مروياته هذا الحديث بالسند المذكور، ورماه بالكذب جرحاً مطلقاً.

وأما عبد العزيز بن أبي رواد فهو: المكي الأزدي، روى عن الباقر وغيره، وثقه ابن معين، وأبوحاتم، وقال يحيى بن سليم: كان يرى الإرجاء، وقال يحيى القطان: ثقة لا يترك لرأي أخطأ فيه، توفي سنة تسع وخمسين ومائة.

احتج به الأربعة، وروى له أبوطالب، والمرشد بالله.

قيل: قد أجيب بأن المراد بالإعراب في الحديث معرفة معاني ألفاظه، وليس المراد به ما قابل اللحن، والموجب للتأويل ما مر من قبح القراءة الملحونة والقبيح لا يثاب عليه، لكنه يمنع هذا التأويل ما في رواية المرشد بالله من الدلالة على أن المراد بالإعراب ما قابل اللحن، ولفظه في أماليه عليه السلام: أخبرنا ابن عبد الرحيم[1]، أنا ابن حبان، أنا حمزة البغدادي، ثنا نعيم بن حماد، ثنا نوح بن أبي مريم، حدثنا زيد العمي، عن ابن المسيب، عن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من قرأ القرآن فأعربه كان له بكل حرف أربعون حسنة، ومن أعرب بعضها ولحن في بعض، كان له بكل حرف عشرون حسنة، ومن لم يعرب منها شيئاً كان له بكل حرف عشر حسنات)).

ابن حبان هو: عبد الله بن محمد بن حبّان الأصفهاني، حافظ أصفهان، وسيد زمانه، صاحب الطبقات السائرة، ويعرف بأبي الشيخ، لقي الكبار، قال ابن مردويه: ثقة مأمون، وقال الخطيب: حافظ متقن، توفي سنة تسع وستين وثلاثمائة، روى له المرشد بالله فأكثر.

---

(١)- في الأصل: عبد الرحيم.

وأما حمزة: فذكره في الجداول من رجال المرشد بالله، وقال هو: حمزة بن محمد البغدادي، الكاتب عن نعيم بن حماد، وعنه أبو الشيخ.

وأما نعيم[١] فهو: نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي، أبو عبد الله المروزي، صاحب التصانيف، وثقه أحمد ويحيى، وأخذ عنه العجلي، وقال ابن عدي: له أحاديث منكرة ثم ذكرها، قال: وأرجو أن تكون باقي أحاديثه مستقيمة، توفي في السجن سنة ثمان وعشرين ومائة.

وأما نوح بن أبي مريم فهو: أبو عصمة، وصف بالعلم الكثير حتى قيل في وصفه: الجامع للعلوم، أخذ الفقه عن أبي حنيفة، واستقضاه الدوانيقي على(مرو)، وطالت أيامه.

قال في (الجداول): تكلموا عليه، توفي سنة ثلاث وسبعين ومائة، احتج به الترمذي، ووثقه المنصور بالله.

وزيد العمي هو: زيد بن الحواري أبو الحواري البصري.

قال (أحمد) و(الدارقطني): صالحٌ احتج به الأربعة، وروى له المرادي، وأبو طالب، والسيلقي، والسمان، والحديث ذكره في الميزان، وهو نص في أن القراءة الملحونة تسمى قراءة، والمقروء بها يسمى قرآناً، وذلك يستلزم صحة الصلاة بها وإجزاءها لحصول شرط الصحة، وهو قراءة القرآن في الصلاة، ويؤيده ظاهر حديث جابر وما في الجامع الصغير: ((إذا قرأ القاريء فأخطأ أو لحن أو كان أعجمياً كتبه الملك كما أنزل))، ونسبه إلى مسند الفردوس عن ابن عباس، وضعفه في الشرح.

فإن قيل: الخلل في الإعراب يزيل فصاحة اللفظ التي هي أحد نوعي الإعجاز، قيل: المعتبر أن يكون معجزاً في نفس الأمر، وأن يعرف إعجازه

---

(١)- بفتح النون وكسر العين. تمت مؤلف.

جماعة وافرة يحصل بخبرهم العلم به وإلا لما كان حجة على العجم، ولذا جعلوا تعلم علوم العربية من فروض الكفاية، وإنما أوجبوه لأجل معرفة إعجاز القرآن، وما دل عليه من المواعظ والأحكام وغيرها، وهذا كالتصريح بأن معرفة وجوه الإعجاز ومدلولات الألفاظ لا تجب في حق كل مكلف، بل قد صرحوا بذلك، وهو يدل على أن تعلم الإعراب لا يجب على كل أحد؛ إذ لا وجه لوجوبه سوى هذين الأمرين، وبه ينتفي قبح الخلل الحاصل باللحن من بعض المكلفين. والله أعلم. وأما أهل المذهب فقالوا: اللحن في أذكار الصلاة في قرآن وغيره لا يفسد إلا في حالين:

الأول: أن لا يكون له نظير في سائر أذكار الصلاة، ومثَّلوه بكسر الباء الموحدة من النجم الثاقب إذ هو كالكلام، فإن كان له نظير لم يفسد نحو: ﴿وَنَادَى نُوحٌ﴾ [هود:٤٢]، إذ لنصب نوح نظير في: ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ [هود:٢٥].

الثاني: أن يكون له نظير لكنه وقع في القدر الواجب ولم يعده صحيحاً لنقص القراءة فإن أعاده صحيحاً صحت إن كان سهواً لا عمداً فتبطل، لأنه من الجمع بين لفظتين متباينتين إلا في أحد قولي(م) بالله، وقد اعترضهم المقبلي، وحاصل اعتراضه أن كون تلك اللفظة من أذكار الصلاة بجوهرها فقط دون صفاتها، أومع بعض الصفات لا يصيرها قرآناً إذ لم يكن القرآن قرآناً بجوهر اللفظ، بل القرآن وكل كلام متركب من جوهر لفظ وصفاته كالإعراب والمد والقصر، وكذلك ما يحصل من اجتماع بعض الكلمات مع بعض، ومن هيئة التركيب والعوارض الحاصلة بالمقام، فاللفظ الذي يوجد جوهره دون صفاته يلزمهم أن يفسد أو يلزمهم أن كل كلام لا يضر لأن الجوهر موجود فيه، أعني الحروف، وكذلك مفردات الكلام كثير منها موجود في القرآن كيحيى والحجر والغنم وغير ذلك، فتجويزهم لبعض دون بعض تحكم، ثم قال: وهؤلاء أهل الإسلام لا يكاد يتم صحة اللفظ منهم إلا في أفراد أهل العناية بذلك بل وسهولة الأداء

والقراءة بلحون العرب بخلاف المتكلفة والمتشبهين بالمغنين، فقلما تصح صلاة على أصلكم ولم يصح عن السلف شيء تتأسون به.

وقد كان العجم يدخلون في دين الله أفواجاً ولم يروى التفات السلف إلى معاناتهم وتهويل أمر اللحن، ثم احتج بحديث جابر.

قلت: كلامه يوهم أنهم يشترطون مراعاة قواعد أهل الأداء من المد والقصر ونحوهما، وليس كذلك فإنهم قد نصوا على أنه لو نون حال الوقف أوترك التنوين حال الوصل أولم يشبع الحروف فإن ذلك لا يضر، وكذا لو قصر الممدود والعكس سواء أعاد أم لا، وكذا لو قطع همزة الوصل بل يفسدها وصل همزة القطع للنقص، نعم أما لو جعل الضاد ظاء أو العكس فتفسد عند أهل المذهب لنقص القراءة إذ هو كإبدال الحاء المهملة بالخاء المعجمة إلا أن يكون له نظير كظنين.

وقال (الإمام يحيى) و(الإمام عز الدين) و(الرازي): لا لشدة المشابهة بينهما من حيث أنهما معاً من الحروف المجهورة والرخوة والمطبقة، ولأن الضاد يحصل فيه انبساط لرخاوته حتى يقرب من مخرج الظاء.

قالوا: فلأجل هذه المشابهة يعسر الفرق بينهما حتى لا يدركه إلا خواص المميزين والقراء، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وقالﷺ: ((بعثت بالحنيفية السمحة)). ويؤيده حديث: ((أنا أفصح من نطق بالضاد))، فإنه يدل على تفاوت الناس في النطق به من مخرجه وذلك يكون إما لاختلافهم في التمييز التام بين مخرجه ومخرج الظاء، أو لاختلاف فصاحة ألسنتهم عند النطق بالحرف، وعلى أيهما فقد حصل الغرض، إذ لو كان يجب النطق بالحرف على وجهه لما وقع التفضيل ولبينه النبيﷺ.

قال (الرازي): لو كان هذا الفرق معتبراً لوقع السؤال عنه في زمان رسول اللهﷺ، وفي أزمنة الصحابة، لاسيما عند دخول العجم في الإسلام، فلما لم

ينقل وقوع السؤال علمنا أن التمييز بين هذين الحرفين ليسا في محل التكليف.

فائـدة حديث: ((أنا أفصح من نطق بالضاد)) لم أقف على تخريجه.

وحكى في المقاصد الحسنة عن ابن كثير أنه لا أصل له، قال ومعناه صحيح.

تنبيـه: قد مرت الإشارة إلى أن الجمع بين لفظتين متباينتين نحو: يا عيسى ابن موسى مما تفسد به الصلاة؛ لأن هذه الكلمات وإن كانت آحادها في القرآن فتركيبها ليس فيه فهو من كلام الناس، لكن إنما يفسد إذا كان عمداً على المذهب، وهو أحد قولي المؤيد بالله وعنه لا تفسد فإن كان سهواً لم تفسد قولاً واحداً.

قال العلامة العجري في (ج٢/ ١١٨٢): وإذا تقرر لك هذا علمت أن القراءة الصحيحة ما صح سندها تواتراً أو آحاداً، ولا يلزم من ذلك خروج بعض القرآن عن كونه قطعياً؛ لأن القرآن هو جوهر اللفظ والقراءة صفة له، ولا محذور في عدم تواترها إذ يحصل المقصود منها والفائدة المترتبة عليها مع كونها آحادية.

هذا ولسنا نقول بأن كل قراءة آحادية، بل بعضها متواتر، ولا خلاف فيه بين الأمة، وبعضها آحادي وتصح صلاة من قرأ بها ..الخ كلامه رحمة الله تعالى عليه.



الدرس التاسع

فضائل سورة الفاتحة وخواصها

الحمد لله رب العالمين، الذي جعل الهدى فيما نزّل من كتابه مكمّلاً، ونزّل برحمته للعباد منه بياناً كريماً مفصلاً، فيه لمن استغنى به أغنى الغنى، نور أعين القلوب المبصرة، وحياة ألباب النفوس المطهرة، مفتاح كل نجاة ورحمة، قول أرحم الراحمين، وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، فأي منزّل سبحانه ونازل وتنزيل.

والصلاة وأشرف التسليم على المنزل عليه الكتاب المبين، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً من يومنا هذا إلى يوم الدين.

اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، وفي قبضتك، ناصيتي بيدك، ماض فيّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي..

والآن أخي المطلع تعال معي لنرى ونسمع ما قد حصله لنا الولي العلامة الحجة الفهامة سيد بني الحسن، علي بن محمد العجري ـ رحمة الله تعالى تغشاه ـ في كتابه (مفتاح السعادة) ج٢/ ١٢٨٩، قال:

المسألة الثانية عشرة: في فضائل سورة الفاتحة وخواصها:

أخرج الثعلبي في تفسيره والواحدي في أسباب النزول: عن علي عليه السلام قال: (نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش)، وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده بلفظ: حدثنا نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنها أنزلت من كنز تحت العرش، وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف وأبو سعيد بن الأعرابي في معجمه والطبراني في الأوسط من طريق مجاهد، عن أبي هريرة: أن إبليس رن حين أنزلت فاتحة الكتاب وأنزلت بالمدينة.

وروى أبو بكر بن الأنباري في كتاب (الرد): عن مجاهد قال: إن إبليس لعنه الله رن أربع رنات: حين لُعِنَ، وَحين أُهْبِطَ من الجنة، وحين بُعِثَ محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وحين نَزَلَتْ فاتحةُ الكتاب، وَأُنْزِلَتْ بالمدينة، وأخرجه وكيع في تفسيره وأبو الشيخ في (العظمة) وأبو نعيم في (الحلية) ذكره في (الدر المنثور) من دون قوله: وأنزلت بالمدينة.

وقال (الهادي): فهل في القرآن فيما نزل الله من النور والبرهان شيء هو أعظم من سورة الحمد لأنها أم الكتاب، ولما فيها من أسماء رب الأرباب، وتوحيده جل جلاله، وتقدست أسماؤه، وفيما عظم الله من قدرها، وشرف سبحانه من أمرها ما يروى عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيها أنه قال: ((والذي بعثني بالحق نبياً ما في التوراة ولا في الإنجيل الكريم ولا في الزبور ولا في القرآن العظيم مثلها، وإنها للسبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته)).

ذكره في الأحكام، وفي معناه حديث أبي سعيد بن المعلى وقد مر من رواية المرشد بالله والبخاري وغيرهما، وأخرج البيهقي في (الشعب): عن الحسن قال: أنزل الله مائة وأربعة كتب أودع علومها أربعة منها: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، ثم أودع علوم التوراة والإنجيل والزبور الفرقانَ، ثم أودع علوم القرآن المفصّل، ثم أودع المفصل فاتحةَ الكتاب، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة.

وأخرج أبو عبيد في فضائله: عن الحسن، قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((من قرأ فاتحة الكتاب فكأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان)).

وأخرج أبو عبيد وأحمد والدارمي والترمذي وصححه والنسائي وابن خزيمة وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو ذر الهروي في فضائل القرآن، والبيهقي في سننه عن أبي هريرة أن رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: خرج على أبي بن كعب فقال: ((يا أبي)) وهو يصلي فالتفت أبي فلم يجبه فصلى أبي فخفف

ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: ((ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك؟ فقال: يا رسول الله كنت في الصلاة.

فقال: أفلم تجد فيما أوحى الله إليَّ أن: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤]، قال: بلى، ولا أعود إن شاء الله، قال: أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولافي الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، قال: نعم يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: كيف تقرأ في الصلاة؟ فقرأ بأم القرآن، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، وإنها السبع من المثاني أو قال: السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته)).

وأخرج الدارمي والترمذي وحسنه والنسائي وعبد الله بن أحمد بن حنبل في (زوائد المسند) وابن الضريس في (فضائل القرآن) وابن جرير وابن خزيمة والحاكم وصححه من طريق العلاء عن أبيه، عن أبي هريرة عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثل أم القرآن، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيت وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل)).

وأخرج ابن الضريس في (فضائل القرآن) والبيهقي في (الشعب): عن أنس عن النبي ﷺ قال: ((إن الله أعطاني فيما منَّ به عليَّ: إني أعطيتك فاتحة الكتاب وهي من كنوز عرشي ثم قسمتها بيني وبينك نصفين)).

وأخرج مسلم والنسائي وابن حبان والطبراني والحاكم عن ابن عباس قال: بينما رسول الله ﷺ جالس وعنده جبريل، إذ سمع نقيضاً من السماء من فوق، فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال: يا محمد هذا ملك قد نزل لم ينزل إلى الأرض قط، قال: فأتى النبي ﷺ فسلم عليه فقال: أبشر بنورين قد أوتيتهما

لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفاً منها إلا أوتيته.

وأخرج الحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبو ذرالهروي، والبيهقي في (الشعب) عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((أعطيت سورة البقرة من الذكر الأول، وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش والمفصَّل نافلة)).

وفي تفسير القرطبي عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((فاتحة الكتاب وآية الكرسي و ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران:١٨]، و﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران:٢٦]، هذه الآيات معلقات بالعرش ليس بينهن وبين الله حجاب)). وقال أسنده أبو عمرو الداني في كتاب (البيان) له.

قلت: ورواه السيد العلامة عبد الله بن أحمد الشرفي في تفسيره المسمى بالمصابيح في تفاسير أهل البيت"، ونسبه إلى (النجم الزاهر) إلا أنه قال: مشفعات موضع: معلقات، ولم يذكر قوله بالعرش، ورواه أيضاً في (الدر المنثور) من حديث علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بأبسط من هذا، وسيأتي في سورة آل عمران إن شاء الله.

وعن أبي أمامة، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((أربع أنزلن من كنز تحت العرش لم ينزل منه شيء غير هذا، أم الكتاب، فإنه يقول: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف:٤]، وآية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة ، والكوثر)) ذكره في (الدر المنثور) وقال: أخرجه أبو الشيخ في (الثواب) والطبراني وابن مردويه والديلمي والضياء المقدسي في (المختارة) وهو في أمالي المرشد بالله قوله من كنز، الكنز: النفائس المدخرة.

قيل: وفيه إشارة إلى أنها ادخرت للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولم تنزل على من قبله والقرآن كله كذلك، وخص ما ذكر لشرفه. والحديث أخرجه ابن الضريس عن أبي أمامة موقوفاً.

وأخرج البخاري والدارمي في مسنده وأبو داود والترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه في تفاسيرهم: عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني)).

وأخرج أحمد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه: عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لأم القرآن: ((هي أم القرآن، وفاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني، وهي القرآن العظيم)). وأخرج الطبراني في الأوسط بسند ضعيف:

عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من قرأ أم القرآن وقل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن)).

وأخرج عبد بن حميد والفريابي عن ابن عباس قال: فاتحة الكتاب ثلث القرآن. وأخرج عبد بن حميد بسند ضعيف عن: ابن عباس يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((فاتحة الكتاب تعدل بثلثي القرآن)).

وأخرج الحاكم وصححه، وأبو ذر الهروي في فضائله والبيهقي في (الشعب) عن: أنس قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مسير له فنزل فمشى رجل من أصحابه إلى جنبه، فالتفت إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ((ألا أخبرك بأفضل القرآن؟)) فتلا عليه: الحمد لله رب العالمين.

وفي (أمالي المرشد بالله): أخبرنا ابن السواق، أنا الفرقدي، أخبرنا إبراهيم بن شريك، حدثنا أحمد بن عبد الله، حدثني سلام بن سليم، حدثني هارون بن كثير عن زيد بن أسلم، عن أبي أمامة، عن أبي بن كعب، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا أبي إن جبريل عليه السلام أمرني أن أقرأ عليك القرآن، وهو يقرئك السلام))، قلت: يا رسول الله إنه كما كانت لي منك خاصة بقراءة القرآن خصني بثواب القرآن مما علمك الله وأطلعك عليه قال: ((نعم يا أبي أيما مسلم قرأ فاتحة الكتاب فكأنما قرأ ثلثي القرآن وكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة)).

وفي رواية قال ﷺ: ((أيما مسلم قرأ فاتحة الكتاب أعطي من الأجر كأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة)).

أما الفرقدي فقد مر ذكره.

وأما إبراهيم بن شريك: فهو الأسدي روى عن أحمد بن عبد الله اليربوعي، قال في الطبقات: مقبول.

وأما أحمد بن عبد الله فذكر في (الجداول) من جملة الآخذين عن سلام بن مسلم أحمد بن عبد الله بن يونس وقال في ترجمته: أحمد بن عبد الله بن يونس الغدراني وذكر مشائخه، قال وعنه الشيخان وأبو داود، توفي سنة سبع وعشرين ومائتين، قال أبو حاتم: ثقة متقناً، احتج به الجماعة وروى له الأخوان والمرشد بالله والسيلقي.

وأما سلام: فقال في (الجداول): سلام بن سلم، ويقال ابن سليمان أخذ عن الصادق وحمزة الزيات، ثم قال تكلموا فيه وكذبه بعضهم، وصحح روايته الإمام أحمد بن هاشم ويحيى الداني.

وأما هارون بن كثير فذكر في (الجداول) تصحيح الإمام أحمد بن هاشم لروايته لحديث فضائل القرآن وقال: إن الذهبي زعم أن هارون هذا مجهول، وأجاب بأن تعريف المرشد بالله كاف.

وأما زيد بن أسلم فهو ثقة مشهور وكان زين العابدين يجلس إليه. واعلم أن هذا الإسناد هو أحد الطريقين للحديث الطويل المتصل بأبي بن كعب في فضائل سور القرآن، وقد أورده الزمخشري وغيره في تفاسيرهم، وقد ادعى جماعة من المحدثين أنه موضوع.

قال في (تخريج الكشاف) (لابن حجر): حديث أبي بن كعب في فضائل القرآن سورة سورة.

أخرجه الثعلبي من طرق عن أبي بن كعب كلها ساقطة، وأخرجه ابن مردويه من طريقين، وأخرجه الواحدي في الوسيط وله قصة ذكرها الخطيب، ثم ابن الصلاح عمن اعترف بوضعه ولهذه روي عن أبي عصمة أنه اعترف بوضعه.

قلت: ولعل القصة المشار إليها هي ما روي أن المدعي لوضعه أراد ترغيب الناس في تلاوة القرآن وسيأتي الجواب عنها.

وأما أبو عصمة المذكور فهو: نوح بن أبي مريم وقد تقدم توثيق المنصور بالله له، وقال في الإتقان وغيره:

أخرج الحاكم في (المدخل) بسنده إلى أبي عمار المروزي أنه قيل لأبي عصمة الجامع من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟ فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة، ومغازي ابن إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة، وكان يقال لنوح هذا الجامع لما جمعه من العلوم فقيل: جمع كل شيء إلا الصدق.

وقال (أبو عمر بن عبد البر) و(عثمان بن الصلاح): وهكذا الحديث الطويل الذي يروى عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فضل القرآن سورة سورة وقد بحث باحث عن مخرجه حتى انتهى إلى من اعترف بأنه وجماعة وضعوه وإن أثر الوضع عليه لبين، وقد خُطِّأَ الواحدي المفسر ومَنْ ذكره من المفسرين في إيداعه كتبهم، قال في (تنقيح الأنظار): لكن من أبرز إسناده منهم فهو أبسط لعذره إذ قد أحال نظره على الكشف عن سنده.

قلت: وقد ذكر الباحث عنه ابن حبان في مقدمة تاريخ الضعفاء، فقال: روى ابن مهدوي قال: قلت لميسرة بن عبد ربه: من أين جئت بهذه الأحاديث من قرأ كذا وكذا فله كذا؟ قال: وضعتها أرغب الناس فيها، وروينا عن المؤمل بن إسماعيل قال: حدثني شيخ بحديث أبي بن كعب في فضائل سور القرآن سورة

سورة فقال: حدثني رجل بالمدائن وهو حي فصرت إليه فقلت له: من حدثك؟ قال: حدثني شيخ بواسط وهو حي فصرت إليه فقلت له: من حدثك؟ فقال: حدثني شيخ بالبصرة فصرت إليه فقلت له: من حدثك؟ فقال: حدثني شيخ بعبادان فصرت إليه فأخذ بيدي فأدخلني بيتاً فإذا فيه من المتصوفة وبينهم شيخ فقال: هذا الشيخ حدثني فقلت: يا شيخ من حدثك؟ فقال: لم يحدثني أحد ولكنا رأينا الناس قد رغبوا في[1] القرآن فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن، وقد ذكر نحو هذا النووي، وقد أجاب عن ذلك الإمام أحمد بن هاشم عليه السلام في السفينة فقال: ما حاصله هذا باطل يجب طرحه لأربعة وجوه:

الأول: أن قوله وضعه رجل من عبادان غير مصدق لجواز أن يكون فاسقاً أو ملحداً، قاله تنقيصاً لقدر القرآن وتزهيداً في فضله، وأي فائدة في فضيلة باطنها الفساد وتلبيس الحق بالباطل، هذا مع الجهل بحال الرجل يعني المدعي للوضع.

الثاني: أنه لو كان معلوماً فلا يجوز تصديقه لتصريحه بأنه قد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحينئذ يجب تكذيبه وإطراح قوله - يعني فيما قاله من وضع الحديث-، فإن قيل: فما يؤمننا أن يكون صادقاً في قوله فنكون قد عملنا بما هو كذب في نفس الأمر.

قيل: هذا من منازعة النفس وملاحظتها لقوله وقد وجب طرحه، ويرجع النظر إلى طريق توصلنا إلى صحة الحديث وقد وجدت.

الثالث: أن الحديث قد رواه المرشد بالله في أماليه الكبرى، الذي قال فيها الشيخ محيي الدين القرشي رحمه الله: أن مؤلفها قد جمع فيها محاسن أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعيونها، ورواها بأسانيد صحيحة عند علماء هذا الشأن، وقيد المواضع المشتبهة بتقييدات لا تكاد توجد في موضع.

---

(١)- عن (ظ) تمت مؤلف.

وذكر الحكم عليها بالصحة في مقدمتها، ويكفي ذلك الكتاب شرفاً تلقي العترة له بالقبول واعتمادهم عليه، ورجوعهم إليه، قال: فروى الإمام الحديث من طريقتين صحيحتين متصلتين بأبي بن كعب اجتماعهما في هارون بن كثير فكيف يكذب إمام من أئمة المسلمين بتصديق كذاب، قال: كذبت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الرابع: قال الإمام عليه السلام أنه قد ذكر في السفينة أذكاراً قرآنية بطرق مختلفة وجميعها شاهدة لصحة حديث أبي، فإن المروج لقبول رجل من عبادان استبعاد تلك الفضائل أو توهم الاتكال عليه، ونحن نقطع أن في بعض تلك الروايات ما هو أعظم أجراً مما تضمنه حديث أبي، فإن كان المرجع الصحة فهذه طرقها، وإن كان المرجع قبول الأذهان وحب تكذيب هذه كما كذب حديث أبي، والفرق تحكم، ولا يستبعد كثرة الثواب، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لمن استبعد بعض الفضائل: ((خير الله أكثر وأطيب)).

هذا حاصل ما أجاب به الإمام في الوجه الرابع.

ونحن نقول: قد أتينا في هذه المسألة بما يشهد لصحة حديث أبي في الجملة، وبما يدفع الاستبعاد كما ذكره الإمام عليه السلام، ثم إنا نقول ما ذكروه من رواية أبي عصمة عن ابن عباس شاهدة لرواية المرشد بالله لما مر من توثيق أبي عصمة وجلالته في العلم، ولا نسلم ما رووه عنه من وضع الحديث.

وأما أبو ميسرة فلو سلم أنه وضاع فلا نسلم وضعه لهذا الحديث الذي رواه المرشد بالله إذ ليس من رجال إسناده.

ثم قال المؤلف العجري رحمة الله تعالى تغشاه:

واعلم أن ليس في رجال المرشد بالله عليه السلام أحد من هؤلاء الثلاثة المجروحين.

فالواجب على المنصف إن لم يكتف بتصحيح الإمام أحمد بن هاشم وغيره أن لا يجزم بوضع الحديث حتى يبحث عن رجال المرشد بالله، ثم: يحكم بعد ذلك

بما ظهر له من صحة أو ضعف أو وضع أو غير ذلك بحسب ما يتحصل من البحث، وها هنا قاعدة فيما يجب على من سمع حديثاً أن يفعل، ذكرها العلامة المقبلي وهي أن الواجب على من سمع حديثاً أن يجعله في محل الاحتمال، ثم ينظر في أمارات الثبوت والانتفاء، فإن حصل ظن أو علم بالثبوت عمل به بلا شك في مثل ذلك الحكم إن قطعاً وإن ظناً، وينظر أيضاً في أمارات الانتفاء، فإن دل دليل على عدم صحته يوجب العلم وجب البيان، وإن كان ظنياً حكى ما وقع ولا يجوز نفيه إلا مع العلم حتى قال بعض المصنفين في علم الحديث: لو قال الكذوب كذبت في هذا الحديث لم يصدق في تكذيبه نفسه لجواز أن التكذيب كذب، ونعم ما قال.

ثم قال المؤلف العجري رحمه الله استكمالاً لفضائل سورة الفاتحة:

وأخرج الطبراني في الأوسط بسند ضعيف، عن أبي زيد وكانت له صحبة. قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بعض فجاج المدينة، فسمع رجلاً يتهجد ويقرأ بأم القرآن، فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاستمع حتى ختمها، فقال: ((ما في الأرض مثلها)).

وأخرج ابن الضريس عن أبي قلابة مرفوعاً: ((من شهد فاتحة الكتاب حين تستفتح كان كمن شهد فتحاً في سبيل الله، ومن شهد حتى تختم كان كمن شهد الغنائم حتى تقسم)).

وعن علي عليه السلام: (من قرأ فاتحة الكتاب، فقال الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه صرف الله عنه سبعين نوعاً من البلاء أهونها الهم). رواه زيد بن علي في المجموع.

وقال (الهادي) عليه السلام: يُروى أنها لم تقرأ على مريض إلا شفي، ولم يقرأها مكروب إلا كفي ونجي، ولا توسل بها أحد إلى الله سبحانه إلا أعطي. ذكره في (الأحكام).

وأخرج أحمد والبيهقي في (الشعب) بسند جيد عن عبد الله بن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له: ((ألا أخبرك بأخير سورة نزلت في القرآن، قلت: بلى

يا رسول الله، قال: فاتحة الكتاب)) وأحسبه قال: ((فيها شفاء من كل داء)).

وأخرج الطبراني في الأوسط والدارقطني في (الإفراد) وابن عساكر بسند ضعيف، عن: السائب بن يزيد قال: عوذني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بفاتحة الكتاب نفلا.

وأخرج الدارمي والبيهقي في (شعب الإيمان) بسند رجاله ثقات، عن عبد الملك بن عمير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((فاتحة الكتاب شفاء من كل داء)).

وأخرج ابن قانع في (معجم الصحابة) عن رجاء الغنوي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((استشفوا بما حمد الله به نفسه قبل أن يحمده خلقه، وبما مدح الله به نفسه، قلنا: وما ذاك يا نبي الله؟ قال: الحمد لله، وقل هو الله أحد، فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله)).

وأخرج سعيد بن منصور في (سننه) والبيهقي في (الشعب) عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((فاتحة الكتاب شفاء من السم)).

وأخرجه أبو الشيخ عن سعيد وأبي هريرة معاً، وعن أبي سعيد الخدري أن سرية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرجت فمرت بحي من العرب، فنزلت بهم فلدغ سيدهم، فقالوا: هل فيكم من يرقي؟ فرقاه بعضهم بفاتحة الكتاب فعوفي، فأعطوه ثلاثين شاة، فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أخبروه الخبر، فقال: ((اضربوا لي معكم بسهم)) رواه الأمير الحسين في الشفاء والقاضي زيد في الشرح.

قال في (تتمة الاعتصام): وهذا الخبر قد رواه الهادي عليه السلام في الأحكام عن جده القاسم عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وكذا نسبه إلى الأحكام في الشفاء.

وفي (الشفاء) عن أبي سعيد أن ناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتوا حياً من أحياء العرب فلم يقروهم[1]، فبينما هم كذلك إذ لدغ سيد أولئك، فقالوا: هل فيكم من راقٍ؟ فقالوا: لم تقرونا فلا نفعل أو تجعلوا لنا جعلاً، فجعلوا لهم قطيع

---

(١) أي فلم يضيفوهم.

شاء، فجعل رجل يقرأ بأم القرآن ويجمع ريقه فيتفل فبرأ الرجل، فأتوهم بالشاء فقالوا: لا نأخذها حتى نسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فسألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضحك، فقال: ((ما أدراك أنها رقية خذوها واضربوا لي فيها بسهم))، والحديث أخرجه البخاري ومسلم وأبو عبيدة وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم والبيهقي بألفاظ تؤدي هذا المعنى.

وفي بعضها: أن سيدهم لدغه العقرب وأن الفاتحة قرئت عليه سبع مرات فبرئ.

وأخرج أحمد والبخاري والبيهقي في السنن عن ابن عباس أن نفراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مروا بماء فيه لديغ أو سليم، فعرض لهم رجل من أهل الحي فقال: هل فيكم من راق؟ إن في الماء رجلاً لديغاً أو سليماً، فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاء فبرأ، فجاء بالشا إلى أصحابه، فكرهوا ذلك وقالوا: أخذت على كتاب الله أجراً، حتى قدموا المدينة، فقالوا: يارسول الله أخذ على كتاب الله أجراً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله)).

وروى الأمير الحسين في الشفاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لما سأله عم خارجة بن الصلت عن رجل أتى به إليه فرقاه ثلاثة أيام غدوة وعشية يقرأ عليه فاتحة الكتاب ويجمع بزاقه، ثم يتفل، فأعطوه جعلاً، فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنه، فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((كُلْ فلعمري من أكل برقية باطل لقد أكلت برقية حق)).

وأخرج أحمد وأبو داود والنسائي وابن السني: في عمل اليوم والليلة، والحاكم وصححه البيهقي في الدلائل عن خارجة بن الصلت التميمي عن عمه: أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم أقبل راجعاً من عنده فمر على قوم عندهم رجل مجنون موثق بالحديد، فقال أهله: أعندك ما تداوي به هذا؟ فإن صاحبكم قد جاء بخير، قال: فقرأتُ عليه فاتحة الكتاب ثلاثة أيام في كل يوم مرتين غدوة وعشية، أجمع بزاقي، ثم أتفل فبرئ، فأعطوني مائة شاة فأتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم

فذكرت ذلك له فقال: ((كُلْ فمن أكل برقية باطل فقد أكلت برقية حق))، والحديث سكت عنه أبو داود والمنذري ورجاله رجال الصحيح، إلا خارجة المذكور وقد وثقه ابن حبان.

وأخرج الحديث أيضاً وصححه، ذكره في نيل الأوطار، وأخرج الثعلبي من طريق معاوية بن صالح عن أبي سليمان قال: مر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض غزوهم على رجل قد صرع فقرأ بعضهم في أذنه بأم القرآن فبرئ فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((هي أم القرآن وهي شفاء من كل داء)).

وأخرج البزار في (مسنده) بسند ضعيف عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد فقد أمنت من كل شيء إلا الموت))، قلت: كذا قال في الدر المنثور بسند ضعيف.

وقال (العزيزي): هو حديث حسن، وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إذا أخذ أحدكم مضجعه ليرقد فليقرأ بأم القرآن وسورة، فإن الله وكل بها ملكاً يهب معه إذا هب)).

وأخرج الديلمي في (مسند الفردوس) عن عمران بن حصين مرفوعاً: ((فاتحة الكتاب وآية الكرسي لا يقرأهما عبد في دار فيصيبهم ذلك اليوم عين إنس أو جن)).

وفي (الكشاف) وغيره عن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتماً مقضياً فيقرأ صبي من صبيانهم في المكتب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بسببه العذاب أربعين سنة)).

قال (ابن حجر): أخرجه الثعلبي من رواية أبي معاوية عن أبي مالك الأشجعي عن ريقي عنه إلا أن دون معاوية من لا يحتج به، وله شاهد في (مسند الدارمي).

وأخرج الثعلبي: عن الشعبي أن رجلاً شكا إليه وجع الخاصرة فقال: عليك

بأساس القرآن، قال: وما أساس القرآن؟ قال: فاتحة الكتاب.

ورواه القرطبي في (تفسيره) قال: شكا رجل إلى الشعبي وجع الخاصرة فقال: عليك بأساس القرآن فاتحة الكتاب، سمعت ابن عباس يقول: لكل شيء أساس وأساس الدنيا مكة؛ لأنها منها دحيت إلى أن قال: وأساس الكتب القرآن، وأساس القرآن الفاتحة وأساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم فإذا اعتللت أو اشتكيت فعليك بالفاتحة تشفى.

وفي (صحيفة علي بن موسى الرضا) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إذا أراد أحدكم حاجة فليباكر في طلبها يوم الخميس وليقرأ إذا خرج من منزله آخر آل عمران وآية الكرسي وإنا أنزلناه في ليلة القدر، وأم الكتاب فإن فيها قضاء حوائج الدنيا والآخرة)).

ثم قال المؤلف العجري ـ رحمة الله تعالى تغشاه ـ: قد تضمنت هذه الأحاديث والآثار أسماء هذه السورة وجملتها اثنى عشر اسماً الصلاة، والحمد، وفاتحة الكتاب، وأم الكتاب، وأم القرآن، والمثاني، والقرآن العظيم، والشفاء، والرقية، والأساس، والوافية، والكافية.

سماها بالوافية ابن عيينة، وسماها عبد الله بن يحيى بن أبي كثير الكافية لأنها تكفي عن سواها ولا يكفي سواها عنها، كما في حديث:((أم القرآن عوض عن غيرها...)) الخبر



الدرس العاشر

أهمية ذكر الله تعالى

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، الحمد لله الذي شرفنا بالإسلام ديناً ومنهجاً، والصلاة والسلام على سيد الذاكرين والقانتين لله، محمد بن عبد الله، صلى الله وسلم عليه وعلى عترته الزكية المرضية، الذين ضربوا أروع الأمثلة في التفاني في عبادة الله سبحانه وتعالى.

أيها المطلع الكريم، إن الله سبحانه وتعالى يقول في محكم كتابه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ۝١٥٢﴾ [البقرة].

كم هو الشرف للإنسان أن يذكره جبار السماوات العلى، وكم هو الشرف للإنسان أن يثني عليه ملك الملوك سبحانه، وعند من يذكره ويثني عليه؟! في الملأ الأعلى عند الملائكة المقربين، في حضرة جبريل وميكائيل ورضوان وأفضل الخلق أجمعين.

هذا الإنسان البسيط الضعيف يشرف إلى نهاية الشرف عندما يعيش في ذكر الله سبحانه بشتى وسائل الذكر، ليس باللسان فحسب، ولقد روي عن الإمام الأواه، سيد العابدين والساجدين والراكعين، وزين الأولياء الخاشعين، علي بن الحسين عليه السلام عندما قرأ الآية الكريمة السابقة، أنه قال: ((من أنا وما قدري حتى تذكرني)).

نعم أُخَيَّ المؤمن .. إن الله سبحانه وتعالى خلق الناس في هذه الحياة، وكلفهم بأصناف التكاليف، واختبرهم بأنواع الاختبارات؛ لينظر ـ سبحانه وتعالى ـ وهو العالم من منهم سيختار السعادة الدائمة، وإن ضحّى بالتافه اليسير المنقطع من الحياة، يختار الخير العميم، ويربح جنة الخلد، ﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ۝١٣٣﴾ [آل عمران] ((فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطرَ على قلب بشر)).

من سيختار رضاء الله فيسخر جميع أعضائه في سبيل الوصول إلى رضائه

وغفرانه، وما أعده لأوليائه وأحباءه، ينطلق اللسان في الذكر لله، والقلب في الذكر لله والرضا والخشوع والرهبة، والأيدي والأرجل وجميع الأعضاء في عبادة الله، وفي الإنفاق في سبيل الله، والمشي إلى مواطن العبادة والطاعة لله.

ولينظر سبحانه وتعالى وهو العالم مَنْ مِنَ البشر سيترك هذا كله، فيختار الشقاء، فيشقى في الدنيا والآخرة.

إذاً خلقنا ربنا، وكلفنا بالتكاليف؛ ليعرضنا للخير الدائم، الذي لا ينقطع، والثواب الجزيل الذي لا يقدر قدره، ومع هذا التكليف الذي يعد يسيراً وبسيطاً أعطانا سبحانه وتعالى الوسائل العظيمة، والإمكانيات الكبيرة لأداء ما كلفنا به على أحسن الأحوال، وأفضل الأداء، من العقل ومن الحياة ومن المال والوقت، ومن الرسل والأنبياء والكتب، وسائر الوسائل، وهذا من أجلنا ومن أجعل سعادتنا، وأما هو سبحانه فليس بمحتاج، فلا تنفعه طاعة من أطاعه، ولا تضره معصية من عصاه.

ومن المرغبات والمحفزات: ما منحه الله سبحانه تعالى لعباده المسلمين والمؤمنين من الأوقات المباركة عبر جميع مراحل العمر المختلفة، في اليوم والليلة.

هناك أوقات مباركة في الأسبوع، والشهر، والعام، إلى آخر ما هنالك، فضّل الله تعالى تلك الأوقات، وضاعف فيها الثواب، ودعا إليها بالآيات القرآنية، ومن خلال أنبيائه ورسله عليهم السلام، حتى يستطيع الشخص أن يربح الأرباح الكبيرة في تِلْكم الأوقات البسيطة، وإذا غفل أو قصر في وقتٍ من عمره تدارك نفسه في تلك الأوقات المباركة، وكذلك إذا اشتغل بطلب معاشه أو من يعول استطاع أن يعوض المفقود من الزمن في تلك الأوقات.

ومن المرغبات أيضاً: التنوع الكثير في الذكر، حتى لا يمل الإنسان لو كان الذكر نوعاً واحداً فقط.

ومن المرغبات أيضاً: الكيفية والخصوصية في أداء ذلك الذكر، وإن كان في الأصل شيء واحد، مثلاً صلاة التسبيح هي من جنس الصلاة، ولكن كيفية خاصة، وكذلك هناك آيات مخصوصة بالنسبة لآيات القرآن الكريم، فسبحان الله ما أكرمه وما أرأفه وما أرحمه!!

والآن نشير باختصار إلى تلك الأوقات المباركة:

١- بعد الصلوات المكتوبة، فللمسلم بعد كل فريضة يؤديها دعوة مستجابة، كما ذلك مروي عن الرسول ﷺ.
٢- في الثلث الأخير من الليل حتى الفجر.
٣- بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس، وبعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس.
٤- بين الأذان والإقامة.
٥- حال المرض والشكوى.

وأما تحديد الأيام والشهور، ففي السُّنة تفاصيل ذلك..

أخي المؤمن .. بمداومة الشخص على ذكر الله يحيا في هذه الدنيا حياة سعيدة، حياة رضا كامل، مهما كانت ظروف الحياة قاسية، ذكر الله هو صمام الأمان في الدنيا والآخرة، فمن فوائد ذكر لله تعالى:

١- الاطمئنان وراحة البال، يقول الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد].
٢- الاتصال الدائم مع الله تعالى، روحه معلقة بالملأ الأعلى.
٣- تيسير الأرزاق وتسهيلها.

وأما الفوائد في الآخرة: فثواب لا ينقطع في جنة الخلد: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف].

جنة قصورها لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، فيها الحور الحسان والولدان،

وفوق كل هذا ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢].

ولنتأمل قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عندما قال: ((ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم))؟ قالوا: بلى، قال: ((ذكر الله)).

ولننظر مكسباً واحداً من ذكر الله تعالى، وهو الاستغفار، يقول تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا۝١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا۝١٢﴾ [نوح].

أنواع الذكر

وأما أنواع الذكر فلا نستطيع في هذه العجالة الإتيان عليها جميعاً، فلقد وضعت لها المؤلفات والكتب الكثيرة، بل خصص لكل نوع من الذكر كتب، فالدعاء هناك الكثير والكثير، كتب وصحائف، هناك على سبيل المثال: الصحيفة العلوية المباركة، والصحيفة السجادية، وهناك كتاب (الذكر) لولي آل محمد، وحواري أهل البيت، محمد بن منصور المرادي ـ رحمه الله تعالى ـ و (مختصر الأدعية المأثورة) للعلامة المعاصر، الولي، محمد بن عبد الله بن سليمان العزي ـ أطال الله تعالى في عمره ـ وكتاب (رضاء الرحمن في الذكر والدعاء وتلاوة القرآن) للعلامة المجتهد، علي بن محمد العجري ـ رحمه الله تعالى ـ ولنشر إشارة بسيطة إلى بعض أنواع الذكر، ومكانتها في الإسلام:

١ـ أفضل الذكر وأعظمه، هو كلام الله، القرآن المجيد، الدستور لجميع شئون الحياة، والمعجزة الخالدة إلى يوم الدين، ولنتأمل قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عندما قال: ((النظر إلى البيت الحرام عبادة، والنظر في كتاب الله عبادة، والنظر في وجه العالم الطالب بعلمه وجه الله جل ذكره عبادة، والجلوس في المسجد اعتكاف))[1].

(١) أمالي أبي طالب: ص٢١١-٢١٢ برقم (١١٥).

وفي الدروس الخاصة بالقرآن الكريم في هذا المجموع ما يكفي ويغني ويشفي عن إعادة ما ورد في فضل القرآن ومكانته، وفضل حامله، ومن علّمه.

ما أروع أن يفتتح المسلم يومه بكم آية وكم سورة من كتاب الله تعالىٰ، بعد أن يصلي صلاة الفجر، يتوجه مع أسرته إلىٰ المصحف الشريف؛ لينالوا الخير العميم، وكذلك ما أروع أن يختتم يومه بمثل ذلك.

٢ـ الصلوات: ذكر الله في الصلاة أفضل من ذكره خارج الصلاة، وقراءة القرآن في الصلاة أفضل من قراءته خارج الصلاة. فبعد الصلوات المفروضة، هناك صلاة الليل، والتهجد، ومكملات الخمسين الركعة وهي معروفة، وصلاة التسبيح، وصلاة الفرقان وغير ذلك من الصلوات، وقد فصلها السيد العلامة قاسم بن أحمد المهدي في كتابه القيم (الصلوات المستحبات).

ولا يُمنع من الصلوات إلا في الأوقات الثلاثة المكروهة فقط: عند الشروق، وعند الغروب، وعند الظهيرة قبل الزوال، فكم في صلاة التسبيح من الثواب، ومن حط الذنوب والخطيئات، كما ورد ذلك في حديث الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لعمه العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ وليكن علىٰ بالنا دائماً حديث الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((أحب الأعمال إلىٰ الله أدومها وإن قل)).

٣ـ الدعاء: فهو سلاح المؤمن الكفؤ، وحصنه المنيع، وملجأه عند الكرب والشدائد، يقول تبارك وتعالىٰ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ۝٦٠﴾ [غافر]. ويقول الرسول الأكرم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مبيناً أهمية الدعاء: ((الدعاء مخ العبادة)) ويقول صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آله: ((ما من مؤمن يدعو بدعوة إلا أستجيب له، فإن لم يعطها في الدنيا أعطيها في الآخرة)).

وهناك آداب للدعاء ينبغي مراعاتها، وهي:

أ ـ إخلاص النية، واليأس عما في أيدي الناس، يقول الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربه شيئاً إلا أعطاه، فلييأس من الناس كلهم، ولا يكون

له رجاء إلاّ عند الله، فإذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً إلا أعطاه...)) الحديث[١].

ب ـ رجاء القبول لدعائك، وفي ذلك آثار.

ج ـ البدء عند الدعاء، وكذلك بعد الانتهاء منه، بالصلاة على النبي وآله صلى الله عليه وآله وسلم.

د ـ الطهارة، والتوجه إلى القبلة، وإظهار الخضوع والخشوع للخالق سبحانه وتعالى، والتفرغ من مشاغل الدنيا، وغير ذلك.

هـ ـ تحري أكل الطيب، وتناول الحلال، فلقد روي: ((إن اللقمة من الحرام تمنع قبول الدعاء أربعين صباحاً)).

و ـ الدعاء بالأدعية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعن الأنبياء والرسل عليهم السلام، وكذلك المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام، وعن الصالحين من شيعتهم رضوان الله عليهم، فالدعاء بذلك أفضل، ولينال الداعي الأجر الذي قد شرط في تلك الأحاديث: ((من قال كذا، كان له من الأجر كذا)).

٤ـ الاستغفار: ذكر لله عظيم، فهو دأب المخلصين، وشعار الأنبياء والمرسلين، ومقام الأولياء والصالحين، ولنكتف بهذا الحديث في مكانته وفضله، الحديث الذي يرويه الإمام الأواه، الهادي إلى الحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، قال عليه السلام: بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أن رجلاً أتاه، فشكى إليه بعض ما يكون منه، فقال له: ((أين أنت عن الاستغفار))؟ ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من ختم يومه يقول ـ عشر مرات ـ: «أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، اللهم اغفر لي، وتب عليّ، إنك أنت التواب الرحيم» إلا غفر الله له ما كان من يومه، أو قالها في ليل، إلا غفر الله له ما كان من ليله))[٢].

---

(١) أمالي أبي طالب عليه السلام: ٣٢٧-٣٢٨ برقم (٣٣٦).
(٢) الأحكام: ٢/ ٥٢١.

٥ـ التسبيح والتهليل: ذكر لله ـ سبحانه ـ عظيم، وتنزيه للخالق سبحانه عما لا يليق به كبير، وكم ورد في ذلك، ولو لم يكن إلا حديث صلاة التسبيح الذي قاله الرسول ﷺ لعمه العباس رضي الله عنه لكفى، لأن صلاة التسبيح كما هو معروف تشتمل على ثلاثمائة تسبيحة (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر).

فلقد روي أن رسول الله ﷺ قال مخاطباً العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ: ((والذي نفسي بيده، لو كانت ذنوبك يا عباس يا عم النبي، عدد نجوم السماء، وعدد قطر الماء، وعدد أيام الدنيا، وعدد الشجر والمدر، وعدد رمل عالج، لغفرها الله لك ..)) الحديث.

وكذلك ما روي عنه ﷺ ((سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، زرع الجنة، وهي الباقيات الصالحات)).

وقد ورد في تحديد ذلك الآثار مائة مرة، وسبعين مرة، وعشر مرات، وغير ذلك.

أيها المؤمنون .. علينا بذكر الله سبحانه وتعالى ما دمنا في وقت المهل، قبل أن ينقطع العمر ويحل الأجل، فاستغل شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، ولنحذر أن نكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾﴾ [طه].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف].

ولنتأمل حديث رسول الله ﷺ: ((والذي نفسي بيده لا تزول قدم عن

قدم يوم القيامة، حتى يسأل الله الرجل عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ وعن جسده فيم أبلاه؟ وعن ماله مِمّ كسبه، وفيم أنفقه؟ وعن حبنا أهل البيت)) وفي رواية أخرى: ((لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن أربع ..)) الخبر بلفظه إلا أن فيه: ((وعن ماله فيم أنفقه، ومن أين اكتسبه))؟

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى وسلم على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين..



الدرس الحادي عشر

التفكر في المخلوقات من أقدس العبادات (١)

الحمد لله رب العالمين، الذي خلق الكائنات فسواها، والذي قدرها فهداها، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعـد:

فليكن حديثنا في هذه الليلة المباركة على بعض ما أودع الله في هذا الكون من عجائب وبدائع صنعه سبحانه وتعالى.

تأمـل في الوجـود بعـين فكـر ... تـرى الـدنيا الدنيئـة كالخيـال
تأمل واطعن برمح الحق كـل معانـد ... واركـب جـواد العـزم في الجـولاني
واجعـل كتـاب الله درعـاً سـابغاً ... والشـرع سـيفك وابْـدُ في الميـدان

أخي المؤمن .. إن عبادة التفكر في المخلوقات من أقدس العبادات على الإطلاق، وتحوز على أعظم الدرجات عند الله.. كيف لا! وهي تقود إلى معرفة الخالق ـ جل وعلا ـ حق المعرفة، تقود إلى توحيده، والتوحيد ليس له ثمن إلا الجنة، كما ذلك مروي عن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

بالتفكر في المخلوقات يحصل المرء على إيمان لا يتزعزع، وعقيدة صلبة لا تتخلخل، ولنقرأ قوله تعالى في (سورة الغاشية): ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ۝١٧ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ۝١٨ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ۝١٩ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ۝٢٠﴾.

وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((من أخذ دينه عن التفكر في آلاء الله ـ أي في نعم الله التي خلقها ـ والتدبر لكتابه، والتفهم لسنتي، زالت الرواسي ولم يَزُل..)). الخ الحديث الشريف.

ويقول أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، الإمام علي عليه السلام: ((من تفكّر في المخلوق وحَّد، ومن تفكر في الخالق ألْحَد)). إنك في خلال الوقت الذي تتأمل

فيه عجائب الصنع، عجائب خلق الله، إنك لتعبد الله حق العبادة، بل أفضل العبادة، ولنتأمل هذا الحديث القدسي عن الله سبحانه وتعالى، كما يرويه جبريل الأمين عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((فتفكّر ساعةٍ أحبُّ إليَّ من عبادة سنة)).

وفي كتاب (التصفية) للديلمي ـ رحمه الله تعالى ـ: «التفكر على خمسة أوجه:

الأول: في صنع الله وعظمته وقدرته، فمنه تتولد المعرفة.

الثاني: في نعمائه وإحسانه، فمنه تتولد المحبة.

الثالث: في وعده ووعيده، وشدة انتقامه، فمنه يتولد الخوف، والزهد والورع، وترك الاشتغال.

الرابع: في ألطافه وحسن صفاته، وإرادته لصلاحك وإرشادك، فمنه يتولد الرجاء، والرغبة، والمواظبة على ما يقرب إليه.

الخامس: التفكر في سوء نفسه، وهتك حرمات ربه، وقبح معاملته إياه، فمنه يتولد الحياء وذلة النفس))[1].

إنه نداء لجميع المسلمين.. نداء إلى القلوب العابدة الخاشعة، نداء للقيام بوجوب النظر في آيات الله المبثوثة في الكون الفسيح، نداء لأولي الألباب.. لأولي الأحلام والنُّهى .. نداء لأولي الأبصار الموقنين: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

وهو كذلك دعوة للغافلين المعرضين، الساهين اللاهين، إلى من لهم أعين بها لا يبصرون، ولهم آذان بها لا يسمعون، ولهم قلوب بها لا يفقهون، إلى من لم يحققوا قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات].

(١) لوامع الأنوار: ٢/ ٢١٤-٢١٥، الطبعة الثانية.

دعوة للذين يمرون على آيات الله وهم عنها معرضون، إلى من هاجموا التوحيد ولم يفهموه، ونقدوا القرآن ولم يقرؤوه ولم يعرفوه؛ علّهم يستيقظون ويعقلون ويتنبهون!

إنه باختصار.. نداء إلى العلم بالله علماً يقيناً، يقود إلى الخشية والتعبد والخضوع والتذلل لمالك الكون سبحانه وتعالى، فمن كان به أعلم كان له أخشى، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

يدين له النجم في أفقه ... يدين له الفلك الدائرُ

يدين له الفرخ في عشه ... ونسرُ السماء الجارح الكاسرُ

تدين البحار وحيتانها ... وماء سحاباتها القاطر

تدين له الأسد في غابها ... وظبي الفلا الشارد النافر

يدين له الذّر في سعيه ... يدين له الزاحف والناشر

تدين الحياة يدين الوجود ... يدين المقدر والحاضر

سبحان الله .. سبحان الله.. سبحان الله ..

كلٌ كَنَى عن شوقه بلغاته ... ولَرُبَّما أبكى الفصيحَ الأعجمُ

نعم أيها المؤمنون، الكون بأجمعه كتاب مفتوح يقرأ بكل لغة، ويدرك بكل وسيلة، يطالعه الجميع، ساكن الخيمة، وساكن العمارة، يطالعه ساكن الكوخ وساكن القصر.. فيه الزاد لكل عبد منيب، تبصرةً وذكرى، هذا الكتاب يأخذنا في جولات وجولات، نرتاد آفاق السماء، ونجول في جنبات الأرض والأحياء، يقف بنا عند زهرات الحقول بين المزروعات، ويصعد بنا إلى مدارت النجوم والأفلاك، يرينا عظمة الخالق سبحانه وحكمته، ثم يكشف لنا الأسرار والتكوين، ثم يقرع الفؤاد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝١٩٠ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ

هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران]، يروى عن الرسول الأعظم ﷺ في هذه الآية: ((ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها)).

السماء بغير عمد من رفعها؟! وبالكواكب من زيّنها؟! والجبال من نصبها؟! الأرض من سطّحها وذلّلها؟! الهواء من أجراه؟! البدر من أسراه؟! والشُّهد من حلاّه؟! النهر من أجراه؟! النحل من هداه؟! اللبن من بين فرث ودم من صفّاه، الجائع من أطعمه وغذّاه؟! الطبيب من أرداه وقد كان يرجى شفاه؟!!

أنت .. أنت من خلقك؟ من رزقك؟

إنه الله.. إنه الله ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴿١١﴾﴾ [لقمان].

وقال الشاعر:

وفي كـل شيءٍ لـه آيـةٌ ... تـدلُّ عـلى أنـه واحـدُ

أخي القارئ .. لنتحدث ـ ولو بشكل مختصر ـ عن نماذج من هذا الخلق العظيم، وما نراه وما نشاهده ليكفي، يقول الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴿٥٤﴾﴾ [فصلت].

قال الشاعر:

حـي وقيـوم فـلا ينـام ... وجـلّ أن يشـبهه الأنـام

خلق الملائكة

عباد الله مكرمون، أفضل الخلق، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، متواضعون لله ركوعاً وسجوداً..

وللإمام علي عليه السلام كلام كثير حول أحوال هذا الخلق العظيم، ولنقتصر على هذا المقطع من كلامه الشريف، قال عليه السلام: ((منهم سجود لا يركعون،

وركوع لا ينتصبون، وصافون لا يتزايلون، ومسبحون لا يسأمون، لا يغشاهم نوم العين، ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان، ولا غفلة النسيان.

ومنهم أمناء على وحيه، وألسنة إلى رسله، ومختلفون بقضائه وأمره، ومنهم الحفظة لعباده، والسدنة لأبواب جنانه، ومنهم [تأمل] الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم، والمارقة من السماء العلياء أعناقهم، والخارجة من الأقطار أركانهم، والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم، ناكسة دونه أبصارهم، متلفعون تحته بأجنحتهم، مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة، وأستار القدرة، لا يتوهمون ربهم بالتصوير، ولا يجرون عليه صفات المصنوعين، ولا يحدونه بالأماكن، ولا يشيرون إليه بالنظائر)).

أيها المؤمنون .. قيل إن الملك جبريل الأمين عليه السلام حينما أراد الله إهلاك قوم لوط الأشقياء، وقد كانت خمس قرى وتسمى (سدم) أمره عليه السلام بتنفيذ ذلك، فأخذ جبريل تلك القرى بأجمعها بريشة واحدة من جناحه، ثم صعد بهم إلى قرب سماء الدنيا، فسمع أهل السماء صياح الديكة وعواء الكلاب، ثم قلبهم إلى الأرض فبادوا..

لا إله إلا الله.. ما أعظم الله.. وما أجل ما خلق وسوى.

خلق البحر وما فيه

البحر آية من آيات الله مذهلة، وما فيه من مخلوقات وأحياء آيات وآيات، عجائب الصنع في ظلمات البحار، وفي قعر المحيطات، وإننا إذ نشاهد هذه المخلوقات عبر أجهزة التصوير والرصد من علماء البحار؛ لنقف موقف الرهبة والخشوع للمدبر الحكيم، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، في تلك الظلمات الحالكة خلق الله للأسماك نوراً وبصيرة تنظر من حولها، وكيف تعيش، وكيف تتوالد، وكيف تتكاثر، والذين يعيشون حول البحر أو في إحدى جزره يرون العجائب والغرائب.

جعل الله تلك الأحياء للإنسان غذاءً طيباً، لحماً طرياً، فيه الفوائد التي لا تحصى، ومن نعمته في البحار ما يستخرج منها من المنافع الأخرى: ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ ولنقرأ إن شئنا قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴿١٤﴾﴾ [النحل].

آيات.. وآيات.. وآيات.

ويقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴿٥٣﴾﴾ [الفرقان].

تلتقي مياه الأنهار العذبة في إيران وفي غيرها من بلدان العالم مع مياه البحار والمحيطات المالحة فلا تختلط أبداً، ولا تمتزج، وتتداخل عشرات الأمتار، وهي مادة سائلة واحدة، ولكن لكل منها خصائص.. فسبحان الله الخالق المدبّر.

والماء يشكل ثلاثة أرباع سطح الأرض، والمحيطات الواسعة بالمسافات الكبيرة لها فوائد عظمى بالنسبة للكون وللأحياء فيه، فالمحيطات كما قال المختصون تطلق ملايين الأطنان من ثاني أكسيد الكربون حتى تظل كمياته متوازنة على الأرض من أجل بقاء الحياة في الكون الفسيح.

وكذلك لقد ثبت علمياً أن الماء يتمتع بأعظم قدرة مذيبة بين جميع السوائل، وكذلك هو المكون الأساسي للدم، وتتألف أجسام المخلوقات من سبعين في المائة في تكوينها من الماء.

ولنتأمل قوله تبارك وتعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴿٧٠﴾﴾ [الواقعة].

ولنستمع لرسول الله ﷺ عندما يحدثنا عن البحر، فيقول: ((إن البحر ليستأذن الله سبحانه وتعالى صباح كل يوم في هلاك عصاة بني آدم، فيكفّه الله سبحانه وتعالى)).

ولنفكر كثيراً فيما رواه زاهد اليمن وعبادته الولي، إبراهيم بن أحمد الكينعي - رحمة الله عليه- قال: الحوت الذي أقسم الله به ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ۝١﴾ لو أُدْرِجَت السماوات السبع، والأرضون السبع، في أحد منخريه ما تبرّم بهن.

لا إله إلا الله .. إن في ذلك لآيات..



الدرس الثاني عشر

التفكر في المخلوقات من أقدس العبادات (٢)

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلام على عباده الذين اصطفى..

أخي المطلع، لنكمل حديثنا السابق:

آية المطاعم والمشارب

المطاعم والمشارب كم أنواعها؟ وأشكالها؟ وفوائدها؟ انظر وتأمل فيما تأكله وتتنعم به، واشكر الله بكرة وأصيلاً، واحمده حمداً كثيراً دائماً، واحذرأن تخالف من خلق لك كل ذلك، قال الله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴿٣١﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴿٣٢﴾﴾ [عبس]. سبحان الله! رُبَّ مأكولٍ هو أفضل من آكله.

روي عن الرسول ﷺ: ((إن المسلم الحاج إذا لبّى في المشاعر لبّى جميع من عن يمينه، ومن عن شماله حتى نهاية الأرض، ما خلا شياطين الجن والإنس)).

سبحت الكائنات بحمده، فملأ الكون تحميده، سبحه النّبْت جمعه وفريده، وسبحته الوحوش في الفلوات، سبحته الطيور بنغماتها، كل شيء يسبح إلا العصاة من بني آدم، لا حول ولا قوة إلا بالله، يقول الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

خلق الشمس

إن هذه الآية البارزة، والمخلوق العظيم الباهر، والذي كما قيل هو كائن ومستقر في السماء الرابعة..

الشمس كوكب ضخم، مجموع من الغازات الساخنة، تعطينا الضوء الكافي للحياة، فيصل إلينا هذا الضوء بعد أن يغادر قرص الشمس بثمان دقائق وعشرين ثانية فقط، كما قاله العلماء المختصون، بخلاف ضوء بقية النجوم فهي تحتاج إلى وقت أطول بكثير.

لماذا أيها المؤمنون لا نتأمل ولا نفكر في هذه الغزالة التي تطالعنا صباح كل يوم يمر من حياتنا غالباً، وكذلك لا نتأملها عند الغروب وهي تغادر هذا الكون .. تغادر بتلك الروعة والجمال واللون الباعث لانشراح الصدور، تغادرنا وقد أعطتنا وأعطت كل المخلوقات ما تحتاجه من الطاقة ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الروم].

ولنعلم أن الإسلام العظيم قد حث على ذِكر الله بجميع أنواعه بما فيه ذِكر التفكر والتأمل في هذين الوقتين (وقت الصباح، ووقت المساء) قبل الطلوع وقبل الغروب في آيات قرآنية كثيرة، ولنقرأ إن شئنا قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [ق].

وقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١٣٠﴾﴾ [طه].

قال الشاعر:

يا أيها الماء المهين من الذي سواك ... ومن الذي في ظلمة الأحشاء قد واراك

ومن الذي غذاك من نعمائه ... ومن الكروب جميعها نجّاك

ومن الذي شق العيون فأبصرت ... ومن الذي بالعقل قد حلاك

ومن الذي تعصي ويغفر دائماً ... ومن الذي تنسى ولا ينساك

ويقول شاعر آخر:

وتحسب أنك جرم صغير ... وفيك انطوى عالم أكبر

ولنتأمل كثيراً قوله تبارك وتعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات]. لقد كشف العلم الحديث عبر أجهزة التصوير والمراقبة عن بدائع الصنع بداخل الإنسان، وكذلك عن الأجهزة والحواس بخارجه، وكانت عناية الله ترعى الإنسان في كل مراحله التي يمر بها.

فمن منا قد تأمل كيف أوجده الله؟! وكيف ركب أجزاءه وأعضاءه؟! أصله كان نطفة صغيرة، حيوان منوي واحد، خلق الله منه جميع أجزاء الجسم الكثيرة والمختلفة.

من منا قد تأمل كيف ركب الله هذه الأعضاء؟! كل شيء في موضعه وفي مكانه المناسب! الرأس بما فيه من الحواس الهامة، كيف وضعه وجعله كالقائد والرئيس على الجسد بأجمعه، العظام كيف ركبها! اللحم كيف وزّعه رقّةً وغلظةً! الشعر كيف جعله وأين وضعه! الأيدي! الأرجل! الظهر! .. إلى آخره.

سبحان الله .. سبحان الله ما أحكمه، تعالى وتقدّس ما أعظمه..

مخلوقات عالم النحل

هذا المخلوق الصغير في شكله، ذبابة طائرة، إنه آية عظيمة، آية في دلالته على الخالق سبحانه وتعالى، وهو كذلك وسيلة تعليمية ناجحة للإنسان في حياته، وفي تصانيف أعماله، في مشوار حياته كاملاً، فسبحان الله المبدع الخالق.

ولنستمع وإياكم إلى القرآن الكريم، حيث يقول الله تعالى فيه: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴿٦٩﴾﴾ [النحل].

العلماء المختصون والقائمون على مزارع النحل لهم مع هذا المخلوق قصص وقصص، لقد رصدوها بمراصد دقيقة وعدسات متطورة، حتى لقد آمن بالله من كان غير مؤمن، ووحّد الله وذكره وسبّحه كثيراً من كان مؤمناً.

للنحل مسكن يسمى (الخلية) في هذه الخلية قائد هو أبو النحل الذي يسمى (اليعسوب) للقائد هذا مهمات خاصة في القيادة والتوجيه وغيرها، وفي الخلية نحلات عاملات بعضها في صناعة العسل، وبعضها في الحراسة المشددة للخلية، وفي النظافة عاملات، وأي فرد من أفراد الخلية يخل بعمله فإنه يعتبر مقصراً يستحق إما الطرد أو الإعدام..

هذا هو النحل، والعدو اللدود للنحل هو (الفأر) الذي يأكل عسلها، ويقذر مسكنها.. انظروا كيف ألهمها الخالق سبحانه كيف تتعامل مع هذا العدو.

إن الفأر إذا حاول الدخول إلى الخلية انطلقت النحل المتخصصة ولدغته ولسعته بكل ما لديها من قوة حتى ترديه قتيلاً، هذا أولاً، فإذا مات كيف تصنع به؟ لأنه إذا بقي في الخلية ميتاً أفسد العسل برائحته، ولأن صاحب النحل لا يأتي يتفقد الخلية يومياً.

في هذه الحالة النحل يضع حول جثة هذا الفأر غطاءً واقياً لزجاً لا يسمح لرائحة الفأر المنتنة أن تنفذ إلى العسل، وكأنها عبارة عن تحنيط مؤقت، حتى يأتي صاحب العسل فيخرجه.

سبحان الله المدبر الملهم..

أما ما تصنعه وهو العسل ففيه الشفاء من كل داء على الإطلاق، وله الاستخدامات المتعددة في الطب وفي غيره، والعلم الحديث ما زال يكشف عن الجديد من فوائده حتى في غرف العمليات الجراحية احتاج الجراحون العسل فيما استعصى عليهم، وحتى قال الأطباء: إن في لسعة النحلة علاجاً لبعض الأمراض كالروماتيزم.

إنها آيات.. وآيات .. وآيات.

اختلاف الليل والنهار، وعالم الفلك

آية عظيمة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران].

ويقول تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴿٦٢﴾﴾ [الفرقان].

سبحان الله يأتي الليل ويأتي النهار، هذان الجسمان الكبيران الهائلان تدريجياً، يأتي الليل تدريجياً حتى تظلم الأرض، ويأتي النهار تدريجياً حتى تشرق الأرض ويسطع النور.. إنها آية.

يأتي الليل لتسكن النفوس من التعب بعد الجهد والنصب طول النهار، وتعطف الأمهات على أولادهن، وتتفقد أحوالهن، ثم يأتي النهار من جديد فتسعى الأحياء في طلب حاجاتها، وهي تذكر وتقدس خالقها سبحانه وتعالى.

السؤال الذي يحتاج إلى نظر وتأمل: أين يختفي الليل؟ وأين يذهب في وقت النهار؟ وأين يختفي النهار في وقت الليل؟ يقول تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [لقمان: ٢٩].

ويقول أحد رواد الفضاء وهو ينظر من كوة مركبته الفضائية إلى الكون الفسيح: إن النهار والليل لا يأتيان كما هو الحال على الأرض، بل يأتي الليل فجأة في لمح البصر، والكون في ظلام دامس، ويأتي النهار كذلك.

نحن نقرأ القرآن الكريم كثيراً، وخاصة في شهر رمضان المبارك، فمن منا قد تأمل هذه الآيات، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [القصص].

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الروم].

أيها المسلمون .. هناك حشد من البشرية، حشد من الحيوانات، حشد من الطيور، حشد من النبات والشجر، حشد من الأفلاك، حشد من النجوم، حشد من الجان، حشود.. وحشود .. وحشود، وما خفي عنا من المخلوقات كان أعظم، وأعظم، وأعظم.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.



الدرس الثالث عشر

رسالة الحقوق للإمام زيد بن علي عليه السلام

ثبت عن أبي خالد الواسطي رضي الله عنه أنه قال: كتب أبو الحسين زيد بن علي عليهما السلام هذه الرسالة: قال مالك بن عطية: قلت لأبي خالد: لمن كتبها؟

قال: سأله أبو هاشم الرَّماني، فقال: جعلت فِداك أخبرني بحقوق الله علينا؟

قال أبو خالد: فكتب لنا هذه الرسالة، وقال لنا: ((تدارسوها، وتعلّموها، وعلِّموها من سألكم، فإن العالم له أجرُ من تعلم منه وعمل، والعالم له نور يضيءُ له يوم القيامة بما علَّم من الخير، فتعلموها، وعلِّموها، فإن من عَلِمَ وعمل كان ربانيّاً في ملكوت السماوات)).

قال أبو خالد ـ رضي الله عنه ـ: فكتبناها من زيد بن علي ـ عليهما السلام ـ وقرأها عليه أبو هاشم الرَّماني، وكان يَدْرُسها، ويقول: (لو رعاها مؤمن كانت كفايةً له)).

قال الإمام زيد بن علي عليه السلام: (جعلكم الله من المهتدين إليه، الدالّين عليه، وعَصَمَكم من فتنة الدنيا، وأعاذكم من شر المنقلب، والحمدلله على ماهدانا وأولانا، وصلى الله على جميع رسله وأنبيائه وأوليائه، وخص محمداً بصلاة منه ورحمة وبركة وسلّم عليه وعلى أهل بيته الطاهرين تسليماً أما بعد:

فإنكما سألتماني عن حقوق الله عز وجل وكيف يسلم العبد بتأديتها وكمالها؟ فاعلموا أن حقوق الله عز وجل محيطة بعباده في كل حركة، وسبيل، وحال، ومنـزل، وجارحة، وآلة، وحقوق الله تعالى بعضها أكبر من بعض.

فأكبر حقوق الله تعالى: ما أوجب على عباده من حقه، وجعله أصلاً لحقوقه، ومنه تفرّعت الحقوق. ثم ما أوجبه من قَرْنِ العبد إلى قَدَمِه على إختلاف الجوارح، فجعل للقلب حقاً، وللسان حقاً، وللبصر حقاً، وللسمع حقاً، ولليدين حقاً،

وللقدمين حقاً، وللبطن حقاً، وللفرج حقاً، فبهذه الجوارح تكون الأفعال.

وجعل تعالىٰ للأفعال حقوقاً، فجعل للصلاة حقاً، وللزكاة حقاً، وللصوم حقاً وللحج حقاً، وللجهاد حقاً، وجعل لذي الرَّحم حقاً، ثم إن حقوق الله تتشعب منها الحقوق، فاحفظوا حقوقه.

فأما حقه الأكبر: فأن يعبده العارف الْمُحْتَجُّ عليه فلا يشرك به شيئاً، فإذا فعل ذلك بالإخلاص واليقين فقد تضمّن له أن يكفيه، وأن يجيره من النار.

ولله عز وجل حقوق في النفوس: أن تستعمل في طاعة الله بالجوارح، فمن ذلك: اللسان، والسمع، والبصر، قال الله عز وجل في كتابه: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء].

فاللسان: يُنـزهُ عن الزور، والكذب، والخناء، وأن تقيمه بالحق لا تخاف في الله لومة لائم، وتحمِّله آداب الله، لموضع الحاجة إليه، وذلك أن اللسان إذا ألف الزور، والكذب، والخناء اعوَّج عن الحق، فذهبت المنفعة منه، وبقي ضرره، وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وسلامه: (يُعرف ذو اللب بلسانه).

وقال ﷺ: (المرء مخبوء تحت لسانه) وقال صلوات الله عليه وسلامه: (لسان ابن آدم قلم المَلَك، وريقه مداده، يا ابن آدم فقدّم خيراً تغنم أو اصمت عن السوء تسلم).

وحق الله علىٰ المؤمن في سمعه: أن يحفظه من اللغو، والاستماع إلىٰ جميع ما يكرهه الله تعالىٰ، فإن السمع طريق القلب، يجب أن تحذر ما يسلك إلىٰ قلبك.

وحق الله في البصر: غضه عن المحظورات ما صغر، وما كبر، ولا تمده إلىٰ ما منح الله به المترفين، واترك انتقال البصر في ما لا خير فيه، ولكن ليجعل المؤمن نظره عِبَرَاً، فإن النظر باب الاعتبار.

وحق الله في اليدين: قبضهما عن المحرمات في التناول، واللمس، والبطش، والأَثَرَة، والخصام، ولكن يبسطهما في الخيرات والذب عن الدين، والجهاد في

سبيل الله.

وحق الله تعالى في الرجلين: لا يسعى بهما إلى مكروه، فكل رِجْل سعت إلى ما يكره الله تعالى فهي من أرجل إبليس لعنه الله تعالى.

وحق الله في البطن: أن لا يجعله وعاء للحرام، فإنه مسؤول عنه، وقد كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه وسلامه يقول: ((نِعمَ الغريم الجوف، أي شيء تقذفه إليه قَبِلَه منك))، وقال صلوات الله عليه وسلامه في البطن: ((ثلث للطعام، وثلث للشراب، وثلث للنفس))، وقال صلوات الله عليه وسلامه: ((إذا طعمتم فصلوا ...، فأَخَفَّ الطعام وأطيبه وأمرأه وأثراه الحلال)) ويجب أن يقتصد في أكله وشربه، فإن كثرة الأكل والشرب مقساة للقلب.

وحق الله في الطعام: أن يُسمِّي إذا ابتدأ، وأن يحمده إذا انتهى، والشبع المليا هو مَكْسَلَةٌ عن العبادة، مضرَّةٌ للجسد، ولا خير في العبد حينئذ.

وحق الله على عبده في فرجه: حفظه وتحصينه وبابه المفتوح إليه هو البصر، فلا تمدوا أبصاركم إلى ما لا يحل لكم، ولا تُتْبعوا نظرة الفجأة نظرة العمد فتهلكوا، وكفى بذلك معصية وخطيئة، فأخيفوا نفوسكم بالوعيد واقرعوها، فمن قرع نفسه وأخافها بالوعيد فقد أبلغ في موعظتها وتحصينها، وتأديبها بأدب الله عز وجل.

ثم حقوق الله تعالى في الصلاة: أن يعلم المصلي أنها وافدته إلى الله عز وجل، فليصل صلاة مودع، يعلم أنه إذا أفسد صلاته لم يجد خلفاً منها ولا عوضاً، ومن أفسد صلاته فهو لسائر الفرائض أفسد، وإذا قام العبد إلى الصلاة فليقم مقام الخائف المسكين المنكسر المتواضع خاشعاً بالسكون والوقار، وإحضار المشاهدة بيقين بالله، فإذا كملت فقد فاز بها، وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر، كما قال الله تبارك وتعالى.

وحق الله في الصيام: اجتناب الرَّفث وفضول الكلام، وحفظ البصر، وتحريم الطعام، والشراب، والصوم جُنَّة من النار، ومن تعطّش لله جل ثناؤه

أرواه الله من الرحيق المختوم في دار السلام.

وحق الله تعالىٰ في الأموال: علىٰ قدرها، فما كان من زكاة فإخراجها عند وجوبها، وتسليمها إلىٰ أهلها، فإن أخرجتموها إلىٰ غير أهلها فهي مضمونة لأهلها في جميع المال، وهي إذا لم تُخْرَج إلىٰ أهلها مَخْبَثَةٌ لجميع المال، فيجب إخراجها بيقين وإخلاص، فتلك من أفضل الذخائر عند الله عز وجل وهي مقبولة، وإذا توجه العبد إلىٰ الله بقصد ونية، أقبل الله تعالىٰ إليه بالخير، وإذا اهتدىٰ زاده الله هداية في هدايته إليه، وبصّره وعرّفه طريق نجاته، فإنما يريد الله تعالىٰ بنا اليُسْر وهو الهادي، وهو المُسعف بالقوة علىٰ صعوبة الحق وثِقَلِهِ علىٰ النفوس.

ومن علامات القاصد إلىٰ الله: إقبال قَلْبه وجوارحه وإرشاد النفس واستعبادها بالتذلل، والخشوع، والخشية له، السالمة من الرياء، والتخلص من التبعة بالصلاح.

وحق الله علىٰ عبده في أئمة الهدىٰ: أن ينصح لهم في السر والعلانية، وأن يجاهد معهم، وأن يبذل نفسه وماله دونهم، إن كان قادراً علىٰ ذلك من أهل السلامة.

وحق الله علىٰ عبده في معرفة حقوق العلماء، الدالين عليه في الأمر والنهي: أن يسألهم إذا جَهِل، وأن يَعْرِفَ لهم حقهم في تعليم الخير.

وحق الله علىٰ العالم في علمه: أن لا يمنعه من الطالبين، وأن يغيث به الملهوفين.

وحق الله علىٰ المالك في ملك يده: أن لا يكلفه من العمل فوق طاقته، وأن يلين له جانبه، فإنما هو أخوه ملّكه الله تعالىٰ إياه، وله حقه وكسوته، ومطعمه، ومشربه، ومالا غنىٰ به له عنه.

وحق الله في بر الوالدين: الإحسان إليهما، والرفق بهما، فلو علم الله شيئاً هو أقل من «أفٍّ» لحَرَّمَه منهما فقال تعالىٰ: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا

أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].

وحق الله في الأخ: أن تنصحه، وأن تبذل له معروفك إذا كان محتاجاً وكنت ذا مال، فقد عظّم الله شأن الأخ في الله عز وجل، فأخوك في الله هو شقيقك في دينك، ومعينك على طاعة الله عز وجل.

وحق الله تعالى على العبد في مولاه المنعم عليه: أن يعلم أنه أنفق فيه ماله، وأخرجه من ذل العبودية، فهذا يجب حقه في النصيحة له، والتعظيم لمعرفة ما أتى من الخير.

وحق الله في تعظيم المؤذّنين: وهو أن يعلم العبد ما قاموا به، وما دعوا إليه، فيدعو لهم بلسانه، ويوَدُّهم بقلبه، ويوقرهم في نظره.

وحق الله في أئمة المؤمنين في صلاتهم: أن يعرف العبد لهم حقهم بما تقلدوه وبما قاموا به، وأن يدعو لهم بالإرشاد والهداية، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((تخيروا الأئمة فإنهم الوافدون بكم إلى الله عز وجل)).

وحق الله في الجليس: أن تلين له كنَفَك، وأن تقبل عليه في مجلسك، وأن لا تحرمه محاورتك، وأن تحدثه من منطقك، وأن تختصه بالنصح.

وحق الله في الجار: حفظه غائباً، وإكرامه شاهداً، ونصرته ومعونته، وأن لا تتبع له عورة، وأن لا تبحث له عن سوء، فإن علمت له أمراً يخافه فكن له حصناً حصيناً، وستراً ستيراً فإنه أمانة.

وحقوق الله كثيرة، وقد حرّم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن، فجانبوا كل أمر فيه ريبة، ودعوا ما يريب إلى مالا يريب، والسلام)).

ففي هذه الرسالة كل ما من شأن العمل به وتطبيقه الرقي بالإنسان المسلم إلى مستوى العبادة الخالصة، والعبودية الصادقة، فصلوات الله وسلامه على مؤلفها، وحشرنا في زمرته مع جده المصطفى، ووالده المرتضى، وأهل بيته

السعداء، آمين.. آمين.. وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

الدرس الرابع عشر

أهمية الكلمة

الحمد لله رب العالمين، المنعم المتفضل، والصلاة والسلام على النعمة العظمى للأمة، والحجة الكبرى، محمد ﷺ، وبعد:

من أجل النعم التي منّ الله بها على هذا الإنسان أن جعله متكلماً ناطقاً يمتاز بذلك عن سائر الحيوانات الأخرى، فيعبِّر عما يريد وعما بداخل قرارة نفسه.

ومن النعم ـ أيضاً ـ أن الله سبحانه جعل الإنسان يتحكم في نطقه، وفي الكلمة التي تجري على لسانه، ولنعلم أن اللسان الذي هو آلة النطق، سلاح ذو حدين، إما أن يحيى الإنسان بواسطته حياة سعيدة في الدنيا والآخرة، وذلك إن كان محسناً لاستخدامه، وإما أن يخسر بواسطته الدنيا والأخرى، وذلك إن كان مسيئاً لاستخدامه.

ومن هذا المنطلق نرى أن الله سبحانه وتعالى يشدد الإهتمام، ويوضح أهمية الكلمة في آيات وآيات، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق].

ويقول الرسول الأعظم ﷺ: ((ألا وإن كلام العبد كله عليه لا له، إلا ذكراً لله، أو أمراً بمعروف، أو نهياً عن منكر، أو إصلاحاً بين المؤمنين)) ويقول ﷺ: ((من ضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه ضمنت له الجنة)). وفي رواية أخرى: ((من وقاه الله شر اثنتين ولج الجنة، ما بين لحييه، وما بين رجليه)) قالها ثلاثاً.

إن الإنسان كفور مبين، لم يشكر الله سبحانه وتعالى على هذه النعمة العظيمة، نعمة النطق، ونعمة اللسان، فاللسان أطيب شيء إذا طاب، وأخبث شيء إذا خبث، وهو أشرف الأعضاء وأعظمها قدراً بعد القلب، وهو أملك شيئاً

للإنسان كما ورد مأثوراً عن خير البشر صلى الله عليه وآله وسلم.

والإنسان كذلك لم يستح من الله وهو المطلع عليه، ولم يستح كذلك من الملائكة الكرام الكاتبين الذي يعلمون ما يفعله، فلم يحترم أعراض المؤمنين، ولم يحافظ على حقوق عباد الله المسلمين، فهو يطلق الكلام على عواهنه على أي شكل وقع، مع العلم أنه يعلم كل العلم بنتائج ذلك المدمرة نتائجه المهلكة.

فكم من كلمة من هذا أشعلت حروباً ودكت شعوباً كثيرة، وكم من كلمة فرّقت وشتت أمة كانت واحدة متماسكة، وكم من كلمة شتت أسراً وأخوةً وأصدقاء، وكم من كلمة باطل محت سنّة وأحيت بدعة، وثبّطت مجاهداً في سبيل الله، وركّزت منافقاً عدوّاً لله.

يؤكد هذا الحديث النبوي الشريف، الذي رواه الإمام الهادي عليه السلام في كتابه (الأحكام) قال عليه السلام: وبلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما كان يظن أنها تبلغ ما بلغت فيكتب اللهُ له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أنها تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها سخطه إلى يوم القيامة))[1]. نحن نعرف الجانب الإيجابي للكلمة معرفة ربما لا تحتاج إلى تفصيل، وذلك أن يكون الإنسان في حياته بلسانه ذاكراً لله سبحانه وتعالى بكل ما تعني كلمة (الذكر) من معنى.

ولنشر إلى الجانب السلبي للكلمة باختصار، فأضرار اللسان عظيمة في الدنيا والآخرة، ومنها ما يلي:

١ـ الكلام فيما لا يعنينا ولا يخصنا ولا فائدة لنا فيه، ولا هدفاً صالحاً من وراءه: في هذا النوع ضياع العمر ـ رأس مال المسلم في الحياة ـ فحياة الإنسان هو عمره، وهو الذي بواسطته يصل إلى الجنة، وبقدر تصريفه يربح ما أعده الله لعباده في دار الخلد، فلقد روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى

---

(١) الأحكام: ٢/ ٥٤٨.

يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه ..)) الحديث.

ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في صفات المؤمنين: ((إن المؤمن إذا نظر اعتبر، وإذا سكت تفكر، وإذا تكلم ذكر، وإذا استغنى شكر، وإذا أصابته شدة صبر)).

٢ـ الكذب من رذائل الأخلاق، وفواحش الأقوال، ومن عُرف به سقطت هيبته وقلّ إجلاله، ولم يثق بقوله القلب، وهو عند الله أوضع وأحقر، صفة للمنافقين. إن المؤمن لا يكذب على الإطلاق، مهما كانت الأعذار والمبررات، لأنه منافٍ للإيمان، فلقد روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: من إذا حدث كذب، وإذا أوعد أخلف، وإذا أؤتمن خان)).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من ترك الكذب بنى الله له بيتاً في رَبَض الجنة، ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتاً في وسط الجنة، ومن حسن خلقه بنى الله له بيتاً في أعلى الجنة)).

٣ـ الغيبة: هي جهد العاجز، وسلاح الفاشل، وعادة أكلة لحوم البشر، وتعريف الغيبة التي حرمها الله، هي (أن تذكر أخاك المؤمن بما ينقصه، بحيث لو كان حاضراً لتأذى بذلك، ولو كانت فيه تلك الخصلة المنقصة).

الغيبة جرمها كبير، قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات].

ويقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أربى الربا الاستطالة في عرض مسلم بغير حق)) ويقول صلى الله عليه وآله وسلم: ((من كف لسانه عن أعراض الناس أقَالَ الله عثرته يوم القيامة)).

وأما الفاسق فلا غيبة له؛ حتى يعرفه الناس، وليسلموا شره.

٤ـ النميمة: هي أخت الغيبة، وأضرارها تكمن في التحرش بين الناس، وبث الفرقة فيما بينهم، وهي آفة عظيمة، وجرمها عظيم؛ عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((من مشى بالنميمة بين العباد قطع الله له نعلين من نار تغلي منه دماغه...)) الحديث.

٥ـ قذف المؤمنين والوقيعة فيهم بما تخيله الظنون الكاذبة، ورمي المحصنات المؤمنات الغافلات، والسب والشتم، وكل كلام مسترذل:

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((من رمى محصناً أو محصنةً بفاحشة أحبط الله عمله، ووكل به يوم القيامة سبعين ألف ملك يضربونه من بين يديه ومن خلفه، ثم يؤمر به إلى النار...)) الحديث.

٦ـ مدح الفاسقين والظالمين وتعظيمهم: ذنب عظيم من العظائم، وكبيرة عند علام السرائر، في الحديث الشريف: ((إن الله يغضب إذا مُدح الفاسق)). وكم يسقط في هذا من المدّاحين، ووعاظ السلاطين، وعلماء السوء، والملازمين للبلاط الأميري.

٧ـ الاعتماد على الناس وسؤالهم والإلحاح عليهم في المطالب: وهي من أردأ الخصال وأرذلها، وفيها رفع الهيبة، وحصول الذلة، وصرف الناس عن القبول، فإنه إذا وعظ الآخرين وذكّرهم لم تقبل موعظته، تهمة له بطلب المنافع، يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((من سأل الناس أموالهم تكثّراً فكأنما يسأل جَمْراً، فليَسْتقِلْ عبد أو ليستكْثِر)).

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما من عبد فتح على نفسه باباً من السؤال إلا فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر)).

٨ـ استعمال اللسان في اللهو والطرب بالغناء والمزامير: وهي معصية كبيرة، وخصلة من خصال إبليس اللعين، فهو أول من تغنى وزمر ولهى، وعقابها ووبالها جسيم عند الله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((صوتان ملعونان فاجران في الدنيا والآخرة: صوت رنة عند مصيبة وشق جيب وخمش وجه ورنة شيطان، وصوت عند نعمة صوت لهو ولعب ومزامير شيطان)).

٩ـ الأيمان الفاجرة، وشهادة الزور: وهي من الكبائر العظام، والفواحش الجسام، روي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: ((اليمين الفاجرة تذر الديار بلاقع))

وفي حديث آخر: ((لا يقطع رجل حقَّ امرئ مسلم بيمينه إلا حرَّم الله عليه الجنة، وأوجب له النار)) فقال رجل من القوم: يا رسول الله وإن كان شيئاً يسيراً؟ قال: ((وإن كان سواكاً من أراك)).

وقال ﷺ: ((إن لشاهد الزور لعَلَمَاً يُعْرَفُ به يوم القيامة، عاضّاً على لسانه، يقرضه بأسنانه، يلهث لهثان الكلب في الرعاء)).

أخي المؤمن.. للسان أضرار كثيرة، فهو ثعبان فاتك، وهل يكب الناس في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم، وهل يوقع المنازعات والخلافات المدمرة التي بسببها تسفك الدماء، وتنتهك الأعراض، وتدمر الأرض، إلا ألفاظ اللسان وحصائده.

نسأل الله الكريم العظيم أن يرزقنا شكر نعمه، وأن يعصمنا من معاصيه إنه سميع مجيب، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين..



الدرس الخامس عشر

البصر (أهميته، وأخطاره)

من جملة نعم الله على الإنسان نعمة خلق البصر، وخلق العينين، فلقد وضع الله تعالى هذا العضو في المكان المناسب، بحيث جعله في وسط اتجاهات الجسم، حتى تكون الرؤية لكل شيء سهلة.

والبصر كغيره من الأعضاء سلاح ذو حدين، صالح للخير كما هو صالح للاستخدام في الشر، والإنسان هو المختار لأي الطريقين؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد عرَّضنا بالتكليف لمنافع الدنيا والأخرى، وحتى نقوم بالتكليف لا بد وأن نكون مختارين غير مجبرين.

ولنعلم أن البصر من جملة الأعضاء التي يجب أن تعرض تصرفاتُه على القلب، والقلب يُحكم قيادته على الأعضاء يصدر الأحكام إما بالفعل وإما بالترك.

والبصر يحتل مكانة هامة في نظر الإسلام، فلقد تحدثت الآيات القرآنية كثيراً عنه، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء].

وأما السنة النبوية الشريفة ففيها الكثير والكثير، قال رسول الله ﷺ: ((النظر في كتاب الله عبادة، والنظر إلى بيت الله الحرام عبادة، والنظر في وجوه الوالدين إعظاماً لهما وإجلالاً لهما عبادة)) وقال رسول الله ﷺ: ((إذا أخذْت كريمتي عبدي في الدنيا لم يكن له جزاء عندي إلاَّ الجنة)).

فوائد البصر

العين إنما خلقت لك لتنظر بها إلى غرائب الحكمة، وعجائب الصنعة؛ لتفكر فتعلم، ثم تعمل فتطيع، فتجازى بالنعيم، والنظر كذلك جعله الله للإنسان

لمشاهدة من يحب رؤيته، ويتمتع بالنظر إليه من ولدٍ أو زوجة أو أقارب وأرحام، أو أموال وممتلكات، وكل حسن ومحبوب.

ولوجه آخر: أن تهتدي به في ظلمات البر والبحر، وتستعين به في القيام بالطاعات والمباحات وتحصيل الحاجات، فالنظر وسيلة عظيمة لنظر الفكر والتأمل والعبرة فيما أبدع الله من المخلوقات، واخترع سبحانه من الموجودات.

العين تبصر، والقلب يفكر ويتأمل، والنفس تعتبر، ثم يكون العمل الصالح والتشمير في الطاعات، وقد يكون هذا النوع من النظر في أحوال العباد في هذه الدار، من بناء لهم طالما تعبوا من أجل الحصول عليه هو الآن أصبح خراباً، ومن مُلك كان واسعاً فصار ضيِّقاً، ومن كبر وشيخوخة بعد الشباب وخضارته وقوته .. وهكذا، والأعمال بالنيات عند هذا النظر.

ومن فوائد البصر: أنه وسيلة عظيمة لتحصيل العلوم الدينية، به يتلوا القرآن الكريم ويحفظه، ويطالع، ويقرأ ما قد دوّنه العلماء في الكتب في سائر الفنون العلمية.

ومن فوائد البصر ـ أيضاً ـ هو ذلك الذي يبعث على التأمل والعبادة للخالق سبحانه وتعالى، وهو الذي في الحديث السابق: ((النظر في كتاب الله عبادة، والنظر إلى البيت الحرام عبادة، والنظر في وجوه الوالدين إعظاماً لهما وإجلالاً لهما عبادة)).

آفات البصر

١ـ إشباع شهوة العين بالنظر إلى الشيء الذي حرمه الله تبارك وتعالى، ومنع منه، مثلاً ينظر إلى غير مَحْرَم، أو ينظر بها إلى صورة مليحة لشهوة، أو إلى عورة، ففي ذلك الخطر العظيم، والضرر الكبير، فهذا النظر يزرع في القلب سنابل الشهوة، فيقبل كل واحد من الأعضاء إلى اجتناء ثمرته تلك، فيغفل العقل فلا يكاد يستعمل، فهي مظلة للإنسان مغوية، تنسيه نفسه وعقله وحياءه وحرمته وأدبه ودينه، وتنسيه مع ذلك ربه وخالقه والمطلع عليه في يقظته ونومه.

يقول الرسول ﷺ: ((النظر سهم مسموم من سهام إبليس، من تركه خوف الله ـ عزّ وجل ـ آتاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه)) ويقول ﷺ: ((العينان تزنيان، واليدان تزنيان، ويصدق ذلك ويكذبه الفرج)).

٢ـ النظر في عيوب الناس وفي عيوب عباد الله المسلمين، طلباً للتجسس عليهم والوقيعة في أعراضهم، حتىٰ يشمت بهم أعداؤهم والحاقدون عليهم، يقول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات]، وقد روي عن الرسول ﷺ: ((ينظر أحدكم القذىٰ في عين أخيه، ويدع الجِذْع في عينه)).

٣ـ النظر إلىٰ أهل الدنيا وما يملكون، وما لديهم من البناء والأموال، والمناصب والرتب، وذلك لأنه يؤدي إلىٰ الفتنة والاغترار بدار الفناء، وعدم الرضا بما كتبه الله له، والسخط لقضاء الله وقدره، وقد يكون باعثاً علىٰ الحسد، وفي هذا من الأخطار ما لا يقّدر قدره، لننظر في هذه الآية المباركة في سورة القصص في حكاية قارون المتجبر الكافر، قال تعالىٰ: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [القصص].

٤ـ النظر إلىٰ مسلم بعين الغضب والاحتقار، فإن ذلك من جملة المهاوي والمخاطر، ولهذا قال النبي ﷺ: ((إن من أمتي من لو أتىٰ باب أحدكم فسأله ديناراً لم يعطه، ولو سأله درهماً لم يعطه، ولو سأله فلساً لم يعطه، ولو سأل الله تعالىٰ الجنة لأعطاها إياه، ولو سأل الله الدنيا لم يعطها إياه لهوانها عليه، ذو طمرين لا يؤبه له لو أقسم علىٰ الله لأبرّه)) فأشار ﷺ إلىٰ النهي عن الاستخفاف بالمؤمنين، وأولياء رب العالمين.

٥ـ النظر إلى ما يخص أخاه المسلم مما يكره النظر إليه، وذلك نحو النظر في كتاب أخيه المسلم إذا كره ذلك، فقد روي عن الرسول ﷺ: ((وإنه من نظر في كتاب أخيه المسلم بغير إذنه، فكأنما يَنظر في النار)).

٦ـ من جملة الآفات بل قد تكون أعظمها خاصة في هذا الزمان زمان الإنترنت، زمان المشفرات، والفضائيات المتنوعة، هو النظر في الصور الخليعة، والحركات الغير سوية في وسائل الإعلام المرئية والمكتوبة، وفي هذا النظر فساد الدين والأخلاق والقيم.

الكفار المستعمرون يصنّعون لنا، ونحن نشتري الفساد وندخله بيوتنا، ليُفسدنا ويفسد أبنائنا وبناتنا ونسائنا، فالله المستعان تَنَوَّري يا أمة الإسلام..

نسأل الله الكريم أن يحفظ ديار الإسلام من الفساد ومن الفاسدين، وصلى الله وسلم على محمد وآله، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين..



الدرس السادس عشر

من أمراض القلب (١)

نحن نعلم أن هناك أمراضاً كثيرة محسوسة ومؤلمة جداً يصاب بها القلب البشري، أعني: اللحمة الصنوبرية المعروفة، وهي (الفؤاد) وهذه الأمراض متفاوتة، فبعضها أخطر من بعض.

ونحن نعلم ـ أيضاً ـ أن العلم الحديث والفضل لله سبحانه وتعالىٰ قد اكتشف العلاجات المتنوعة لهذه الأمراض عبر الوسائل المختلفة، والإنسان المسكين ينفق أموالاً طائلة من أجل العلاج، ويذهب ويسافر علّه أن يخفِّف ولو بعض تلك الآلام، مع العلم اليقين أن نهاية جميع الأحياء هو الموت والفناء، والخروج من هذه الحياة المملوءة بصنوف المنغِّصات والامتحانات إلىٰ عالم الخلود الأبدي.

وما دمنا قد عرفنا هذا، فلنعلم أن هناك أمراضاً أشد وأخطر من هذه الأمراض التي تحل بالقلب، وللأسف لا نلقي لها بالاً، ولا حتىٰ نفكر في علاجها، وهذه أمراض معنوية، وهي أنواع كثيرة، وبنسب متفاوتة من شخص إلىٰ آخر.

وهذه الأمراض ـ نعوذ بالله تعالىٰ منها ـ نهايتها وخيمة، وعاقبتها أليمة؛ إذا مات صاحبها وهي بقلبه بدأت جناية ثمرتها المدمرة، العاقبة الخلود في النيران المصير المحتوم، أن يسكن بين الحيّات والعقارب والحنشان، ويأكل الزقّوم والضريع، ويشرب الحميم، ويسكن الجحيم، ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴿٥٥﴾﴾ [العنكبوت].

أليس من الواجب علينا المسارعة في علاج هذه الأمراض، والتفقد دائماً للقلب؛ لأن بعض هذه الأمراض قد تخفىٰ إذا لم يكن هناك علم ومعرفة ونور يُبصر به.

العلاج سهل وبسيط، لا يحتاج إلى أموال وعُملات صعبة، ولكن يحتاج إلى تقوى وإيمان وإرادة وعزيمة نافذة.

لنذهب جميعاً إلى الطبيب الماهر الحكيم، لنذهب إلى طبيب القلوب ودوائها، نبينا محمد ﷺ، ونشرح له كل ما بنا من أمراض، ونأخذ إرشاداته ونطبقها بجميع مواصفاتها، وهنا نتعافى ونعيش في سعادة، ونلقى الله وهو راض عنا.

وقبل الحديث عن هذه الأمراض بالتفصيل وكيفية علاجها، نتحدث عن القلب وأهميته، فمن المعلوم أن الله تعالى ركّب العقل في القلب وجعله عرضاً حالاً فيه، العقل الذي شرّف الله بواسطته الإنسان على غيره، فالعقل جمال الإنسان وكماله، وفخره وذخره في الدنيا والآخرة، العقل هو العالم بالله، والمؤمن بالله، والعامل لله؛ لأنه بالنسبة لبقية الأعضاء بمنزلة الرئيس والحاكم المطاع، وجميع الأعضاء بمنزلة الرعية الطائعة المنقادة، فالعقل مدار التكليف، وعليه ينبني الجزاء الدنيوي والأخروي.

لقد تحدث القرآن الكريم عن القلب والعقل، وتحدث عن أصحاب الأفئدة والعقول، وخاطبهم وأمرهم ونهاهم، وخوّفهم ورغّبهم، يقول الله تعالى في سورة (الشمس): ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾، وقال تعالى في (سورة البقرة): ﴿وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾﴾، وناداهم كثيراً وترجّاهم لعلهم (يفقهون) (يسمعون) (يعقلون) (يتذكرون) (يبصرون)..

ولقد أشاد الرسول ﷺ بهذه المكانة للقلب وما بداخله، فقد روي عنه ﷺ قوله: ((من أخلص لله أربعين صباحاً يأكل الحلال، صائماً نهاره، قائماً ليله، أجرى الله سبحانه ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه)) ويقول ﷺ: ((إنّ في جسد ابن آدم بضعة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)).

مرض الكِبْر

أمراض القلب كثيرة، ولنبدأ بالحديث عن مرض الكبر ـ أعاذنا الله تعالىٰ منه ـ فما هو مرض الكبر؟ وكيف العلاج منه:

الكبر مرض من أمراض القلب، يعرفه من حلَّ به، ويُحسُّ به من تورّط فيه، إنه بتعريف بسيط (بَطَرُ الحقِّ، وَغمْطُ النّاس حقوقهم، أو الترفع عليهم)(١).

إذا كان الحق يتعارض مع أطماع الشخص وشهواته يرفضه تماماً بسبب الحب الأعمىٰ للدنيا، وعليه يترتب عدم الاعتراف للآخرين بأي حق، يعتقد المتكبر أنه أفضل من قد خُلِق علىٰ وجه الأرض، وأنه الذي يملك وسائل الرفعة دون الآخرين، إما مالاً، أو علماً، أو جاهاً، أو ذكاءً، أو أولاداً كثيرين، وما شابه ذلك.

فإذا قد استولىٰ عليه هذا الشعور السخيف ترفع علىٰ أبناء جنسه، واستخفّ بهم، وغمطهم حقوقهم، وكاد أن يسحق كل من يقف أمامه، ولو قُدر له أن يحجب عن الخلق في بعض الأحيان الشمس والهواء لفعل.

قد يكون متكبراً بشيء بسيط، فيضعه هذا الكبر في قائمة الأبالسة والمتجبّرين، إما بسيارة فاخرة يعتلي مقودها، أو ثوب نظيف أو جديد يلبسه، أو كلمة عابرة ينطقها مستخفاً بمن يكلمه ومستهزئاً به، أو حِلْية يتحلاها.. وهكذا.

إن مرض الكبر المعصية الأولىٰ التي حدث بسببها أن خرج ملك من الجنة كان من الملائكة المتعبدين، وهو إبليس اللعين ((فلقد عبد الله ستة آلاف سنة، لا يُدْرىٰ أمنْ سنيِّ الدنيا أو من سنيِّ الآخرة)) كما قال أمير المؤمنين عليه السلام.

الكبر ثوب الأبالسة وأتباعهم، فهم بحق من استحقوا الطبع والران علىٰ قلوبهم؛ بسبب تجريهم وتكبرهم، قال الله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴿٣٥﴾﴾ [غافر].

---

(١) بَطَرُ الحقِّ: أن يتكبر عنه فلا يقبله، هكذا قال في القاموس، وقال ـ أيضاً ـ : غَمَطَ الناس، كَضَرَبَ وسَمِعَ: استحقرهم. والعافية لم يشكرها، والنعمة بَطِرَها وحَقَّرها.

والنار هي مثواهم ومصيرهم، قال تعالىٰ: ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴿٧٦﴾﴾ [غافر].

ولقد حكىٰ الله سبحانه وتعالىٰ حالة لأحد أولئك النفر المتكبرين كيف كانت نهاية حياته قبل العذاب الأخروي، إنه قارون المتجبر.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴿٨١﴾﴾ [القصص]، عدو الله تحت الأرض يتجلجل ويهوي حتىٰ تقوم الساعة، كما ذلك مروي.

ويكفي للمتكبرين خزي وهوان يوم القيامة، يوم الجمع الأكبر، فقد روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: ((إن المتكبرين يحشرون يوم القيامة علىٰ صور الذر في شكل الإنسان، يطؤهم الناس لهوانهم علىٰ الله)) أو كما قال صلى الله عليه وآله وسلم.

علاج هذا المرض

قد يعالج بالعلم وبالعمل، فإذا علم الإنسان بحاله وعرف قدر نفسه، فسيذهب عنه كل داء علىٰ الإطلاق، أصل الإنسان من نطفة قذرة، لا يحب الإنسان أن يتطلع إليها، وينظر إليها، فلما التكبر؟!

وأخر الإنسان جيفة منتنة، كرامتها دفنها بين التراب وتحت الأحجار، وقد تُداس بالنعال أحياناً، ويحمل في خلال الفترة بين النطفة والجيفة في جعبته ما لا يحسن الحديث عنه باللسان، فلماذا يتكبر؟!

وأما العلاج العملي فهو التواضع أولاً لله سبحانه وتعالىٰ، ثم التواضع لأولياء الله ثانياً.

إن التواضع نابع أصلاً من الشعور بالعزة والثقة بالنفس، ونابع ـ أيضاً ـ من حب الناس واحترامهم وتقديرهم، وإعطائهم حقوقهم، وعلىٰ العكس من ذلك كله بالنسبة للمتكبر، الذي يدفعه الشعور بالضعة وحقارة النفس إلىٰ محاولة رفع شخصيته علىٰ حساب الآخرين، ويدفعه حب نفسه وتقديسها إلىٰ الأنانية.

فالكبر عقدة نفسية لها جذورها، ولن يحلها إلا التواضع، فما هو التواضع؟ ولمن نتواضع؟

التواضع ليس علماً يقرأ، ولا نظرية تحفظ، ولا محاضرة تلقى، إنما التواضع فن وسلوك، يحتاج الإنسان إلى التدرب عليه، حتى يصبح ملكةً له، ويصبح جزءاً من تصرفاته الطبيعية.

التواضع هو التذلل، ولكن يجب أن يكون في محله، وأن نكون أذكياء في استعماله، فالتواضع يكون أولاً لله سبحانه وتعالى؛ لأنه ربنا ومالكنا والمنعم المتفضل علينا، ونحن عبيده المحتاجون إليه في كل لحظة، ولن نعبده حق العبادة إلا بالتواضع لعظمته، والخضوع لسلطانه، وتنفيذ جميع أوامره، والانتهاء عند نواهيه.

ثانياً: التواضع لأولياء الله المؤمنين، فقد وصف الله الذين يحبهم ويحبونه بأنهم: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] وعن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: أوحى الله إلى موسى بن عمران: ((أتدري لما اصطفيتك وكلمتك تكليما))؟ قال: لم يا رب، قال: ((لأني اطلعت على قلوب عبادي فلم أجدْ فيهم أشدّ تواضعاً لي منك)).

والتواضع لله ولأوليائه يكسب الإنسان عزّة ورفعة في المقابل، ولهذا جاء في الأثر ((من تواضع لله رفعه)) كما أن التكبر يورث الإنسان ذلة وحقارة ((ومن تكبر على الله وضعه))[1].

فكلما ازداد المؤمن تواضعاً ازداد رفعة وقداسة عند الناس، وكبُر في أعينهم، ونال منهم التقدير والاحترام، غير أن هذا مدخل خطير للشيطان لا بد من التنبه له، فقد يتعرّض الإنسان لضغوط شديدة من قبل نفسه، حيث تأتي دواعي الكبر، وحب الظهور عندما يرى التقديس والاحترام الزائد من قبل الناس، فيعتقد أنه أهل لذلك، ومن حقه

(١)- قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من يتواضع لله سبحانه درجةً رفعه الله به درجةً، ومن يتكبّر على الله درجةً يضعه اللهُ به درجةً حتى يجعله في أسفل سافلين)). انظر: سنن ابن ماجه برقم (٤١٦٦) كتاب الزهد، ومسند أحمد برقم (١١٢٩٩) كتاب باقي مسند المكثرين.

أن يُعظَّم ويُبجّل، ويتدرج الشيطان في خداعه حتىٰ يوقعه في شراكه، ولهذا يسقط إلىٰ الحضيض، ويتربّىٰ في أعماقه الغرور والعجب بنفسه، ويصرعه ذلك الداء العضال.

وقد يعمد الشيطان ـ أعاذنا الله تعالىٰ منه وإياكم ـ إلىٰ اتخاذ أسلوب أدق وأخطر، ليوقع الإنسان في حبائله ومصائده التي ينصبها لعباد الله، وخاصة المسلم الرسالي، الذي يحمل فكراً ومسؤولية، حيث يخيل له أنه لا بأس بهذا النوع من الرفعة والتقديس الذي يناله من الناس، ما دام أنه يصبُّ في مجال الحركة ونشر الوعي، باعتبار أن الداعية إلىٰ الله لا بد أن يتميز بشخصية بارزة في المجتمع، لكي تقبل منه المواعظ والمحاضرات والدروس، ويؤثر كلامه في الناس، ولكن ليعلم أَنّ في ذلك مفسدة عظيمة لعمله، ومهلكة لإيمانه، ومقتلاً لشخصيته.

ومن هنا ندرك معنىٰ الدعاء، الذي علمنا الإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام في (مكارم الأخلاق) قال عليه السلام: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلاَ تَرْفَعْنِي فِيْ النَّاسِ دَرَجَةً إلاَّ حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا، وَلاَ تُحْدِثْ لِي عِزّاً ظَاهِراً إلاَّ أَحْدَثْتَ لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقَدَرِهَا).

الحديث عن التواضع يستدعي بحثاً طويلاً نكتفي بهذا.

وأما الأمور التي يجب التركيز عليها، والسلوكيات التي يجب أن نتحلىٰ بها حتىٰ نكون متواضعين، فالمقام لا يتسع لذكرها كاملة، ولكنا نذكر بعضها علىٰ حسب الأولوية، فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((رأس التواضع ثلاثة: الابتداء بالتسليم علىٰ كل أحد، والرضا بالمجلس عن شرف المجلس، وحب العبد المساجد، وترك الرياء والسمعة في شيء من دينه)).

ولنعلم ـ أيضاً ـ أن الهلاك كل الهلاك في التالي: اتباع الهوىٰ، والبخل المطاع، والعجب، يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: ((ثلاث مهلكات: هوىٰ متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه)).

وسلام علىٰ المرسلين، والحمد لله رب العالمين..

الدرس السابع عشر

من أمراض القلب (٢)

الحسد والرياء من نتائج مرض الكبر، الداء الفتاك؛ لأن لأخيك المسلم عليك حقوقاً، ومن جملتها أن تحب له كل ما تحب لنفسك، وتكره له كل ما تكره لنفسك، والحاسد لا يرضى بالقيام بهذا الحق، والرياء وإخوانه من العجب والمباهاة، شعور بالعظمة والتعالي، وهي من الكبر.

على كل حال يحتاج كل من مرض الحسد ومرض الرياء حديث خاص، فلنبدأ بالحديث عن الحسد.

ما هو الحسد وكيف علاجه؟

الحسدُ: من أردأ الصفات وأسخفها، أصل كل فساد يوجد على وجه الأرض، ومنبع كل رذيلة، وكان الحسد شعار أولئك الشلة الذين حاربوا الدين، وقاوموا دعاته من الأنبياء عليهم السلام والأئمة والمصلحين، وما زال شعار المنحرفين عن خط الله، السالكين لخط الشيطان الرجيم.

لماذا كان هذا رسولاً؟ وهذا مصلحاً؟ وهو على حال من الفقر وقلة الأتباع.. وهكذا توسوس لهم الشياطين.. إن شعارهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف].

لقد كان الحسد عادلاً عندما بدأ بتدمير صاحبه، قال بعضهم: ((لو كان أمر الحاسد إليّ ما عاقبته بأكثر مما هو فيه: نَفَسٌ دائم، وحزن لازم، والحاسد مهموم مهجور، والمحسود منعَّم منصور)).

قال الشاعر في هذا المعنى:

ألا قل لمن كان لي حاسداً ... أتدري على من أسأت الأدب

أسأت على الله في فعله ... لأنك لم ترض لي ما وهب

فحظـــيَ منـــه الزيــــادات لي وحظــك منــه العنــا والتعــب

فجـــازاك عنـــي بـــأن زاد لي وقــد ســدّ عنــك وجــوه الطلــب

إن الحسد: هو كراهية وصول النعم للآخرين، أو كراهية بقاء تلك النعم وتمنى زوالها، سواء كانت تلك النعم مالاً، أو علماً، أو كثرة أولاد أو صلاحهم، أو ارتفاع مكانة اجتماعية، أو غيرها.

لماذا الحسد بمجرد نعمة يمنحها الله أحد عبيده، يعطيها له للاختبار، لينظر كيف يتعامل مع هذه النعمة، فلماذا يُحسد؟

لماذا ما يطلب الإنسان حاجاته ومتطلباته ممن عنده قضاء كل حاجة وكل طلب، يطلبها من الخالق للكون، والرازق لجميع من فيه، ممن خزائنه لا تنفد.

لنترك خلق الله في هذا على الله، ولا نعترض على حكمته، فقد روي في الحديث القدسي عن الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ((من لم يصبْر على بلائي، ولم يرض بقضائي، ولم يشكر نعمائي، فليتخذ رباً سواي)).

الأسباب والنتائج

أعظم الأسباب: قلة الدين، وضعف اليقين، والطمع المهين، ومن أسبابه: الكبر، وطلب الترفع، وهذا النوع من الحسد يكون منتشراً ومستوطناً بين أهل المدارس والمتعلمين وأجناسهم، فإذا علم أحدهم بمن يشاركه في علمه ومعارفه أو في كتاباته حسد ذلك؛ طلباً للترفع، ليكون أوْحَد زمانه، وإنسان عصره، ولهذا نتائج مضرة مدمرة للفرد والمجتمع، نسأل الله السلامة منه ومن كل داء.

ومن أسبابه: الحب الأعمى للدنيا، وحب الذات، فصاحبه لا يريد أن يعيش تحت النجوم سواه، ولا يمشي على الأرض عداه، فتراه عندما يحسد أخاه المسلم يطلق عنان لسانه عليه بالقول الباطل، ويحاول جاهداً إلصاق التهم به، ولا يحب أن يسمع ذكر المحسود بخيرٍ على الإطلاق، وقد يمتد ذلك الأذى إلى الفعل،

فيسخر جميع إمكاناته المادية وغيرها ضد ذلك الشخص المحسود.

ومن أسبابه: عدم الرضاء بقضاء الله وقدره، وعدم الرضاء بقسمته تعالىٰ بين عباده.

ونتائج الحسد كثيرة، منها: المكر والخديعة، ومنها الشماتة بما يصيب المحسود من قِبَلِ الله سبحانه وتعالىٰ من المحن والإختبارات، أو من قِبَلِ الناس، فلا شيء أحب إليه من أن تصيبه العاهات والأمراض والمشاكل.

ومن النتائج ـ أيضاً ـ سوء الظن، فإنه لولا حسد الحاسدين وبغض الباغضين ما ساءت الظنون، ولا كثرت التخيلات الباطلة، يقول الرسول الأكرم ﷺ: ((إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث)).

ولننظر إلىٰ محاربة الإسلام لهذا الداء الوبيل الممقوت، لقد أنزل الله سبحانه وتعالىٰ سورة كاملة تتلىٰ صباحاً ومساءً في القرآن الكريم: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

ويقول الرسول ﷺ فيما يرويه عن ربه: ((الحاسد عدو لنعمتي، سخط لقضائي، غير راضٍ بقسمتي التي قسمت بين عبادي)).

العلاج لهذا الداء

من خلال التأمل لنظرة الإسلام عن هذا الشعور البطّال، والخلق الذميم، نعرف أن العلاج يتمثل في التالي:

١ - الإيمان بالله ورسوله، والإيمان بقضاء الله وقدره، والرضىٰ الكامل بقسمته تعالىٰ بين خلقه.

٢ - أ ن يشتغل الإنسان بما يخص حاله وما يعنيه، ويترك الناس لرب الناس، فهو الذي سبحانه سيحاسبهم ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء].

٣- الصبر على الحالة التي يعيشها الإنسان، وليعلم أن الحياة ليست إلا دار ممر، مزرعة فقط ستجني ثمارَها بعد الموت.

مرض الرياء وأخواته

إن مرض الرياء من الأمراض الخطيرة، وإذا تمكن من القلب فإن علاجه يكون عسيراً جداً، ولا يزول إلا بعد وقت وقد يطول، فهو خلق ذميم غالباً ما يكون مخفياً، وآثاره تخرج إلى المشاهد بيّنة واضحةٍ.

وتعريف الرياء: فعل أمر مستحسن ـ أي طاعة ـ يفعله الشخص ليراه غيره عليه، طلباً للثناء من ذلك الغير، أو طلباً لحطام الدنيا مالاً كان أو جاهاً، أو ما شابه ذلك.

والعجب: هو مسرة بحصول أمر يصحبها تطاول على من لم يحصل له مثل ذلك الأمر، إما أن يتطاول قولاً أو فعلاً.

والمباهاة: نوع خاص من الرياء، وهي أن يجتهد الإنسان في إظهار بعض الخصال التي يشرف بها عند الناس؛ طلباً للتعظيم، مثلاً المباهات بحلق التدريس وكثرة أهلها، والمباهات بالعشيرة، ونحو ذلك.

هذا هو الرياء، وهذا تعريفه وبعض أقسامه..

كم هي سخرية واستهزاء بجبار السماوات والأرض، عندما يطلب من الإنسان أن يعمل له وحده خالصاً، فلا يرضى إلا أن يشرك معه في ا لشكر والخضوع والعبادة إنساناً مثله ضعيفاً مقهوراً محتاجاً، وكل ما يرجوه في المقابل من ذلك الإنسان لا يصل إليه إلا بتسخير من الله سبحانه وتعالى.

إنه عمل مرفوض، لا يقبل الله منه مثقال ذرة، بل يدَعَهُ لذلك الشريك، ففي الحديث: ((إن الله تبارك وتعالى إذا جمع الأولين والآخرين ببقيع واحد، ينفذهم البصرُ، ويسمعهم الداعي، يقول: ((أنا خير الشريك، من كان يعمل عملاً في الدنيا كان لي فيه شريك فأنا أدَعَهُ اليوم، ولا أقبل إلا خالصاً...)) الحديث.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣]، ويقول تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

ويقول الرسول ﷺ: ((أَخْوَفُ ما أخاف على أمتي الإشراك بالله، أما أني لست أقول: يعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً، ولكن أعمالاً لغير الله وشهوة خفية)).

وعن النبي ﷺ قال: ((رأيت ليلة أسري بي أقواماً في النار تُقرضُ شفاهُهُم بمقاريض من نار، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء خطباء أمتك، الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم)).

وفي مجموع الإمام زيد بن علي عليه السلام: ((من أخلص لله أربعين صباحاً يأكل الحلال، صائماً نهاره، قائماً ليله، أجرى الله سبحانه ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه)).

كم هي الحسرة والندامة، حينما يقف الإنسان بين يدي الله تعالى يوم القيامة صفر اليدين، لا يملك من الثواب والأجور شيئاً، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان].

كيفية العلاج؟

العلاج لهذا المرض يكون بالعلم والعمل، فبالعلم لا بد ((أن يعلم العبد أنه بين يدي الله عز وجل، يراه ويسمع كلامه، ويعلم ما في نفسه، فيجعله أمله، وتكون الطاعة عمله، ولا يغيب عن مشاهدته، ولا يزول إلى معاندته، زالت الدنيا من عينه، وتعلقت الآخرة في قلبه، فقيامه طاعة، وقوله نفاعة، وكلامه ذكر، وسكوته فكر، قد قطع قوله بعمله، وقطع أمله بأجله، وخرج من الشك إلى اليقين)).

هكذا قال نجم آل الرسول، أبو محمد القاسم بن إبراهيم عليه السلام.

والعلاج العلمي والعملي معاً هو الإخلاص لله تعالى، فالإخلاص: هو الجسر الذي تعبر من عليه الأعمال الصالحة إلى الله، وبدونه تتردى في الهاوية، وتتحول الأعمال إلى وبال وجحيم تحرق صاحبها.

إن إصلاح السريرة وإخلاص النية، من الأهمية بمكان؛ لأنه إذا تحول الإنسان من المحتويات والجواهر إلى القشور والظواهر يصير إنساناً مُفرغاً من الدين والقيم، مزيّف الشخصية، ولا بد أن يفتضح مهما طال الزمن، أمّا مع الله فهو مفضوح من أول وهلة، وهي بحق الفضيحة الكبرى.

يقول الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما أَسرَّ عبد سريرة إلا ألبسه اللهُ رداءها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر)).

والكتم للأعمال الصالحة من العلاجات الناجحة لمرض الرياء، إضافة إلى أنه عمل محبوب إلى الله سبحانه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الله يحب الخفي التقي)) وأوصى الله تبارك وتعالى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل: ((إن أحببت أن تلقاني غداً في حظيرة القدس، فكن في الدنيا: وحيداً، مهموماً، محزوناً، مستوحشاً، بمنزلة الطائر الواحد الذي يطير في أرض القفار، ويأكل من رؤوس الأشجار، ويشرب من ماء العيون، وإذا كان الليل آوى وحده، ولم يأوِ مع الطيور، واستأنس بربه، واستوحش من الطيور)).

ولنتأمل حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي يقول فيه: ((من طلب الدنيا بعمل الآخرة طُمس وجهه، ومحق ذكره، وأثبت اسمُه في النار)).

ولكي نتعرف على صنف المرائين لنحذرهم، ولنحذر أعمالهم، يرشدنا الإمام علي عليه السلام بقوله: ((للمرائي ثلاث علامات: ينشط إذا رأى الناس، ويكسل إذا خلا، ويحب أن يُحمد في جميع أموره)).

وفي كتاب (الاعتبار وسلوة العارفين) للإمام الموفق بالله عليه السلام في بعض مواعظ أهل البيت عليهم السلام: ((المؤمن يخلط عمله[1] والحكيم يجلس ليتعلم وينطق ليفهم، ويصحب ليسلم، لا يبذل شهادته إلا صدقاً، ولا يكتم شهادته إلا عدلاً،

---

(١)- أي: يعمل تارة سراً وتارة جهراً، والعمل بالنيات في كل ذلك، والله أعلم.

ولا يغفل شيئاً من الحق، إن زكّى خاف مما يقول، ويستغفر مما لا يعلم، لا يغره قول من جهله، ولا يخشى إحصاء ما قد عمله. والمنافق: يَنْهَى ولا ينتهي، ويَأْمُرُ بما لا يأتي، إذا قام إلى الصلاة اعترض، وإذا ركع ربض، وإن سجد نقر، وإن جلس شغر[(١)] يمشي وهمه الطعام وهو مفطر، وهمه النوم ولم يسهر، إن حدثك كذبك، وإن وعدك أخلفك، وإن ائتمنته خانك، وإن خالفك اغتابك)).

فعلينا أيها الأخوة التأمل في أعمال ومواقف أهل البيت، عليهم السلام: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا۝٩﴾ [الإنسان].

ولنتذكر موقف الإمام علي عليه السلام مع الفارس الشجاع عمرو بن عبد ود العامري في (غزوة الأحزاب) إخلاص لله تعالى حتى في أحلك الظروف وأصعب المواقف، حشرنا الله في زمرتهم، آمين ..آمين.



(١)- أي: رفع رجله كما يرفع الكلب عند البول.

الدرس الثامن عشر

خطورة الغضب ومكانة حسن الخلق

الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة، إلا أنها مستكنَّة في الفؤاد استكانة الجمر في الرماد، ويستخرج تلك النار المشتعلة الكبرُ الدفين، والحميةُ، والعصبيةُ، والأنفةُ، وطبعاً حطبها الجهل الأعمى، وتظهر الآثار على الأعضاء الخارجية من الوجه الحانق، المحمرة عيونه، المتنفخة أوداجه، واللسان السبّاب اللعّان، الطّعان في أعراض الآخرين، الذين قد غضب عليهم، وربما تعدى الأمر إلى الضرب والإهانة والقتل وما أشبه.

وحقاً لو رأى الشخص الغاضب نفسه وحالتها في مرآة حال غضبه لمقتها أيَّ مقتٍ.

روى أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما صلى العصر، فما ترك شيئاً هو كائن بين يدي الساعة إلا ذكره في مقامه ذلك، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، فقال في خطبته: ((أيها الناس: إن الدنيا خَضِرة حلوة، وإن الله سبحانه مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون، فاتقوا الله، واتقوا النساء، واتقوا الغضب؛ فإنه جمرة تتوقد في جوف ابن آدم، ألا ترون إلى انتفاخ أوداجه، وحمرة عينيه، فإذا أحسَّ أحدكم بشيء من ذلك، فليذكر الله سبحانه وتعالى)).

ويقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((من كَفَّ غيظه كفَّ الله عنه عذابه، ومن اعتذر إلى الله قبل عذره، ومن خَزَن لسانه ستر الله عورته)).

أسباب الغضب

بعض أسبابه أمور غريزية، وهذه قليلة جداً، ربما تكون أقل من الكبريت الأحمر، ومن أهم أسبابه:

عدم التحلي بالصبر، وسرعة الحكم على الآخرين، وعدم التحري في دقة المعلومات، ومن أسبابه: الغرور القاتل، والذي لا يريد صاحبه أن يرى أمامه إلا ما يحب، وأن يسمع إلا ما يحلو ويطيب، وغير هذا يغضبه.

ومن أسبابه: الكبر، والعصبية الممقوته، وَلَكَم ورد في الغضب من التحذيرات، يقول الرسول الأكرم ﷺ عندما سأله أحد الصحابة فقال: قل لي وأقلِلْ لعلِّي أعقله، قال: ((لا تغضب)) فأعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع إلى ((لا تغضب)).

وفي حديث المصطفى ﷺ: ((ليس الشديد بالصُرْعَةِ ـ وهو الشجاع الذي يصرع كل من يقابله ـ وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)).

ويقول الرسول ﷺ: ((من كظم غيضاً وهو قادر أن يُنفِّذه، دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيِّره في أي حور يشاء)).

ولعل سائلاً يسأل فيقول: هل كل الغضب مذموم؟

فالجواب: إن هناك من الغضب ما هو ممدوح، وذلك إذا كان الغضب لله ـ عز وجل ـ حين تُنتهك محارمه، وتواقع المنكرات والمعاصي، ففي الحديث: قال موسى بن عمران عليه السلام: تباركت وتعاليت يا رب، مَنْ أَهلُك الذين تظلهم في ظل عرشك، يوم لا ظل إلا ظلك؟ قال: فأوحى الله ـ عز وجل ـ إليه: ((الطاهرةُ قلوبهم، البرية أيديهم، الذين يكتفون بطاعتي كما يكتفي الصبي الصغير باللبن، الذين يأوون إلى مساجدي كما تأوي الطير إلى أوكارها، الذين يغضبون لمحارمي إذا استُحِلَّتْ كالنمر إذا طرد)).

ما هو العلاج لمرض الغضب؟

عند هيجان الغضب هناك علاج عملي، وعلاج علمي نظري، فمن العلاجات الناجحة:

يستعيذ الإنسان بالله رب العالمين من شر الشيطان الرجيم بلسانه كثيراً،

فإذا كان حال الغضب قائماً فعليه أن يقعد ويقرب إلى الأرض التي تكون منزله ومأواه في الأخير، منها خلق، وفي ترابها يعود، فإذا لم يذهب الغضب فعليه بالاضطجاع إلى الأرض، فإذا لم يُجْدِ ذلك فليصب عليه ماءً بارداً، أو فليغتسلْ، أو فليتوضأْ.

ومن العلاجات: أن يعلم أن الحياة مسرح التغيرات، ولا يبقى على حاله إلا الخالق سبحانه، والحياة كلها زائلة، فالحياة بما فيها لا تستاهل كل هذا الغضب، وإحراق الأعصاب، وليتذكر مصائب الآخرة التي تدوم، فكل بلاء غير النار فهو عافية.

وليعلم بأن الغضب لا يعوِّض ما فات، ولا يرد ما قد كُسّر وذُهب به، وإنما تحرق قلبك وتؤذي غيرك، وليعلم أن الذين يكظمون غيظهم عند الله في درجة عالية، فهم ممن قد أعد الله لهم الجنة التي عرضها السموات والأرض، يقول تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران].

ولنطلع على تاريخ العظماء من أهل البيت الكرام وشيعتهم الأخيار، فلهم قصص وحكايات في كظم الغيض، ولعلنا قد علمنا حكاية الإمام زين العابدين السجّاد علي بن الحسين عليه السلام في هذا الشأن.

حسن الخلق

الأخلاق الفاضلة الحسنة ضرورة حضارية لا غنى لأي شخص عنها، فالخلق الفاضل يجذب القلوب، ويدعوا إلى احترام صاحبه، وبالأخلاق تشق الأمم النجاح، وتهزم ذرائع الفشل، وبالخلق الحسن يعيش الإنسان مطمئن البال، مستقر الحياة، فلقد كان شعار المصطفى الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم حتى قال الله تعالى فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴿٤﴾﴾ [القلم].

والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم جعل الهدف الأسمى للرسالة السماوية، هو الدعوة إلى مكارم الأخلاق، حيث روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))

ويقول ﷺ: ((إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن تسعوهم بأخلاقكم)) وقال ﷺ: ((ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق)).

ومن النتائج الطيبة لهذا الخلق العظيم أنّ المسيء لك يتحول إلى صديق حميم، بعد أن كان عدواً ألدَّ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾ [فصلت].

والإسلام قد قلّد صاحب الأخلاق الحسنة أوسمة عالية، ومناقب لا تقدر بثمن؛ لأن حسن الخلق فن عملي سلوكي يحتاج إلى لباقة وصبر وجد واجتهاد، إنه بتعريف بسيط (الوقوف بحزم أمام الضغوط النفسية، وهو كذلك ثورة عارمة على السلبيات، كالغضب والأنانية وغيرهما).

انظر مكانة صاحب الخلق الحسن في نظر الإسلام، يقول الرسول ﷺ: ((إن أفضلكم إيماناً أحسنُكم أخلاقاً، الموطِّئون أكتافاً، الواصلون لأرحامهم، الباذلون لمعروفِهم، الكافُّون لأذاهم، العافون بعد قدرة)).

ويقول ﷺ: ((إن أقربكم مني وأوجبكم عليَّ شفاعة، أصدقُكُمْ لساناً، وأحسنكم خلقاً، وأدَّاكم لأمانته، وأقربُكم من الناس)).

ويقول الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام في كتابه (الأحكام في الحلال والحرام): الحَسُن الخلق قريب من الله، قريب من الناس، والحسن الخلق يدرك بحسن خلقه ولين جانبه من مودة الناس ما لا يدركه المعطي للمال، الذي لا خلق له من الرجال، فمن حَسَنَ خلُقُه فليشكر الله، وليعلم أنها أكبر نعم الله عليه، وفي ذلك ما بلغنا عن رسول الله ﷺ، أنه قال: ((إنَّ الرجل ليُدرك بحسن خلقه درجة الصائم نهاره، القائم ليله، المجاهد في سبيل الله، وإنَّ سيء الخلق ليكتب جباراً وإن لم يملك إلا أهله)).

والسؤال الذي يطرح نفسه: كيف يصبح الإنسانُ ذا خلق حسن، أو متى يوصف الإنسان بحسن الخلق؟

إنّ حسن الخلق استقامة تامة مع الله سبحانه المنعم المتفضل، وهو كذلك تآلف وتحابٌّ مع المؤمنين، وبذل وعطاء بقدر المستطاع، وليس حسن الخلق ابتسامة مزيّفة على الشفاه، وليس انحطاطاً للنفس وإذلالاً لها أمام الآخرين، وليس هو المجاملة والمداهنة، وعدم إنكار المنكر.

ولنتأمل حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي روي عنه عندما سئل: ما الدين؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((الخلق الحسن)).

أليس إيتاء الزكاة من الخلق الحسن!

أليس الحج من الخلق الحسن!

أليس الصلاة من الخلق الحسن!

أليس حسن الجوار من الخلق الحسن!

من وظائف حسن الخلق

من هذه الوظائف العفو عن زلات الآخرين ومسامحتهم، خاصة مع القدرة على القصاص، يقول الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران].

ويقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((من كظم غيضاً ولو شاء أن يمضيه لأمضاه، ملأَ اللهُ سبحانه قلبَه أَمْناً وإيماناً يوم القيامة)).

وكان من دعاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((اللهم أغنني بالعلم، وزينّي بالحلم، وكرّمني بالتقوى، وجمّلني بالعافية)).

ويروى أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلُهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، ويجهلون عليّ، وأحلم عنهم، قال: ((لأن كان كما تقول فكأنما تسِفُّهم الـمَلَّ ـ وهو الرماد ـ ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك)).

ومن وظائف حسن الخلق الزيارة لإخوانك المسلمين، روى الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام في فضيلة التزاور حديثاً بسنده إلى سلمان الفارسي رحمة الله تعالى عليه أنه قال: ((خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زائراً لأناسية من أهل اليمن كانوا بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الإسلام فدخل عليهم، فجعل يصافحهم واحداً واحداً، فلما خرجنا قال: يا سلمان ألا أبشرك، فقلت: بلى يا رسول الله، قال: ما من مسلم يخرج من بيته زائراً لإخوة له مسلمين إلا خاض في رحمة الله وشيعه سبعون ألف ملك حتى إذا التقوا وتصافحوا كانوا كاليدين التي تغسل إحداهما الأخرى وغفر لهم ما سلف، وأعطوا ما سألوا))(١).

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو على خلق عظيم، وفي سائر الصالحين الأسوة والقدوة، فحياتهم مليئة بالخيرات والمقامات المشهورة في باب حسن الخلق.

وعندما سئلت إحدى زوجات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقالت: ((كان خلقه القرآن)).

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

وروي عن الإمام السبط الشهيد الحسين بن علي عليه السلام أنه قال: ((لو شتمني إنسان في أذني هذه، واعتذر إليَّ منه في أذني هذه، لقبلت منه)).

ولقد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما أكثر ما يُدْخِل الجنة؟ قال: ((تقوى الله، وحسن الخلق...)) الحديث.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين



(١) ـ الأحكام: ٢/ ٥٢٣ ـ ٥٢٤.

الدرس التاسع عشر

الحب في اللّه والبغض في اللّه

نحن نعلم أن الحب أو المحبة، هي: مَيْلُ الطبع البشري إلى الشيء المحبوب. والبغض والكراهية، هي: نفرة الطبع البشري من الشيء المكروه، هذا هو مفهوم الحب المطلق والبغض المطلق.

لكن الحب في الله والبغض في الله: هو حبُّ الحق وحب من أطاع الله واستجاب لأوامره قريباً كان أو بعيداً، وبغض الباطل وبغض من عصى الله وتعدى حدوده قريباً كان أو بعيداً.

يكون الإنسان على هذا في أعلى مراتب الارتباط والتعلق، فقلبه مُفعم بحب الله، وكل تفكيره حول عظمة الخالق سبحانه.

يفكِّر المحب لله دائماً بابتكار الوسائل التي تقربه إلى الله وإلى رحمته وإلى ثوابه، واجتناب كل ما من شأنه إسخاط محبوبه، وكذلك بقية أعضائه مفعمة بحب الله سبحانه وتعالى تتسابق في عمل الصالحات.

فكما قيل: المريد يكون قلبه يجول في الملكوت الأعلى، ثم يمنع نفسه من الرجوع إلى عادتها وشهواتها، فإن لم يكن كذلك فهو مغرور في ما هو فيه، وغير مستحق لما يدّعي، ومحال أن يطير الطائر في الهوى وهو مربوط في حجر ثقيل.

كذلك القلب محال أن يصعد في الملكوت الأعلى وهو مربوط بالآفات، محفوف بالرغبة في الدنيا، مشغول بالتزين والتنقل في الشهوات.

أوصاف المحبين

قال نجم آل الرسول القاسم بن إبراهيم عليه السلام في وصفهم ((يحبهم الله كرماً، ويحبونه ألماً، يحبهم إرادة، ويحبونه عبادة، يحبهم رحمة، ويحبونه خدمة، يحبهم تفضلا، ويحبونه تذللاً، إذا أحبك سترك، وإذا أحببته قربك وشرفك، إذا أحبك

أغناك، وسترك وآواك، المحب عينه لا تنام، همته الصلاة والصيام، أهل المحبة إذا جنَّهم الليل أَرِقُوا، وإذا أضاءهم الصبح فَرَقوا، وإذا قُرئ القرآن صاحوا، وإذا ذكروا ذنوبهم ناحوا، من كان بالله أعرف، كان من الله أخوف، من رجا طلب، ومن أحب تقرب، ومن خاف هرب، ينام الناس ولا ينام، ويضحك الناس ولا يضحك، الأحزان تهدُّ الأركان، وتشيّد الإيمان، إن الله يحب كل قلب حزين، الحزن عمارة القلب الخراب، المحزون يفتح له الباب، كلام المحزون في خلوته يقول: كأني بك وقد تجرعت مرارة المذاق، وقيل: إلى ربك المساق، كأني بالغطاء وقد كشف، كأني بالوعد وقد اقترب، وبالوعيد وقد وجب، كأني بك في اللحود، مُضاجِع للدود، كأني بالمظلوم، وقد تعلق بالظالم، كأني بهذا الضياء وقد أظلم، وبهذا العمر وقد انصرم، كأني بالمنادي وقد نادى، وبالليل والنهار وقد بَادَا، كأني بهذا الجسد وقد ذهب عنه النشاط، وطوي من تحته البساط)).

هذا هو المحب في الله، وأما الحب في الله، فهو أن يميل قلبك إلى كل من يعمل بطاعة الله، ويجتنب كل ما نهى الله عنه، من كان من المؤمنين، واتصف بصفات الصالحين التي يحبها الله، فهذا يجب أن يدخل قلبك حبه، ومن القلب تنعكس الأفعال والحقوق التي عليك لأخيك هذا، مع قطع النظر عن الحب الذي يكون في قلبك لهذا الشخص؛ لاعتبارات أخر، مثلاً: حب الوالدين، والأولاد، وحب الزوجة، وحب القرابة، حب ذي النعمة وغيرهم، الحب في الله منزلة خالصة فوق هذا وذاك.

والبغض في الله عكس هذا تماماً، فكل من خالف أوامر الله وأسخط الله سبحانه فهو العدو الذي لا يرحم، والبغيض الذي يكره ويسخط، يجب أن يكون قلبك مملوءاً عليه بغضاً وكراهية وعداوةً له ولأعماله التي يمارسها، سواء كان ذلك الشخص قريباً أو بعيداً.

هذا الشخص مشى في خط الشيطان فهو العدو الذي لا نصادقه، ونقطع عنه كل ارتباط ولو كان حاكماً، ولو كان عالماً كبيراً لكنه من علماء السلاطين ووعاظ الملوك، الذين زيّنوا لهم المنكر في ثوب المعروف، والمعاصي في لباس الطاعات.

وسنذكر رسالةً بعث بها أحدُ الأولياء لواحد من علماء السلاطين، وهكذا يكون الحب في الله والبغض في الله من خلال تبادل النصائح.

أيها الأخوة المؤمنون: إن موالاة أولياء الله ومعاداة أعداء الله أساس الدين الحنيف، وقاعدة عريضة ارتكزت عليها دولة الإسلام، فهي من أوثق عرى الإيمان، كما قال الحبيب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولنتأمل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة].

ويقول الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في حديث ذكره الإمام الناصر الأطروش عَلَيْهِ السَّلَامُ في كتابه (البساط): ((لو أن عبداً قام ليله، وصام نهاره، وأنفق ماله في سبيل الله عِلْقاً عِلْقاً، وعبد الله بين الركن والمقام، ثم يكون آخر ذلك أن يذبح بين الركن والمقام مظلوماً لما صعد إلى الله من عمله وزن ذرةٍ، حتى يظهر المحبة لأولياء الله، والعداوة لأعدائه)).

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود].

وهنا نأتي بالرسالة التي وعدنا بها، وقد ذكر الرسالة العلامة الزمخشري في تفسيره (الكشاف) عند تفسير هذه الآية الكريمة، قال:

لما خالط الزهري السلاطين كتب إليه أخ له في الدين[١]: ((عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك: أصبحت شيخا كبيرا وقد أثقلتك نعم الله بما فهمك الله من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران:١٨٧].

واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأحق ما احتملت: أنك آنست وحشة الظالم، وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلاً، حين أدناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم، وجسرا يعبرون عليك إلى بلائهم، وسلّما يصعدون فيك إلى ضلالهم، يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء.

فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك، وما أكثر ما أخذوا منك في جنب ما أفسدوا عليك من دينك، فما يؤمّنك أن تكون ممن قال الله فيهم: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا۝٥٩﴾ [مريم]، فإنك تعامل من لا يجهل، ويحفظ عليك من لا يغفل، فَدَاوِ دينَكَ فقد دخله سقم، وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد، وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء والسلام)).

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((قال عيسى بن مريم للحواريين: تحببوا إلى الله عز وجل، وتقربوا إليه، قالوا: يا روح الله بما نتحبب إلى الله ونتقرب إليه؟ قال: ببغض أهل المعاصي، والتمسوا رضا الله بسخطهم)). ذكره الإمام أبو طالب عليه السلام في (الأمالي).

والآن أيها الأخوة نأتي لنتعرف على مكانة من يقوم بهذا الواجب العظيم الحب في الله، والبغض في الله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن من عباد الله عباداً

(١) ـ واسمه أبو حازم الأعرج ـ رضي الله عنه ـ.

ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله، قالوا: يا رسول الله أخبرنا من هم؟ وما أعمالهم، فلعلنا نحبهم؟

قال: هم قوم تحابّوا في الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوهَهم لنور، وإنهم لعلى منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، ثم قرأ الآية، وهي قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ۝٦٢ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ۝٦٣ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ۝٦٤﴾ [يونس].

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم: ((المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء، في رأس ذلك العمود سبعون ألف غرفة، يُشرفون على أهل الجنة، يضيء حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، فيقول أهل الجنة: انطلقوا بنا ننظر المتحابين في الله، فيضيء حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس، عليهم ثياب سندس خضر، مكتوب على جباههم المتحابون في الله)). ويقول صلى الله عليه وآله وسلم: ((من سرّه أن يجد حلاوة الإيمان، فليحب المرء لا يحبه إلا في لله)).

ويروى: أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: ((هل عملتَ لي عملاً قط))؟ فقال: إلهي صليت لك، وصمت، وتصدقت، وزكيت. فقال: ((إن الصلاة لك برهان، والصوم جُنَّة، والصدقة ظل، والزكاة نور، فأي عمل عملتَ لي))؟ قال موسى: إلهي دلّني على عمل هو لك، قال: ((يا موسى هل واليت لي ولياً، وعاديت لي عدواً)) ذكره الإمام المؤيد بالله عليه السلام.

وفي الحديث: ((يحشر المرء مع من أحب، وله ما اكتسب)).

فلينظر الإنسان من يحب أن يحشر معه، أمع أولياء الله والأصفياء والمحبين لله؟ أم مع أعداء الله الطغاة الظالمين؟

في بعض الأوقات يكسب الإنسان ذنوباً عظيمة وهو جالس في بيته، أو في عمله، بمجرد الحب الأعمى لأعداء الدين، والرضا بصنع الظالمين، والتشوق

لبث أخبار المتسلطين على رقاب الشعوب المغلوبة على أمرها.

هذا الإنسان ممن باع دينه بدنيا غيره، فهو من أخسر الخاسرين، وخاصة إذا كان هذا الشخص لديه علم ومعرفة، حيث كان من علماء البلاط فيصبح لا محالة قطباً لرحى باطلهم، وجسراً يعبرون من خلاله لتحقيق أهدافهم وأطماعهم.

ومن خلال الآيات القرآنية التي سمعناها، والأحاديث النبوية الشريفة والآثار التي قدمناها، نرى النتائج الطيبة والمكاسب الرابحة في الدنيا والآخرة للمتحابين في الله، الذين قاموا بأداء هذا الواجب، حبّاً لله وبغضاً فيه.

ويترتب على المحب لمن يحب حقوق كثيرة، منها: الزيارة والسلام، والتعاون في كل الظروف، والدعاء له بظهر الغيب، وغير ذلك.

نسأل الله العلي الكريم أن يصلي ويسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأن يرزقنا حبه، وحب من يحبه، وحبّ كلِّ عمل يقربنا إلى حبه.

ونسأله تعالى أن يجعلنا ممن يوالي أوليائه، ويعادي أعدائه، آمين .. آمين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.



الدرس العشرون

بر الوالدين وصلة الأرحام*

لقد عظّم القرآن شأن الوالدين وحض على إجلالهما ومصاحبتهما بالبر والإحسان والمعروف، فقرن الله بر الوالدين والإحسان إليهما بتوحيده، قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴿١٤﴾﴾ [لقمان].

وذلك لما قام به الوالدان من جهود مشكورة عظيمة في رعاية الأولاد والحفاظ عليهم، وفي سبيلهم تحملوا المشاق والمتاعب، فاضطلعت الأم بأعباء الحمل والوضع، والرضاع، وسهرت الليالي، وتحملت أعباء النظافة والتمريض والعناية المستمرة.

واضطلع الأب بأعباء كثيرة من توفير وسائل العيش والراحة لأولاده، وتحمل مشقة التأديب والتربية، والصبر على أذاهم.

روى الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام في كتابه (الأحكام): قال: صعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنبر فقال: ((يا أيها الناس إن جبريل أتاني فقال: يا محمد من أدرك أبويه أو أحدهما فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين))[(١)]، وروى الإمام علي بن موسى الرضى عليه السلام في صحيفته قال: حدثني

(*) الحقوق المنسية: ٥٥-٦٦.

(١) ـ الأحكام: ٢/ ٥٢٧.

أبو جعفر عليه السلام قال: ((أدنى العقوق أف ولو علم الله شيئاً أهون من أفٍ لنهى عنه))[١].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((لنومك على السرير إرضاء لوالديك تضحكهما، وتضحكك معهما أفضل من جلادك بالسيف في سبيل الله))[٢].

وروي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين سأله أي الأعمال أحب إلى الله قال: ((الصلاة لوقتها)) قال: قلت ثم أي؟ قال: ((بر الوالدين)) قلت: ثم أي؟ قال ((الجهاد))[٣].

وروي عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن من تعظيم إجلال الله أن تجل الأبوين في طاعة الله))[٤]، وروى عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((النظر في كتاب الله عبادة، والنظر إلى البيت الحرام عبادة، والنظر في وجوه الوالدين إعظاماً لهما وإجلالاً لهما عبادة))[٥].

ولقد فسر الإمام السبط ابن رسول الله الحسين بن علي ـ عليه السلام آية البر، فقد روي: ((أن رجلاً سأل الإمام الحسين عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ما هذا الإحسان؟ فقال: الإحسان أن تحسن صحبتهما، وأن لا تكلفهما أن يسألاك مما يحتاجان إليه، وإن كانا مستغنيين، وأما قوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾، قال: إن اضجراك فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما إن ضرباك، قال: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴿٢٣﴾﴾ ، إن ضرباك فقل لهما غفر الله لكما، فذلك منك قول كريم، قال: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾، قال: لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلا برحمة ورقة، ولا ترفع صوتك فوق

(١) ـ صحيفة الإمام علي بن موسى الرضا:١٨٨.
(٢) ـ رضا رب العباد: ١٠٠.
(٣) ـ صحيح البخاري برقم (٤٩٦).
(٤) ـ الأحكام: ٢/ ٥٢٧.
(٥) ـ الأحكام: ٢/ ٥٢٧.

صوتهما، ولا يدك فوق أيديهما، ولا تقَدَّم قدامهما)).

ويجب أن نعلم أن بر الوالدين في حال حياتهما وبعد وفاتهما، فما أحوج الأب والأم بعد موتهما إلى دعاء واستغفار ولدهما الصالح، والتصدق على نيتهما، قال الإمام علي عليه السلام: ((إن الرجل ليكون باراً بوالديه في حياتهما فيموتان فلا يستغفر لهما فيكتبه الله عاقاً، وإن الرجل ليكون عاقاً بهما في حياتهما فيموتان فيستغفر لهما فيكتبه الله باراً))[١].

ومن المعلوم أن ابن آدم إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له.

فإسداء الخيرات إليهما، وقضاء ديونهما من الأمور التي حث عليها الإسلام.

ومن المعلوم أن الوالد عليه حقوق لولده، وتقع عليه مسؤوليات، فعلى الولد لوالده حقوق، وعلى الوالد لولده مسؤوليات، فهناك تبادل في الحقوق والمسؤوليات، يقول الإمام زين العابدين علي بن الحسين سلام الله عليه: ((وأما حق ولدك فأنت تعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، إن عمل ابنك عملاً حسناً قال له الناس: رحم الله أباك ! وإن عمل سوءاً قال الناس: لعن الله أباك، وإنك مسئول عما وليته به من حسن الأدب والدلالة على ربه جل وعلا، والمعونة على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الإحسان إليه، معاقب على الإساءة إليه))[٢].

مسؤوليات الوالدين عظيمة، فعلى عواتقهما تقع مسؤولية التربية لأولادهما تربية إسلامية.

قلب الطفل كالأرض الخالية، فليبادر الوالدان بزراعة القيم والتقوى في هذه الأرض الخصبة، قبل أن يزرع غيرهُم الانحرافات الفكرية، والانحرافات

---

(١) ـ الأحكام: ٢/ ٥٢٧.

(٢) ـ الحقوق المنسية: ٦١.

السلوكية فيندما حيث لا ينفع الندم..

ولا بد من مراعاة ضوابط التربية على ضوء مر احلها:

ففي السبع السنوات الأولى التي تعتبر (المرحلة الأولى) لا بد من التعامل مع الطفل تعاملاً حسناً يلبي رغباته في حدود المعقول، حتى عند وقوع الطفل في ترديد الألفاظ الغير سوية كيف علاجه؟ ليس بالمنع عنها مباشرة، فربما يزداد؛ لأن الأطفال يحبون المشاكسة، والقائمون على التربية لهم طرق ناجحة في معالجة مثل هذه الظاهرة، إما بتعويده ألفاظاً حسنة بدلاً من تلك السيئة، أ ومنعه تدريجياً عبر الوسائل الغير مؤلمة، وهكذا..

وفي السبع الأخرى (المرحلة الثانية) ينتقل الطفل إلى مرحلة الفهم والإدراك، وفي هذه المرحلة لا بد أن يخضع لمنهج تربوي متكامل، مع ضرورة مراقبته في الأماكن التي يتواجد فيها، ومن الأصدقاء الذين يقضي وقته معهم، وعليه بالقيام بالصلاة والتدرب عليها بجميع لوازمها، وضرورة استصحابه المسجد مع ملاحظته خطوة خطوة.

وفي السبع الثالثة: (المرحلة الثالثة) يدخل الطفل سن المراهقة، وينتقل الطفل إلى مرحلة الشباب وهي مرحلة حساسة ودقيقة، حيث يتطلع الأبناء فيها إلى الاستقلال، وتجاوز القيود التي كان يفرضها عليهم الوالدان من قبل، وعلى الوالدين هنا الاستجابة لبعض الرغبات للأولاد.

ولا بد في الأخير أن يحتفظ الوالدان بالكلمة الحاسمة في حياة أولادهما مع الأخذ بعين الاعتبار لطموحات أولادهما ورغباتهم المعقولة، وقد أشار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذه المراحل الثلاث بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((الولد سيّد سبع سنين، وخادم سبع سنين، ووزير سبع سنين))[1] أو كما قال صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) ـ الحقوق المنسية: ٦٤.

ويأتي دور التعليم: الفراغ الفكري والثقافي خطير للغاية، فهناك طوائف ترصد حالات الفراغ الفكري في هذا الجيل لزرع أفكارها ومفاهيمها المنحرفة، فلا بد من تثقيف أجيالنا بالثقافة الإسلامية الصحيحة في ضوء منهج أهل البيت عليهم السلام، وفكرهم النير.

على الوالدين الاختيار الأمثل للمعلم الناجح، والمربي اللبق، والأستاذ القدوة؛ حتى يعلِّم أولادهما المعلم الذي يُحبِّب إلى الولد حب الله سبحانه وتعالى، من خلال مظاهر رحمته تعالى، وفضله الواسع، ورزقه الدائم، والتفكر في مخلوقاته الكثيرة.

المعلم الذي يعوّده على الالتزام بالشعائر الإسلامية، كالصلاة، والصوم، وغير ذلك، يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ((إنا نأمر صبياننا إذا كانوا بني سبع سنين بما أطاقوا من صيام اليوم، فإن كان إلى نصف النهار أو أكثر من ذلك أو أقل، فإذا غلبهم العطش أفطروا، حتى يتعودوا الصوم، ويطيقوه، فمروا صبيانكم إذا كانوا أبناء تسع سنين بما أطاقوا من صيام، فإذا غلبهم العطش أفطروا))[(١)].

ويحتاج الأولاد إضافة إلى ذلك إلى المودة والرحمة، ربما لا تقل عن حاجتهم للغذاء والنوم، وللرحمة دور كبير في نمو الطفل نمواً سليماً كما قال المختصون.

روي أن الأقرع بن حابس رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبل ولده الحسن فقال: إن لي عشرة أولاد ما قبّلت واحداً منهم، فقال له: ((من لا يَرحم لا يُرحم))[(٢)].

ويحتاج الأولاد إلى التكريم والاحترام كحاجتهم إلى الرحمة، روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: ((رحم الله والداً أعان ولده على بره)).

ويقول الإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام في (رسالة البيان والثبات): ((وعلى الوالد لولده تحسين اسمه، وتحسين لقبه، وأن يختار له من الأمهات من لا يعاب

---

(١) ـ الحقوق المنسية: ٦٤.

(٢) ـ تصفية القلوب: ٣٩٩١.

بها، فإذا قد تقرر من هذه القاعدة ما قد تقرر رأيت أن الذي يلزم الوالد مقدم على ما يلزم الولد للوالد، فإن لم يقم الوالد بما يلزمه من ذلك كان عقوق الولد له قصاصاً، وجفوته ثاراً)). وحقيقة لو أن الأفراد عرفوا هذه الحقوق، وفهموا تلك الواجبات، وطبقوا هذه الإرشادات الإسلامية لشعر جميع الأسرة بالسعادة والاطمئنان.

صلة الأرحام

يقول الإمام علي عليه السلام في (نهج البلاغة): (أيها الناس إنه لا يستغني الرجل ـ وإن كان ذا مال ـ عن عترته[1]، ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم، وهم أعظم الناس حيطة من ورائه، وألّمهم لشعثه، وأعطفهم عليه عند نازلة إذا نـزلت به. ولسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يرثه غيره، ألا لا يعدلن أحدكم عن القرابة يرى بها الخصاصة أن يسدها بالذي لا يزيده إن أمسكه، ولا ينقصه إن أهلكه ومن يقبض يده عن عشيرته فإنما تقبض منه عنهم يد واحدة، وتقبض منهم عنه أيد كثيرة)[2].

ويقول عليه السلام في آخر وصيته لولده الإمام الحسن عليه السلام: (وأكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذي به تطير، وأصلك الذي إليه تصير، فإنك بهم تصول، وبهم تطول، وهم العدة عند الشدة، أكرمْ كريمهم، وَعُدْ سقيمهم، وأشركهم في أمورهم، ويسّر عن معسرهم، واستعن بالله على أمرك كله، فإنه أكرم معين.. أستودع الله دينك ودنياك، والسلام)).

لقد أكد الإسلام ومن خلال آيات القرآن الكريم وعلى لسان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على وجوب الإحسان إلى الأرحام وصلتهم، قال تعالى:

---

(١) ـ واستعمال (العترة) في غير المعنى الذي ذكره أئمة اللغة، وهو: إن عترة الرجل ولده وذريته وعقبه من صلبه، فعترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ولد فاطمة البتول عليها السلام هذا الاستعمال كما هو في هذا الكلام العلوي المبارك، هو على جهة المجاز العرفي. انظر: لوامع الأنوار: ١/ ١١٧ – الطبعة الثانية.

(٢) ـ نهج البلاغة: ٦٥ تحقيق صبحي صالح.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴿٩٠﴾﴾ [النحل].

ويقول تعالىٰ مخوفاً: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴿٢٣﴾﴾ [محمد].

لقد حرص الإسلام علىٰ تمتين العلاقة بين أفراد الشبكة المحيطة بالإنسان، لما لها من دور كبير في سلامة جميع أفراد المجتمع، وفي حماية الإنسان وسط هرج ومرج وصخب الحياة، وقد جعل الإحسان إلىٰ ذوي القربىٰ بعد الإحسان إلىٰ الوالدين مباشرة: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى﴾ [البقرة: ٨٣].

ولقد رغب الرسول الأعظم محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كثيراً في مواصلة الأرحام حتىٰ وإن قطعوك، وحث علىٰ إعطائهم وإن منعوك، وضمن لك ضمانات تجعلك في سعادة دنيوية وأخروية، روي عنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ((من يضمن لي واحدة أضمن له أربعاً، من يصل رحمه فيحبه أهله، ويكثر ماله ويطول عمره، ويدخل جنة ربه))(١).

وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((إن الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاثاً(٢)، فيجعلها الله ثلاثاً وثلاثين، وإن الرجل ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثون، فيجعلها الله ثلاثاً))(٣).

ويقول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((من أحب أن يُملىٰ له في عمره، ويبسط له في رزقه، ويستجاب له الدعاء، ويدفع عنه ميتة السوء، فليطع أبويه في طاعة الله، وليصل رحمه، وليعلم أن الرحم معلقة بالعرش تأتي يوم القيامة لها لسان طَلْقٌ ذَلْقٌ تقول: اللهم صل من وصلني، اللهم اقطع من قطعني، قال: فيجيبها الله تبارك

(١) ـ الأحكام: ٢/ ٥٢٨.
(٢) ـ هكذا في الأصل.
(٣) ـ الأحكام: ٢/ ٥٢٨.

وتعالى: إني قد استجبت دعوتك، فإن العبد لقائم يرى أنه بسبيل خير، حتى تأتيه الرحم فتأخذ بهامته فتذهب به إلى أسفل درك من النار بقطيعته إياها كان في دار الدنيا)).

هذا الحديث رواه الإمام الهادي عليه السلام، عن الإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[١].

أخي المؤمن: العبادة ليست محصورة في صلاة، وصوم، وحج، وزكاة، بل العبادة شاملة حقوقاً لله كانت أو حقوقاً للآخرين، والصدقة قربة، وهي للأرحام ثنتان.

روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((الصدقة على المسكين صدقة، وعلى الرحم ثنتان))[٢]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح))[٣]. ويقول صلى الله عليه وآله وسلم: ((ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها))[٤]. يقول الإمام السبط الحسن بن علي عليه السلام: ((لو شتمني رجل في أذني هذه، واعتذر إليّ منه في أذني هذه لقبلت منه))[٥].

أخي المؤمن: فارسم لك جدولاً لصلة أرحامك من آباء وأمهات، وإخوان وأخوات وأولاد، وأعمام وعمات، وأخوال وخالات، وغيرهم.

والصلة قد تكون بالمال، أو بالسلام، والعفو عن المسيء، والمبادرة إلى الإصلاح، والمشاركة في الأفراح، والحضور في الأتراح.

قال الإمام الصادق عليه السلام:(صل رحمك ولو بشربة ماء، وأفضل ما تواصل به الرحم كف الأذى عنه، وصلة الرحم منسأة في الأجل ومحببة في الأهل).

---

(١) ـ انظر: كتاب الأحكام: ٢/ ٥٢٧.

(٢) ـ رواه الترمذي برقم: (٥٩٤).

(٣) ـ أخرجه أحمد برقم (١٤٧٨١)، وبرقم (٢٢٤٢٠).

(٤) ـ رواه الترمذي برقم (١٣٣١)، كتاب البر والصلة، ورواه أبو داود برقم (١٤٤٦).

(٥) ـ الأحكام: ٢/ ٥٤٥.

وقد ورد: ((بلُّوا أرحامكم ولو بالسلام)).

ويروى أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلُهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، ويجهلون عليّ، وأحلم عنهم، قال: ((لأن كان كما تقول فكأنما تسِفُّهم الـمَلَّ ـ وهو الرماد ـ ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك)).

ولنتأمل حديثاً عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نختم به درسنا، قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن أفضلكم إيماناً أحسنُكم أخلاقاً، الموطِّئون أكتافاً، الواصلون لأرحامهم، الباذلون لمعروفِهم، الكافُّون لأذاهم، العافون بعد قدرة)).

نسأل الله ذا الجلال والإكرام أن يجعلنا بوالدينا وأرحامنا بارين ومواصلين، مخلصين في ذلك لله رب العالمين.

بحق محمد وآله الطاهرين، وصلى الله وسلم على سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين..



الدرس الحادي والعشرون

أهمية الصداقة والأصدقاء

كل منا لا يستطيع في هذه الحياة أن يعيش وحده، بل لا بد وأن يعيش مع غيره؛ لأنه اجتماعي بطبيعة حاله، فالإنسان يحتاج إلى أبوين وإلى أخوة وإلى زوجة وأولاد، وأصدقاء.. وهكذا.

وعندما جاء الإسلام الحنيف قوّى تلك الروابط بين بني البشر، بل دعا إليها، وبناها على أسس متينة وقوية تستمر طويلاً، وتكون تلك الروابط سبباً لإسعاد البشرية دنياً وأخرى، أسسها على أساس التقوى والدين والعدالة.

ومن أقوى هذه الروابط، رابطة الأخوة والأصدقاء والصداقة والصحبة والعشرة، ولنعلم جميعاً أن لهذه الرابطة، وللأصدقاء أثراً عميقاً في التوجيه إما إلى الخير وإما إلى الشر، وإما إلى التقدم إلى الأمام والنجاح المستمر، وإما إلى التأخر والفشل على جميع الأصعدة.

إن هذه الصلة إن تمت على أساس التقوى والدين قبلها الله وبارك فيها، وأعطت ثمارها الطيبة في أسرع وقت ممكن، وإن كانت رخيصة ومهينة مبنية على أساس تبادل المنافع، مبنية على المصلحة الضيِّقة، كانت نتائجها رخيصة ومهينة هذا في الدنيا، وفي الآخرة حسرة وندامة وتنقلب عداوة، قال الله تعالى في هذا المعنى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف].

ومع الاختلاط بالناس تكثر الجماعات الدينية، والشعائر الإسلامية، وتقام فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكم في ذلك من مصالح.

ولنعلم أن الشخص على دين خليله ويكتسب من أخلاق مَنْ يجالس، يوضح هذا المعنى قول الرسول ﷺ: ((المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)).

ولقد دعم الإسلام هذه الرابطة، وقوّى أسبابها، فلقد روي عن الرسول الأعظم ﷺ قوله: ((المتحابون في الله يوم القيامة على منابر من نور، في ظل

العرش يوم لا ظل إلا ظله)) وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((قال الله تبارك وتعالى: وعزتي وعظمتي وكبريائي وجودي لأدخلنَّ داري، ولأرافقن بين أوليائي، ولأزوجنّ حور عيني، المتحابّين فيَّ، المتآخين فيَّ، المتحببين إلى خلقي)).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أحبّ أخاه في الله رفعه الله درجة، وما توادّ رجلان في الله إلا كان أفضلهما منزلة عند الله أشدهما حباً لأخيه، حتى يُحدث أحدهما، وشرهما الـمُحدِث)).

والآن يأتي السؤال ويطرح نفسه بإلحاح: من هو الصديق الذي نختاره؟ من هو صديق العمر ورفيق الدرب؟

والجواب على ذلك كما أجاب أحد العلماء ((الوافر دينه، الوافي عقله، الذي لا يُمِلُّك على القرب، ولا ينساك على البعد، إن دَنَوْتَ زارك، وإن بعدتّ أرادك، ولا يقطعه عنك عسر ولا يسر، يُعدَّك في الأمور كنفسه، إن استعنت عضدك، وإن احتجت رفدك، وإن استغْنيت وصلك. مودة فعله أكثر من مودة قوله، يستقلُّ الكثير من المعروف من نفسه، ويستكثر قليل المعروف من صاحبه)).

ويقول الإمام علي عليه السلام: ((.. وإياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، وإياك ومصادقة الكذاب فإنه يقرب عليك البعيد، ويباعد عليك القريب، وإياك ومصادقة البخيل فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه، وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه اليسير)).

ونورد المواصفات الهامة في اختيار الصديق كما أشار إليها الإمام الولي الزاهد يحيى بن حمزة الحسيني عليه السلام في كتابه (تصفية القلوب):

١ـ العقل الراجح: فلا خير في صحبة الأحمق، فضره أكثر من نفعه، وفي هذه الحالة تذهب الصداقة وتنقطع تماماً، والعاقل هو الذي يفهم الأمور على ما هي عليه.

٢ـ حسن الخلق: بكل ما تعنيه الكلمة من الصفات التي تسمو بالشخص

إلى الأعلى، من الحياء والحلم والمروءة ولين الكلمة، فإن الحياء يمنع من بوائق الشهوة، والحلم يمنع من سطوات الغضب، وهما أضر ما تخشاه من صاحبك، وأعظم ما تخافه من مؤالفك، وإن الشهوة ربما دعته إلى البخل، والحرص، والطمع، والحسد، والغضب، وربما دعاه إلى الشر، وهتك الستر، وإظهار السر، وهذه هي أسباب القطيعة.

٣ـ الدين الوافر، والإيمان الراسخ: وهذه هي أهم المواصفات، ولنتأمل حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون وصولاً، ولا يكون مسلماً حتى يسلم الناس من يده ولسانه، ولا يكون عالماً حتى يكون بالعلم عاملاً، ولا يكون عابداً حتى يكون ورعاً، ولا يكون ورعاً حتى يكون زاهداً)).

وروي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أراد الله به خيراً زرقه خليلاً صالحاً، إن نسي ذكّره، وإن ذكَرَ أعانه)).

إضافة إلى تلك المواصفات يجب أن يكون الصديق كريماً، فإن البخيل لم ينفع نفسه فكيف ينفع صديقه عند الحاجة.

كذلك يجب أن يبتعد عن الحرص على الدنيا، ففي ذلك السم القاتل، الذي لا يصلح معه أي علاج، فصاحبه لا يريد أن يعيش على كوكب الأرض غيره لو تم له ذلك.

ولنعلم أن الإنسان مهما كان لا بد وأن يتأثر بأخلاق صديقه وصاحبه خاصة مع طول الوقت والزمن، وفي التاريخ عشرات القصص تؤيد ذلك.

وكما يوضح ذلك بجلاء حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شيء أصابك من ريحه، ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه)) وفي بعض الروايات: ((إن لم يحرق ثيابك أصابك من دخانه)).

ومن الأشياء المهمة في الصداقة التسرع في الحكم على الآخرين، وهذا من الخطأ بمكان، بمجرد أنك رأيت شخصاً مرة واحدة أو مرتين يتحدث مع شخص هو متهم في دينه، أو راكباً في سيارته فتحكم جازماً على ذلك الشخص المعروف بالاستقامة بالفسق وجرح العدالة، بسبب هذا الموقف الواحد، فقد يكون وقوفه معه لأجل النصح والإرشاد والأمر بالمعروف.

الحكم لا يكون إلا إذا استمرت هذه الصداقة المشبوهة فترة كافية من الزمن، والعبرة بالآثار والثمار من تلك العلاقة؛ فلقد قيل: ((قل لي من تصادق؟ أقلك من أنت)).

هذا وبعد الارتباط بين الصديقين أو الثلاثة أو الأكثر، فإن الإسلام جعل للأصدقاء حقوقاً على بعضهم البعض، فلخصها:

١ـ أن تؤثر صديقك على نفسك في المال، وهذه أعلى رتب الإيثار، ثم أن تنزله منزلة نفسك، ثم تنزله منزلة ولدك، وهذه أدنى رتبة.

٢ـ تقديم العون وقضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال.

٣ـ أن تدعوه بأحب الأسماء إليه، وتثني عليه بمحاسن أحواله وأعماله، خاصة مع غيبته؛ حتى لا يدخل الصديق مع صديقه في باب المداهنة، وهو باب سوء، كذلك تشكره على صنعه في حقك، وتذب عنه بكل ما لديك من قوة في حال تعرضه لأي أذى، أو تعرض عرضه أو أهله وولده.

٤ـ لا تماريه ولا تجادله، وأما المناقشة من أجل الفائدة فلا بأس بذلك مع الالتزام بآدابها.

٥ـ لا تتجسس عليه وتبحث عن أخباره التي لا يريد أن يطّلع عليها أحد كائناً من كان.

٦ـ أن تحفظ أسراره التي يلقيها إليك أو تطَّلع عليها منه، وليس شرطاً أن يطلب منك كتمها بل أنت ومعرفتك.

٧ـ العفو عن زلاته وهفواته في كل شيء إلا من باب ((الدين النصيحة)) فلا بأس بذلك، فتنصحه بلطف بما يقيم أوده ويصلح اعوجاجه، ويجمع شمله، فإذا لم ينفع فاقطع صداقتك معه، وعرِّفه أن السبب هو تلك الهفوات، فلربما أصلحه ذلك، فإن لم يُجْدِ كل ذلك فابحث لك عن صديق غيره، فلا خير فيه.

٨ـ الوفاء معه والإخلاص له، والتخفيف عليه، فلا تكلفه ما فيه عسر ومشقة.

٩ـ الدعاء له في حياته وبعد وفاته، وهو في ظاهر الغيب أفضل لك وله.

١٠ـ أن تقصد بمعاملتك له في كل ذلك وجه الله تعالىٰ؛ تقرّباً إلىٰ ثوابه، ورجاءً لعطائه سبحانه وتعالىٰ.

وعلينا أن نتفهم هذا الحديث المروي عن الرسول ﷺ: ((يكون آخر الزمان أقوام إخوان العلانية، أعداء السريرة)) قالوا: وكيف يكون ذلك؟ قال: ((ذلك لرغبة بعضهم في بعض، ورهبة بعضهم لبعض)).

فالحذر .. الحذر من هذه النوعية، نسأل الله السلامة في الدين والدنيا والآخرة، وسلام علىٰ المرسلين، والحمد لله رب العالمين..



الدرس الثاني والعشرون

حقوق الجار والحقوق المنسية*

لقد اهتم الإسلام كثيراً بالجار، وجعل الوصية عليه هدفاً سامياً من أهدافه التي أشاد بها، وما زال جبريل الأمين عليه السلام يوصي به النبي الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى ظن أنه سيورِّثه.

فالجوار يقتضي حقوقاً كثيرة غير الحقوق التي تقتضيها الأخوة الدينية، والحقوق تختلف وتتفاضل في نفس الوقت، فقد روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((الجيران ثلاثة: جار له حق واحد، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق، فالجار الذي له ثلاثة حقوق هو الجار المسلم ذو الرحم، فله حق الإسلام، وحق الجوار، وحق الرحم، وأما الذي له حقان فالجار المسلم، له حق الجيرة والإسلام، وأما الذي له حق واحد فالجار المشرك)). ذكر هذا الحديث الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام في كتاب التصفية.

من هو الجار؟

إنه الذي يتصل بك، سواء عبر المنزل، أو المزرعة، أو الدكان، أو ما شابه ذلك. ما أروع تعاليم الإسلام وحرصه على تقوية الروابط، واحترام المشاعر:

النـاس للنـاس مـن بـدوٍ وحـاضرةٍ بعضٌ لـبعضٍ وإن لم يشـعروا خَـدَمُ

لقد تحدث القرآن عن الجار، فقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [النساء].

وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((لم يزل جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورِّثه)). ويقول صلى الله عليه وآله وسلم: ((التمسوا الجار قبل شراء الدار، والرفيق قبل الطريق)).

(*)- الحقوق المنسية: ٨٤-٩٩.

ولنأت لنعرف بعض حقوق الجيران:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أتدرون ما حق الجار؟ إن استعان بك أعنته، وإن استنصر بك نصرته، وإن استقرضك أقرضته، وإن افتقر عدت إليه، وإن مرض عدته، وإن مات اتبعت جنازته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عليه الريح إلا بإذنه، وإن اشتريت فاكهة فأهدله فإن لم تفعل فأدخلها سراً ولا يخرج بها ولدُك ليغيظ بها ولدَهُ، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها، أتدرون ما حق الجار؟ والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله))(١).

الإسلام دعا إلى احترام المشاعر، وإلى التكافل الاجتماعي، واحترام الجار واحد من هذا التكافل، وإذا أردنا الوصول إلى التطبيق العملي لهذا التوجيه النبوي الشريف، فإننا نحتاج لبعض التفصيل والشرح لهذه الحقوق:

١ـ **إن استعان بك أعنته**: إذا طلب منك المعونة في شيء وجب عليك إعانته وبالقدر والصفة التي بينها الإسلام.

٢ـ **وإن استنصر بك نصرته**: إذا طلبك لنصرته في الحق فلا بد من نصرته، وإذا طلبك في الباطل فلا بد من إقناعه وردعه عن باطله بعد النصيحة والموعظة الحسنة.

٣ـ **وإن استقرضك أقرضته**: القرضة ثوابها عظيم قد يكون أكثر من ثواب الصدقة، روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من أقرض قرضاً كان له مثلاه صدقة، فقال الإمام علي عليه السلام: يا رسول الله قلت أمس: من أقرض قرضاً كان له مثله صدقة، وقلت اليوم: من أقرض قرضاً كان له مثلاه كل يوم صدقة، قال: نعـم، من أقرض قرضاً فأخره بعد محله كان مثلاه كل يوم صدقة)).

---

(١) ـ الخرائطي في مكارم الأخلاق: ٤٠ـ٤١، انظر تخريج الأحياء: ٢/ ٢٧٢.

وقد ذكر الإمام الهادي عليه السلام: أن رجلاً أتى الحسين بن علي عليهما السلام في حاجة فسأله أن يقوم معه فيها، فقال: إني معتكف، فجاء إلى الحسن بن علي عليه السلام فقال: إني أتيت أبا عبدالله في حاجة ليقوم معي فقال: إني معتكف، فقام معه الحسن في حاجته وجعل طريقه على الحسين عليهما السلام فقال: يا أخي ما منعك من أن تقوم مع أخيك في حاجته، فقال: إني معتكف، فقال الحسن عليه السلام: (لأن أقوم مع أخي المسلم في حاجته أحب إليَّ من اعتكاف شهر)[1].

وقد بلغ ابن المقفع أن جاراً له يريد أن يبيع داره في دين تحمله، وكان يجلس في ظل داره فقال: ما قمت إذاً بحق ظل داره إن باعها معدماً فدفع إليه ثمن الدار وقال: لا تبعها[2].

٤ـ وإن افتقر عدت إليه: ليس من العيب أن يكون الإنسان فقيراً، لأن الفقر ابتلاء من الله تعالى، والأيام تتقلب، قد يكون أحد جيرانك غنياً ثم يتحول إلى فقير، فلا بد من عيادة الفقير باستمرار، وتلمس حاجاته، فلقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قوله: ((ما آمن بالله قالوا: من يا رسول الله، قال: من بات شبعان وجاره جائع وهو يشعر))[3].

ولو كان يصلي ويصوم ويعمل كل أعمال الإسلام ولكنه يبيت وهو يعلم بفقر جاره وبجوعه ولا يسعى إلى مساعدته مع قدرته على ذلك.

٥ـ وإن مرض عدته: عيادة المريض حق للمسلم على أخيه المسلم، فما بالك للجار على جاره، وقد ورد في العيادة آثار كثيرة، جاء في بعضها: عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من عاد مريضاً إيماناً بالله تعالى وتصديقاً بكتابه وَكَلَ اللهُ به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى الليل وليلته حتى الصباح وكان ما كان قاعداً في

---

(١) ـ الأحكام: ٢/ ٥٢٨ـ ٥٢٩.

(٢) ـ تصفية القلوب: ٤٠٤، تحقيق الأهدل، الإحياء: ٢/ ٢٧٢.

(٣) ـ الأحكام: ٢/ ٥٢٩.

أخراف الجنة))[١] أي جناها.

وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: ((من تمام عيادة المريض: أن تضع يدك على يده أو على جبهته، ثم تسأله: كيف أمسيتَ؟ أو كيف أصبحتَ؟ والذي بعثني بالحق ما انطلق رجل مسلم عائداً لرجل مسلم لا يعنيه إليه إلا ذلك إلا خاض في الرحمة، حتى إذا دخل عليه فوضع يده على يده يعني ـ أو قال جبهته ـ ثم سأله كيف أصبحتَ؟ أو أمسيتَ؟ ثم فارق إلا خاض مقبلاً ومدبراً، ثم وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده على جبهته مقبلاً ومدبراً)).

ما أكثر المجاملات في عصرنا هذا فكم من غني إذا أُصيب بمرض أو علة التفَّ حوله أكثر الناس من جيران ومن غيرهم، وكم من فقير لا يدخل عليه أحدٌ لا من قريب ولا من بعيد، ولا يجلس بجانبه رفيق ولا صديق، إنا لله وإنا إليه راجعون.

٦ـ وإن مات اتبعت جنازته: تشييع الجنازة من الأمور التي حث عليها الدين، فقد روى الإمام أبو طالب عليه السلام في كتابه (الأمالي) أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((من غسل ميتاً، وكفنه، وحنطه، وحمله، وصلى عليه، ولم يفش ما رأى منه، خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه)).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من حثا في قبر أخيه ثلاث حثيات من تراب كفّر عنه من ذنوبه ذنوب عام)).

٧ـ وإن أصابه خير هنأته: التعاليم السامية تدعو إلى حب الخير للآخرين، وعدم الحسد لهم على ما أعطاهم الله تعالى مما يدخل على قلوبهم الفرح والسرور، بل لا بد من التهنئة لهم على ذلك، والمشاركة لهم في سرورهم.

قال الإمام الزاهد يحيى بن حمزة عليه السلام في كتاب (التصفية)[٢]:

(١) ـ شمس الأخبار: ٢٩١.

(٢) ـ التصفية للإمام يحيى بن حمزة عليه السلام: ١٦٤.

((اعلم أن الحسد لا يكون إلا على نعمة فإذا أنعم الله سبحانه على أحد نعمة فلك فيها حالتان:

ـ الحالة الأولى: أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسداً وعلى هذا تكون ماهية الحسد، وحقيقته: كراهية النعمة ومحبة زوالها عن صاحبها إلى غيره.

ـ الحالة الثانية: أن لا تحب زوالها ولا تكره وجودها، ولكنك تشتهي لنفسك مثلها وهي تسمى غبطة، ومن المعلوم أن الحالة الأولى مذمومة ومحرمة، والثانية مباحة)).

٨ـ وإن أصابته مصيبة عزيته: في (أمالي السمان) بسنده إلى معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كتب إليه يعزيه في ابن له:

((بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل سلام الله عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو أما بعد: فأعظم الله لك الأجر، وألهمك الصبر، ورزقنا وإياك الشكر، فإن أنفسنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا من مواهب الله عز وجل الهنيّة، وعواريه المستودعة، نُمتّع فيها إلى أجل، ويقبضها إلى وقت معلوم، وإنا نسأله الشكر على ما أعطى، والصبر إذا ابتلى، فكان ابنك من مواهب الله عز وجل الهنيّة، وعواريه المستودعة، متّعك به في غبطة وسرور، وقبضه منك بأجر كثير، الصلاةَ، والرحمةَ، والهدى، والصبرَ، لا يحبطها جزعك فتندم، واعلم أن الجزع لا يرد ميتاً ولا يدفع حزناً، وهو نازل وكأن قد، والسلام))[(١)].

٩ـ ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عليه الريح إلا بإذنه: ينبغي مراعاة الجار في هذا الشأن، ومراعاة التخطيط الصحيح للبناء، بحيث لا ضرر ولا

(١) ـ شمس الأخبار: ٣٠٠.

ضرار، فرفع البناء إذا كان سيحجب عن جاره الريح، ويمنع من تجدد الهواء ممنوع، إلا إذا أذن له جاره، فلا يحق للجار أن يؤذي جاره بأي شكل من الأشكال، فقد روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما آمن)) قيل: من يا رسول الله؟ قال: ((رجل لا يأمن جارُهُ بوائقَهُ)).

وفي حديث آخر: ((ما آمن)) قيل: من يا رسول الله؟ قال: ((من لم يأمن جارُه غشمَه وظلمَه))[1].

وفي حديث آخر: ((إن الرجل لا يكون مؤمناً حتى يأمن جارُه بوائقَه ـ أي غشمه وظلمه ـ يبيت وهو آمن من شره، إنما المؤمن الذي نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة)).

وقد وضع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم علاجاً عملياً لمن آذى جاره، قال الإمام الهادي عليه السلام، في كتابه (الأحكام): بلغنا: أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشكو جاره فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((اطرح متاعك على الطريق فطرحه)).

فجعل الناس يمرون فيلعنونه إذ ألجأ جاره إلى ذلك قال فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله ما لقيت من الناس، فقال: ((وماذا لقيت منهم))؟ قال: يلعنوني، قال: ((لقد لعنك الله قبل الناس)) قال: فإني لا أعود يا رسول الله قال: فجاء الذي شكى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((ارفع متاعك فقد أمنت وكفيت))[2].

وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن فلانة تصوم النهار، وتقوم الليل، ولكنها تؤذي جيرانها فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((هي في النار))[3].

---

(١) ـ الأحكام: ٢/ ٥٢٩.

(٢) ـ الأحكام: ٢/ ٥٢٩.

(٣) ـ التصفية: ٤٢٧.

١٠ـ وإن اشتريت فاكهة فاهدِ لَهُ فإن لم تفعل فأدخلها سراً ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده: مراعاة شعور الجيران من أهم حقوقهم، فإن اشتريت فاكهة فأهد لجارك فإن لم يمكنك الإهداء بأن تكون قليلة أو غالية، أو جيرانك كثر، فأدخلها بدون أن يشعروا، ولا تبديها أبداً، وامنع ولدك من حملها أمام أولاد الجيران؛ لكي لا يغتاظوا فيحرجون آباءهم بشراء ما لا يستطيعون.

روى الإمام أبو طالب عليه السلام بسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره))[١] وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((البر وحسن الجوار زيادة في الرزق، وعمارة للديار))[٢].

١١ـ ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها: وعلى مستوى الرائحة النفاذة التي يشم من خلالها الجار مرقةً أو شيئاً لذيذاً فلا تؤذه بذلك، إلا إذا كنت ستعطيه منها، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك)).

هذا وقد أراد الإسلام منا أن نهتم بالجار كمظهر من مظاهر الإحسان؛ لأن الجوار يحقق علاقة ألفة ومحبة تفرض على الشخص حقاً في القيام بالرعاية والإحسان إليه، وتحمل أذيته سواء أكان هذا الجار قريباً أم بعيداً.

والآن نأتي بما يجب علينا من الحقوق لبعضنا البعض ومكانة قضاء حاجة المؤمن في نظر الإسلام الحنيف.

جاء في كتاب (الاعتبار وسلوة العارفين) بسنده إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((للمسلم على أخيه ثلاثون حقاً لا براءة له منها إلا بالأداء أو العفو له: يغفر زلته، ويرحم عبرته، ويستر عورته، ويقيل عثرته، ويقبل معذرته، ويرد غيبته، ويديم نصيحته، ويحفظ خلته، ويرعى

(١) ـ شمس الأخبار: ٢٤١، عن الأمالي كما نسبه .

(٢) ـ الأحكام: ٢/ ٥٢٨.

ذمته، ويعود مرضته، ويشهد ميتته، ويجيب دعوته، ويقبل هديته، ويكافي صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويحفظ حليلته، ويقضي حاجته، ويشفع مسألته، ويشمت عطسته، ويرشد ضالته، ويرد سلامه، ويبر إنعامه، ويصدق إقسامه يواليه ولا يعاديه، وينصره ظالماً أو مظلوماً، فأما نصرته ظالماً فيرده عن ظلمه، وأما نصرته مظلوماً فيعينه على أخذ حقه، ولا يسلمه، ولا يخذله، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه)).

ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:((إن أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئاً فيطالبه به يوم القيامة فَيُقْضَى له عليه)).

كم الأجر في قضاء حوائج عباد الله المؤمنين، روى الإمام جعفر الصادق، عن الإمام محمد الباقر، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: ((من قضى لمؤمن حاجة قضى الله له حوائج كثيرة إحداهن الجنة، ومن نفّس عن مؤمن كربة نفّس الله عنه كرباً يوم القيامة، ومن أطعمه من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقاه من عطش سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم، ومن كساه ثوباً كان في ضمان الله ما بقي عليه من ذلك الثوب سلك، لقضاء حاجة المؤمن أفضل من صوم شهر واعتكافه)).

نسأل الله الكريم أن يصلي ويسلم على سيدنا محمد وآله، وأن لا يتوفانا إلا وقد خلّص ذممنا من كل حق يلزمنا بين يديه، آمين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين..



الدرس الثالث والعشرون

الصدقة تبارك المال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وآله، القائل: ((أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا)) وأشار بالسبابة والوسطى، وفرّج بينهما، وبعد أخي المؤمن..

الصدقة قد يراد بها الفريضة وهي الزكاة، وقد يراد بها النافلة والتطوع، وعلى كلا الحالتين فالصدقة هي غرس لمشاعر الرأفة والعطف والحنان، وتوطيد العلاقة الإسلامية والألفة والمحبة، فهي تطهر النفس، وتسموا بالمجتمع إلى الأفضل، وهي لون من ألوان التكافل الاجتماعي..

ولقد اهتم الإسلام كثيراً بذوي الاحتياجات الخاصة، مثل اليتامى والمساكين وابن السبيل ..الخ. هؤلاء أولاهم الإسلام رعاية خاصة في كل النواحي التي تحتاج إلى الرعاية، كالعطف عليه وعدم قهره، والتفقد لأحواله.

فكم من أسرة ضعيفة لا تجد ما تأكل، وكم من مسكين ضعيف محتاج يلزم بيته خوفاً من انكشاف حاجته، ومن الواضح أن مساكين عصرنا ضاعوا بين مطرقة المتسولين وما أكثرهم، وبين سندان الجمعيات الخيرية المتسوِّلة بالتراخيص الرسمية، ولا نعُم كل الجمعيات، فهنالك جمعيات خيرية بما تعنيه الكلمة، تسعى إلى فعل الخير على كل الأصعدة، لا تريد جزاءً ولا شكوراً .

يقول الرسول الأعظم ﷺ يوضح من هو المسكين الجدير بالتعاون والاحترام: ((ليس المسكين بهذه الطواف عليكم ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان . قالوا: فمن المسكين يا رسول الله؟ قال: الذي لا يجد غناً يغنيه ولا يُفْطَنُ فَيُتَصَدَّقُ عليهِ))[1] .

---

(١) ـ الأحكام: ٢/ ٥٤٩.

وقال رسول الله ﷺ: ((تصدقوا فإن الصدقة فكاكم من النار)) وروي عنه ﷺ: ((بادروا بالصدقة، فإن البلاء لا ينحطُّ إليها)) وقوله ﷺ: ((صدقة السر تطفئ غضب الرب، وإن الصدقة لتطفئ الخطيئة كما يُطفي الماءُ النارَ)).

وبالإضافة إلى هذا الأجر العظيم، فإن الصدقة لها فوائد عظيمة في الدنيا، ففي الحديث، عن عمرو بن عوف الأنصاري، قال رسول الله ﷺ: ((صدقة المرء المسلم تزيد في العمر، وتمنع مِيْتَةَ السوءِ، ويُذْهِب اللهُ بها الفخرَ والكبرَ)) وعن النبي ﷺ: ((الصدقة تسد سبعين باباً من الشر)) وعنه ﷺ: ((ما أَحسنَ عَبْدٌ الصدقة إلا أُحسِنَ إليه في مُخلِّفيه)).

وقال بعض الصالحين: ((الصلاة تبلغك الطريق، والصوم يبلغك باب الملِك، والصدقة تدخلك عليه بغير إذن)).

وعن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: ((ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا، وهكذا)).

وقال رسول الله ﷺ: ((من اهتم لجوعة أخيه المسلم فأطعمه حتى يشبع غُفِرَ لَهُ)).

وروى جعفر بن محمدٍ، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله سبحانه يجمع فقراء هذه الأمة ومياسيرها في رحبة باب الجنة، ثم يبعث منادياً فينادي من بطنان العرش: أيما رجلٍ منكم وصله أخوه المؤمن في الله ولو بلقمةٍ من خبزٍ فليأخذ بيده على مهلٍ حتى يدخله الجنة قال: وهم أعرف بهم يومئذٍ منهم بآبائهم وأمهاتهم، قال: فيجيء الرجل منهم حتى يضع يده على ذراع أخيه المكرم له الواصل له فيقول: يا أخي أما تعرفني ألست الصانع بي كذا وكذا؟ فيعرّفه كل شيءٍ صنعه به من البر والتحفة فقمْ معي، فيقول: إلى أين؟ فيقول: لأدخلك الجنة فإن الله عز وجل قد أذن لي في ذلك فينطلق به آخذاً بيده لا يفارقه حتى يدخله الجنة بفضل رحمة الله عزّ وجل لهما ومنه عليهما)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء)) وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((من مشى في حاجة أخيه المسلم فبالغ فيها قُضيَت أم لم تُقْضَ كتب الله له عبادة سنة))[١].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله)).

وعندما نتصفح تاريخنا الإسلامي نجد أمثلة رائعة لكيفية أداء الصدقة المقبولة جسدها كوكبة من أهل البيت عليهم السلام، وكوكبة من السلف الصالح رضوان الله عليهم.

ومن الأمثلة على ذلك: ما أخبر الله عنه في كتابه بقوله جل شأنه مادحاً للعباد الأبرار، الذين أوفوا بالنذر وأطعموا الطعام مع حاجتهم إليه وحبهم له فأتاهم المسكين في اليوم الأول، واليتيم في اليوم الثاني، والأسير في اليوم الثالث، قال تعالى في (سورة الإنسان): ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا۝٦ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا۝٧ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا۝١٠﴾ [الإنسان].

وكان جزاؤهم أعظم الجزاء، كما قال تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا۝١١ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا۝١٢ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا۝١٤ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ۝١٥ قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا۝١٦ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا۝١٨ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ

---

(١) ـ أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في الأمالي: ٢٥١، والإمام المرشد بالله عليه السلام في الأمالي الخميسية: ٢/ ١٧٦، بلفظ مقارب، وعزاه في (موسوعة أطراف الحديث): ٨/ ٥٧١، إلى (الدر المنثور): ١/ ٢٠٢، و (كنز العمال) ١٤٠٩، وغيرها.

حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا ۝١٩ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝٢١ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ۝٢٢﴾ [الإنسان].

والمعروف أن هذه الآيات بلا خلاف نزلت في أهل بيت رسول الله عليهم السلام.

وهناك قصة مع واحد من عظماء الإسلام، وسيد من أولاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الإمام الأواه، سيد العابدين، علي بن الحسين، فقد روي: أنه كان يقوم في الليل فيحمل على ظهره الصدقات، فيطوف بها ويوزعها على الضعفاء والمساكين دون أن يشعروا بذلك، وإنما يطرق أبوابهم، فإذا أجابوا وضع حاجاتهم عند الباب، وذهب مسرعاً، ولم يعرف أولئك المساكين إنه هو الذي كان يعولهم بهذه الطريقة الخاصة إلا بعد وفاته عليه السلام؛ لانقطاع ما كانوا يعتادونه منه، ولأجل ظهور أثر ذلك العمل على ظهره الشريف عند غَسله لموته.

فسلام الله عليه ما أروعه وما أحرصه على مشاعر الضعفاء والمساكين، وما أشد إخلاصه، وصدقة السر تطفئ غضب الرب كما تقدم عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن المعروف أن الله تعالى نهى عن الصدقات المتبوعة بالمن والأذى، فقال جل وعلا: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ۝٢٦٣﴾ [البقرة].

ومهما عمل الإنسان من عمل وفيه شائبة من الرياء والمنة فإنه من الخاسرين.

ومن المعلوم أن الأغنياء وكلاء الله، فليعطوا عباد الله الضعفاء؛ فلقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((إن الله جل جلاله في آخر ساعة تبقى من ساعات الليل يأمر ملكاً ينادي فيسمع ما بين الخافقين ما خلا الإنس والجن ألا هل من مستغفر فيُغفر له، هل من تائب يُتب عليه، هل من داع بخير يُستجب له، هل من سائل يُعط سؤله، هل من راغبٍ يُعط رغبته، يا صاحبَ الخيرِ أقبلْ، يا صاحبَ الشر أقصرْ، اللهم أعط كل منفق مالٍ خلفاً، وأعط كل ممسك مالٍ تلفاً))[1].

(١) ـ الأحكام: ٢/ ٥٣٢.

أيها الأخوة المؤمنون.. كذلك اهتم الإسلام بابن السبيل اهتماماً كبيراً، قال الله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإسراء].

ابن السبيل: هو المنقطع الذي لا يملك من المال ما يوصله إلى بلده،والإسلام قد رغّب أبناءه على السفر لأغراض حميدة، ومنها طلب العلم الشريف، وكفل حاجاتهم من هذا الباب (باب ابن السبيل).

وللأسف الشديد كثير من المسلمين لم يولوا هذا الجانب أي اهتمام، فقد يأتي طالب العلم الشريف ليتعلم، ثم لا يجد من المال ما يوصله إلى غرضه، أو حتى الرجوع إلى بلده.

ونورد بعض القصص في التاريخ في هذا الجانب (جانب الصدقة):

يقال: إن رجلاً من بني إسرائيل كان يتناول الطعام مع زوجته ذات يوم فطرق الباب عليهما طارق .

قالوا: من الطارق؟

قال: سائل يطلب إحساناً .

وكان أمام الرجل دجاجة فقالت زوجته: أعطه شيئاً منها .

فقال لها زوجها: لا .

وبعد ذلك طرد السائل شرّ طردةٍ، ومرت الأيامُ وإذا بهذا الرجل يصاب بالفقر الشديد ويطلق زوجته من شدة الفقر، وتمر الأيام وتتزوج المرأة، وتجلس مع زوجها يتناولان الطعام ذات يوم وإذا بالباب يُطرق وإذا بالطارق سائل .

وكان أمام الرجل (زوجها الثاني) دجاجة فقال لها زوجها: خذي الدجاجة كلها وأعطيها للسائل فلما أعطته الدجاجة رجعت حزينة باكية .

فقال لها زوجها: أحزنت لأننا تصدقنا بالدجاجة؟

فقالت: كلا إنما أبكي .. أتدري من السائل؟ إنه زوجي الأول .

فقال لها: أتدرين من أنا؟ وأنا السائل الأول .

والقصة الأخرى ذكرها صاحب كتاب (طرائف المشتاقين في قصص الأولياء والصالحين) نذكرها بكامل ألفاظها، قال فيه: «حكاية عجيبة: روى لنا شيخنا، شيخ الإسلام الحجة، أبو الحسين مجد الدين بن محمد المؤيدي قصة عجيبة قريبة العهد في أول هذا القرن الرابع عشر: أن رجلاً صالحاً كان مسافراً في جهات صعدة صباح يوم، فقامت أعمدة الجراد حتى غطت على عين الشمس كالسحب المتراكمة بعضها فوق بعض، فسمع صوتاً من السماء بالعربية الفصحاء يسمع صوته، ولا يرى شخصه، يقول: (يا جند الله عليكم بوادي علاف إلا زرع القنبري) فغذّ الرجل السير مجداً مجتهداً إلى وادي علاف، ليرى هذه العجيبة، فوصل إليها قبل الظهر، وقد غطى الجراد الشجر والحجر والزرع، والناس من الفلاحين كل واحد يحاول أن يصده عن مزرعته، هذا بالطبول، وهذا بإضرام النيران، وهذا بالهوَّاش، وهذا بإثارة الأتربة، فلم يَبْقَ شيء.

فسأل الرجل عن (القنبري)؟ فقالوا له: هو ذاك في مزرعته وهو يروح ويجيء أمام أصحابه، وكأنه يعمل مثلما يعملون، فلم تمضِ إلا ساعة واحدة وكانت الأرض جرداء لم يبق فيها خضراء، ولم يبق إلا جذوع العلوب، والأشجار الكبيرة، وإذا مزرعة (القنبري) كعادتها، لم يأكل منها بقلة واحدة، وصارت علامة خضراء من أعلى الوادي إلى أسفله، فغدا عليه أصحابه يقولون له: كيف فعلت؟ كيف فعلت؟ فقال: أعان الله تعالى على صرفها، أما رأيتموني بينها أهوش وأعمل مثلما تعملون أنا وعيالي، فتعجبوا.

ودخل (القنبري) مسجد القرية وتبعه الرجل، فلما صلوا الظهر، قال الرجل: أنا ضيفك يا (قنبري) فقال: مرحباً وسهلاً بالضيف، فدخل معه البيت فغدّاه وأكرمه، ثم خرجا المسجد وصليا صلاة العصر مع الناس، و(القنبري) لم يعمل شيئاً زيادةً على الناس.

ثم جاء المغرب فحضر (القنبري) المسجد وأولاده وهو ينازع هذا، ويمازح هذا، ويتكلم على هذا، فلما صلوا العشاء قال الرجل (للقنبري): إني ضيفك هذه الليلة، فقال: مرحباً وسهلاً بالضيف، فدخل معه فأكرمه وعشاه، وجلس معه قليلاً، ثم قال لضيفه: استرح في هذا المجلس، وخرج من عنده موهماً أنه سينام في مكان آخر، فلما خرج تبعه الرجل بعد قليل، فإذا هو يتوضأ، ثم قام يصلي، وكان قد جعل له ميضأة في جانب غرفته، وبجانبها محراب عبادته، فصلى طوال الليل ركوعاً وسجوداً، واستغفاراً وتهليلاً وابتهالاً، وصلى صلاة لم ير الرجل مثلها، فلما طلع الفجر أذّن وأقام، ودخل عليه ثلاثة من أولاده فصلى معهم.

فلما أسفر خرج من مصلاه وقوّم ضيفه، وخرجا المسجد، وكأنه قائم من النوم تلك الساعة، فتوضأ مع أصحابه، وصلّوا الفجر، وتماسك هو وبعضهم، وتنازعوا، وارتفعت الأصوات، والرجل يراقب القنبري، ويسجل في فكره كل حركاته، فرجعوا إلى البيت للإفطار، فقال الرجل: لقد سمعت ورأيتُ عجباً فما شأنك؟

قال: وما رأيت وما سمعت؟ قال: بينما أنا مسافر إلى صعدة فسمعت صوتاً من أعمدة الجراد يسمع الصوت ولا يرى الشخص، يقول: (يا جند الله عليكم بوادي علاف إلا زرع القنبري) فتعجبت ثم حولت سفري إلى وادي علاف لأرى القصة، فلم يخف عليّ شيء من منازعتك مع أصحابك ومهاتراتك معهم، ثم ما حدث مع الجراد وتركها قاعاً صفصفاً أعناباً وأشجاراً ومزارع، كأنها مجدبة من سنين، ثم سلامة زرعك، وأعنابك، وأشجارك، ثم ما رأيت من عبادتك طول الليل بعد أن أوهمتني أنك ستخرج من عندي للنوم، فأسألك بالله إلا ما أخبرتني بالحقيقة؟ فقال الرجل: لا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وإذا سألتني بالله فسأخبرك، وأسألك بالله أن لا تخبر أحداً في حياتي: فهذه مزرعتي التي تفضل الله تعالى لي بها، وجعلها مصدر رزقي ورزق أولادي وعولي من الزرع والأعناب والفواكه المختلفة، والماء الكثير في البئر، فإن الله تعالى هداني ووفقني أن أقسم كل ما حصل منها أثلاثاً بعد أن أزكيه،

فثلث للناشر، والوافد، والسائل، لا أرد أحداً منه، وجعلت له مستودعاً خاصاً، وثلث أرد به على المزرعة من الإصلاح والدمن وعمل وجهد، وثلث أتقوت أنا وعولي وضيفي ... وهكذا.

وقد اتخذتها عادة منذ عشرات السنين، تجدب الأرض ولا تجدب أرضي، ويأخذهم البرد ولا يأخذ أرضي، ويأخذهم الجراد ولا يأخذ أرضي، وتنضب آبارهم ولا تنضب بئري، فأنا أحمد الله سبحانه وتعالى أنا وعيالي على نعمه العظيمة، وآلائه الجسيمة، وخيره الجزيل، وعطائه الكبير، وأوصي أولادي بذلك ما حيوا، ويوصوا أولادهم كذلك.

وأما قصة الصلاة في بيتي فإن أهل القرية لا يتنزهون من النجاسات، ولا يتطهرون، ولا يصلون الصلاة لأوقاتها، وإذا نصحتهم عصوني، وطمعوا في مالي، وفعلوا لي الغرماء والمؤذين، فأنا أصلي في بيتي فإذا حضروا للصلاة في آخر الأوقات صليت معهم.

وأما ما رأيت في صلاة الليل، فلو قمنا حتى نكون كأوتار، وركعنا حتى نكون كالحنايا، وسجدنا حتى تقع علينا الطير ما أدينا شكر أقل نعمة من نعم ربنا، وأستغفر الله تعالى، فنعم الله تعالى كلها عظيمة.

وأما ما رأيت من المنازعات معهم عند المسجد وعند الوضوء فذلك أنك تعرف أن بعض القبائل لا يرحمون أحداً، ولا يقترعون إلا من إنسان يقارعهم، ويقارنهم، ولو يدرون بشيء مما رأيتَ لأخذوا مالي، وحلفوا فيه، ولو حلف أحد على ثوبي الذي على ظهري لتركته له، وهذا الكلام أسألك بالله لا تحدث به أحداً، والمجالس بالأمانة))[1].

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

---

(١)- كرامة رواها مولانا وشيخنا، ربّاني هذه الأمة، الإمام مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي عليه السلام.

الدرس الرابع والعشرون

قصيدتان

حين نقرأ الشعر نحس بطبع مرهف، خاصة إذا كان الشاعر يدعونا للنظر والتأمل؛ لأنه يحمل من المشاعر الثائرة المتدفقة الكثير، ومنه هاتان القصيدتان:

القصيدة الأولى للقاضي العلامة الورع التقي المهدي بن أحمد الجيوري، المعروف بـ(قاضي النبي) توفي رحمه الله تعالى سنة (١١٨٨هـ) تقريباً، وهذا نص القصيدة:

يا رب صل على المختار من مضر ... ما دام يسمع في الأذان حي على

كم في السموات والأرضين من عبر ... لمن تفكر في الأسحار وابتهلا

طوبى لقوم تجافوا عن مضاجعهم ... وويح قوم أطالوا النوم والكسلا

إلى متى أنت باللذات مشتغل ... الإثم حلّ وخير العمر قد رحلا

قد يسبق الموتُ ما أملته لغد ... كن مستعداً له واستقرب الأجلا

وأت الصلاة بقلب خاشع يقظٍ ... مودِّع لا ريا فيها ولا خُيلا

حب الثناء يحبط الأعمال فاتَّقِه ... وأخلص لمولاك تُقبل واحرس العملا

بالنية الأصل والرحمن مطلع ... والحافظان لدينا قط ما غَفَلاَ

أسرَّ ما شئت إن الله يظهر ما ... أضمرته شبْهُ مصباح إذا اشتغلا

وأت الجماعة في أقصى مساجدها ... موقتاً ثم كن بالذكر مشتغلاً

من كان ياسين والقرءان عدته ... لم يخش في دهره نقصاً ولا خللا

لا تحسدنَّ سوى التالي له أبداً ... ومن لأمواله في الله قد بذلا

خير الأمور عن المختار أوسطها ... لا كالكَرى وحِضَجْرٍ فاحفظ المثلا

لله درُّ أنـــاسٍ قـــدَّموا لغـــدٍ ... زاد المــآل بــمال نبَّــل النــبلا

للضـيف والجــار والقربــى يقرِّبــه ... إلىٰ الرقيــب ومــن يبخــل فقــد خُــذِلا

واس المســاكين أضــياف الإلــه ولا ... تَنْهَــرْ مُلِحّــاً وخــلِّ الشــح للــبخلا

أَحــبَّ في الله وأبغــض فيــه واعــط لــه ... واعمــل بــآخر آي النحــل يــا رَجُــلا[1]

أحسن إلىٰ النـاس وانفعهـم وحُـبَّ لهـم ... مـا احبيـت للـنفس هـذا منهجُ الفضـلا

أهــل التفكــر في صــمت وإن نطقــوا ... في الــذكر أو نظــروا فالاعتبــار جَــلاَ

من خاف مولاه خاف الخلـق منـه فكـن ... أشــد لله حُبــاً راجيــاً وجــلا

مــن يتــق الله يُكفــى كــلَّ مســألة ... حقــاً ويســعد في الــدارين إن فعــلا

فكــل شيء يطيــع الطــائعين ومــن ... قــد خــالف الــنفس في أهوائهــا وقــلا

الاســتقامة فــرض في الأمــور فخــف ... صــغائر الــذنب كــم قــد أهلكــت جُمــلا

وكــن مــع الله واستمســك بعروتــه ... وارع المعيَّــة بــالتعظيم تَــرْقَ إلىٰ

نيــل المعــالي مواهيــب مقــدرة ... وَمَــنْ ســعى لِــيَنَلْ مكتوبــه سَــهُلا

عليــكَ بــالعلم مــا أعــلا مراتبــه ... واعمــل بــه ودَعْ التســويفَ والملــلا

ومــن يُســمِّع بعلــمٍ كــي يُقــال نــوى ... كالكلــب في اللهــث أو كــالعير إذ حمــلا

ترتــاح نفسـك يـا مسـكين إن مُـدِحَتْ ... يــا رحمتــاه لهــا يــوم الوقــوف عــلىٰ

نشــر الصـحيفة والجبـار منتصـف ... هــذا يُغــلُّ وهــذا قــد شــفى غُلَــلاَ

دع النفــاقَ فــذو الــوجهين مُحْتَقَــرٌ ... وذو اغتيــاب وكــالنّمام بــين مــلا

---

(١) وهو قول الله تعالىٰ في آخر آية من سورة النحل: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾.

مَــــنْ يتـــق الله فلـــيحفظ أماتتـــه ... منهـــا الجـــوارح فـــالإيمان قـــد كمـــلا

الـــبطنُ والفـــرجُ والأطـــراف موبقـــة ... واحفـــظ لســـانك والأذنـــين والمقـــلا

ثم قال:

جـالسْ كتابـك واقـرأ في العلـوم ودَعْ ... مجـالس اللغـو والنسـوان والـرُّذلا

وكـن كياسـين في صـمتٍ وفي خُلـق ... وكـالوصي صـدوقاً أوْرَعـاً بَطـلا

وكـن سـخياً سـليمَ الصـدرِ ذا صـلةٍ ... لمـن أسـا مـن ذوي الـزلات والـثقلا

ثم قال:

بسـورة العصـر مـا يغنيـك عـن نـزقٍ ... وعـن مداهنـة فاصـدع بـما نـزلا

مـن أسـخط النـاس في إرضـاء خالقـه ... أرضـاهمُ عنـه ولْيَحـذره إن عـدلا

إن القضـاء خطـر صـعب مسـالكه ... يـا ذابحـاً نفسـه لا بالمُـدَا قُـتِلا

دع الهـوى والريـا والفخـر مـع كـذب ... والكـبرَ والغـيظَ والإعجـاب والعجـلا

لا تـرجُ أو تخـش غـير اللهِ إنَّ إذا ... وقيكـه الله تبقـى آمنـاً جـذلا

لـو تجمـع أهـل الأرض مـا قطعـوا ... عليـك حـبلاً بحبـل الله متصـلا

مـن راقـب النـاس لم يَظفـر بمطلبـه ... وفـاز مـن لم يخـف في الله لومـة لائـم

انظـر إلـيهم فعـين الله نـاظرة ... هـم الأمانـة والراعـي لهـا حمـلا

جـاء الحـديث بلعـن الجـائرين ومـن ... للحـق يكـتم أو للسـحت قـد أكـلا

ومـن يُعـن ظالمـاً يـا صـاح يُغـرَ بـه ... لا تُبْـلَ بـالأمر حتـى تـأمن الـزللا

ومـن طغـى فاتـل آي النازعـات لـه ... من خـالف الشرع أجرى الجـور والخلـلا

فالـدهر يُخـزيـه والأيـام تخـبره ... هـذا بـذاك وحسـبُ المـرء مـا فعـلا

لا تنهَهم عن قبيح ثم تفعله ... كأعورٍ عاب من بعض الورى حولا

من سام في الظلم لم يسلم سمومته ... كشارب من حميم ظنّه عسلا

من حار في الأمر فليترك هواه ومن ... يَحتلْ بإثمٍ لجذبِ الشيء لن يصلا

عامل الهك واحذر كل مشتبهٍ ... أو ترك فرضٍ زكاةٍ تمحق الجُمَلا

رأس الخطايا جميعاً حبُّ عاجلةٍ ... من عزّ فيها بغير الله ابتُذلا

خُلقت في كبدٍ للاختبار بها ... بالخير والشر كم قد غرّت الأُولا

فكم ترى بين من غرتهم فتنا ... والكبر والحرص والأحقاد والحيلا

والمكر والخدع ثم البغي مصرعه ... والنكث والظلم والإقراد[1] والجدلا

وزاهدٍ ماشياً هوناً يقول غداً ... فيه السباق وخلِّ الخيل والخوَلا

تورعاً طلّق الدنيا التي خدعت ... أبناءها من عنا في جمعها وملا

من نال منها المُنى ألقت منيته ... بعد التجرع من أهوالها عِللاَ

كم أضحكت ثم أبكت وكمْ وهبت ... واسترجعت من عظيم طاول القُللا

من حمير ألف ملْكٍ في ضرايحهم ... وأسعدُ الكامل المشهور قد أفلا

فأصبحوا لا تُرى إلا مساكنهم ... كحالم النوم أو ظل إذا انتقلا

فصدقها كذب والدهر منضرب ... إن سرَّ غمَّ وإن عافا انتج العللا

والناس أعوان مَنْ والته دولته ... يرى النفاقَ وهم أعداء من عُزِلا

ومن رقى حسدوه والهبوط على ... قدر العلوّ فيا لله من خُملا

فكن كابن لبون عند فتنتهم ... وكالنعامة لا طيراً ولا جملا

مــن يَــدْر دَارَ فَـدَار النــاس محتسـباً	والجـــار أولىٰ وإلا فــاختر الـــنقلا[١]
والطبـع كـاللون كـم خِـلٍّ بـه خلـل	خــلّ الشــقاق تحْــلِ واهجــر السُّــفلا
مــنهم ذئــاب وكــاليربوع أو سَــبُع	فثــق رويــداً فمــن يغــتر مــا عقــلا
واقنــع تُعَــز ولا تطمــع تُــذل ولا	تســأل تهُــن وســل مــولاك لا الــدولا
كــم بـين شـاكٍ إلىٰ المخلـوق حاجتـه	ومحســن الظــن فــيمن فضــله شــملا
لا ينفعــون بشــيء لا يكــون ومــا	في الكــون يــأتي إذا مــا وقتــه وصــلا
رقّت رقـابٌ لمـولىٰ المـال كـم خضـعت	بــرق المطــامع ظلــت تحتــه العقــلا
واللهِ مالــكَ غــير الله مــن أحــد	فحســبك الله لا يغنــي ســواه ولا
ولن يصيبَ سوىٰ المكتـوب فـارضَ بـه	لــن يَعْـدُ والمـرءَ مـا في اللـوح قـد نُقِـلا
ولــيس يعلــم مــا يــأتي الزمــان بــه	إلا العلــيمُ وأمــا مــن ســواه فــلا
مفـاتح الغيـب خمـس عنـده كُتمـت	محــت كهانــةَ مــن قــد راقــب الحَمَــلا
مــع التوكــل مــا للــنّجم مــن أثــر	فحســبك الله لا مــن ينتظــر زُحَــلا
ســبحان خــارق العــادات خالقهــا	يــدبِّر الأمــر والــدنيا اصــبحت دُوَلا
في كــل يــوم لــه شــأن وكــل فتــىٰ	فــانٍ ويصــحبه في القــبر مــا فعــلا
يقلــب الله أحــوالاً أزمّتهــا	خفــيٌّ ألطافــه ســبحانه وعــلا
إن نــاب أمــر ففيــه الخـير عاقبـة	فاشــكر لــنعماه واصــبر عنــد كــل بــلا
لا تُبــدِ سراً ولا فقــراً ولا جِــدَةً	ومــذهباً وابــتلاءً والــذهابَ إلىٰ
وبالقضا فارْض واحتل في الأمـور وكـن	مشــاوراً مُســتخيراً قافيــاً رُســلا

(١) – يَدْر ـ بمعنىٰ يعلم، فعليه أن يداري أموره، ولذا قال بعدها (فَدَارِ) فعل أمر، ومفعوله (الناس).

وكلّما ضرّ غير النار عافية وكلما سرّ غير الخلد فهو كلا
وغارة الله في التفريج أسرع من إحضارهم عرش بلقيس الذي حُمِلا
وفي الخليل وقد قال الأمين له هل حاجة؟ فتلا أما إليك فلا
الله أقرب من حبل الوريد فثق بالله في كل حال تبلغْ الأملا
عدل عليم حكيم في تصرفه بالكاف والنون فيما شاءه انفعلا
وفي الرضا واليقين الرَّوحُ معْ فرج والعكس في العكس فازهد واقْصر الأملا
وغاية الرزق والعُمر الفوات سَوىً كانا قصيرين عدّا أو هما طَوَلا
كم في التراب من الأتراب قد سبقوا فاز المخفون لا من ذنبه ثقلا
فحاسِبْ النَّفسَ والأنفاس في نَفَسٍ متى وفت صرت ملقى مثقلا عطِلا
كلُّ ابن أنثى وإن طالت سلامته لا بد يُحمل فوق النعش مرتحلا
الموت آت وأنت اليوم في سفر تجري إلى النار أم هل تلبس الحللا
يارب عافِ وهَبْ حسن اليقين لنا واختم بخير ووفِّق واغفر الزللا
وارزقني البر في الآبا والقُربا والجار والأصدقا يا خير من سُئلا
أنت الغني قوي جلّ مقتدرا إليك فقري وضعفي فاجبر الخللا
إليك عجزي وذلي يا عزيزُ أغِث يا حافظي يا حفيظي إكْفِ كُلّ بلا
واغفر لناظمها (قاضي النبي) كذا سمي بهذا لرؤيا قد رَوَى الفضلا
يا رب صلّ على طه وعترته مع السلام كذا الأصحاب خير مَلا



والقصيدة الثانية منسوبة إلى زين العابدين، ورائد الخاشعين، الإمام علي بن الحسين عليه السلام، قال فيها:

ليس الغريب غريب الشام واليمن إن الغريب غريب اللحد والكفن

إن الغريب له حق لغربته على المقيمين في الأوطان والسكن

لا تنهرنّ غريباً حال غربته الدهر ينهره بالذل والمحن

سفري بعيد وزادي لن يبلغني وقوتي ضعفت والموت يطلبني

ولي بقايا ذنوب لست أعلمها الله يعلمها في السر والعلن

ما أحلم الله عني حيث أمهلني وقد تماديتُ في ذنبي ويسترُني

تمر ساعات أيامي بلا ندم ولا بكاء ولا خوف ولا حزن

أنا الذي أغلق الأبواب مجتهداً على المعاصي وعينُ الله تنظرني

يازلةً كتبت في غفلةٍ ذَهبتْ ياحسرةً بقيتْ في القلب تحرقني

دعني أنوح على نفسي وأندُبها وأقطع الدهر بالتفكير والحزن

دع عنك عذلي يا من كان يعذلني لو كنتَ تعلم ما بي كنتَ تعذرني

دعني أسحّ دموعاً لا انقطاع لها فهل عسى عَبْرَة منها تخلصني

كأنني بين كل الأهل منطرحاً على الفراش وأيديهم تقلبني

وقد تجمّع حولي من ينوح ومن يبكي عليّ وينعاني ويندبني

وقد أتو بطبيب كي يعالجني ولم أر الطب هذا اليوم ينفعني

واشتد نزعي وصار الموت يجذبها من كل عرق بلا رفق ولا هون

واستخرج الروح مني في تغرغرها وسار ريقي مريراً حين غَرْغَرَتي

وسلّ روحي وظل الجسم منطرحاً بين الأهالي وأيديهم تقلبني

وغمّضوني وراح الكل وانصرفوا بعد الإياس وجدّوا في شراء الكفن

وقام من كان أحب الناس في عجل نحو المغسل يأتيني يغسّلني

وقال ياقوم أبغي غاسلاً حذقاً حراً لبيباً عارفاً فطن

فجاءني رجل منهم فجردني من الثياب وأعراني وأفردني

وأودعوني على الألواح منطرحاً وصار فوقي خرير الماء ينظفني

وأَسْكَبَ الماءَ من فوقي وغسَّلني غسلاً ثلاثاً ونادى القومَ بالكفن

وألبسوني ثياباً لا كمام لها وصار زادي حنوطي حين حنطني

وأخرجوني من الدنيا فوا أسفاه على رحيل بلا زاد يبلغني

وحملوني على الأكتاف أربعة من الرجال وخلفي من يشيعني

وقدمّوني إلى المحراب وانصرفوا خلف الإمام فصلّى ثم ودعني

صلّوا علي صلاة لا ركوع لها ولا سجود لعل الله يرحمني

وأنزلوني إلى قبري على مهل وقدموا واحداً منهم يلحدني

وكشف الثوب عن وجهي لينظرني وأسبل الدمع من عينيه أغرَقني

فقام محتزماً بالعزم مشتملاً وصفَّفَ اللبنَ من فوقي وفارقني

وقال هلوا عليه الترب واغتنموا فضل الثواب من الرحمن ذي المنن

في ظلمة القبر لا أم هناك ولا وهالني أب شفيق ولا أخ يؤنسني

صورة في العين إذ نظرت من هول مطلعها قد كان أدهشني

من منكر ونكير ما أقول لهم قد هالني أمرهم جداً فأفزعني

وأقعدوني وجدّوا في سؤالهم مالي سواك إلهي من يخلصني

فـامنن عـلي بعفومنـك يـا أمـلي	فـإنني موثـق بالـذنب مـرتهن
تقاسم الأهل مـالي بعـدما انصـرفوا	وصـار وزري عـلى ظهـري فـأثقلني
واسـتبدلت زوجتـي بعـلاً لهـا بـدلي	وحكّمتـه عـلى الأمـوال والسـكن
وصـيّرت ولـدي عبـداً ليخدمـه	وصـار مـالي لهـم حـلاً بـلا ثمـن
فلاتغرنـك الـدنيا وزخرفهـا	وانظـر إلى فعلهـا في الأهـل والـوطن
وانظر إلى مـن حـوى الـدنيا بأجمعهـا	هـل راح منهـا بغـير الحـنط والكفـن
خـذ القناعـة مـن دنيـاك وارض بهـا	لـو لم يكـن لـك فيهـا إلا راحـة البـدن
يـا زارع الخـير تحصـد بعـده ثمـراً	يـا زارع الشر موقـوف عـلى الـوهن
يانفس كفي عن العصيان واكتسبي	فعـلاً جميـلاً لعـل الله يرحمنـي
يانفس ويحـك تـوبي واعمـلي حسـناً	عسـى تجـازين بعـدالموت بالحسـن
ثـم الصـلاة عـلى المختـار سـيدنا	مـا ضأضـأ الـبرق في شـام وفي يمـن
والحمـد لله ممسـينا ومصـبحنا	بـالخير والعفـو والإحسـان والمـنن

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.



الدرس الخامس والعشرون

في محراب الابتهال (١)

الحمد لله رب العالمين، القائل سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴿٦٠﴾﴾ [غافر]، والصلاة والسلام على أفضل الذاكرين محمد صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

إن الدعاء ذكر عظيم لله سبحانه، يغرس في أعماق المؤمن مجموعةً كثيرةً من المعاني، تعجز أحياناً المعارف عن غرسها، وهو علامة على توحيد الله، والإيمان به، والتوكل عليه، والثقة الكاملة به سبحانه، كما هو دليل على حاجة العبد وعبوديته، وهو مخ العبادة، وأساس السعادة، وهو سلاح المؤمن.

هذا هو الدعاء، وذكر الله عموماً سمةٌ من سمات الشخصية الربانية الرسالية، وصفة تحتاج لمجاهدة وتربية، حتى تصبح من مكوناته، فالذكر يمد الإنسان بالطمأنينة والاستقرار، ويدفعه للبذل والعطاء، ويمنحه القدرة الكافية على مواجهة الضغوط والتحديات أيّاً كانت، ويعينه على الطاعات بشوق العابد العارف، ويحجزه عن المعاصي.

قد يتصور البعض ـ وهو تصور خاطئ ـ بأن الذكر أو كلمة الذكر، تعني لعاباً يسيل، وسُبْحةً تصتكُّ بقوة، وانزواءً رهيباً، وأصواتاً مرتفعة أو منخفضة هنا وهناك.

ليس الذكر مجرد كلمة لا تحرك فؤاداً، ولا يَرقى بها سلوك، ولكن الذكر عبادة، وتعبير عن مشاعر الإجلال والتعظيم للخالق سبحانه وتعالى.

ولا شك أن الذاكرين لله يتفاوتون نشاطاً وكسلاً، وتكلفاً وترحيباً، فما جاء من الذكر مستكملاً لمواصفات القبول كان أبلغ في أثره، وأنجح في أداء دوره، وأقرب إلى أن يؤتي ثماره.

وفي هذا الدرس المبارك نورد الآيات القرآنية الكريمة العظيمة، التي اشتملت على الدعوات القرآنية، فهو الشفاء من كل داء، بقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء]، ويقول تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام].

وقد روي أن بعض العلماء جمعها واستغنى بها، نفعنا الله بها آمين:

(أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة].

﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴿٦٧﴾﴾ [البقرة].

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة].

﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة].

﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة].

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴿٢٥٠﴾﴾ [البقرة].

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴿٩﴾﴾ [آل عمران].

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴿١٦﴾﴾[آل عمران].

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي

النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴿٢٧﴾﴾[آل عمران].

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران].

﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴿٥٣﴾﴾[آل عمران].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران] .

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران].

﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة].

﴿رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف].

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴿٤٧﴾﴾[الأعراف].

﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴿٨٩﴾﴾[الأعراف].

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف].

﴿لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴿١٤٩﴾﴾ [الأعراف].

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف].

﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف].

﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٥٦].

﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴿٨٦﴾﴾ [يونس].

﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴿٤٧﴾﴾ [هود].

﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف].

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴿٣٨﴾﴾ [إبراهيم].

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم].

﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].

﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء].

﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴿١٠﴾﴾ [الكهف].

﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴿٢٦﴾﴾ [طه].

﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴿١١٤﴾﴾[طه].

﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء].

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء].

﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴿٨٩﴾﴾ [الأنبياء].

﴿رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴿١١٢﴾﴾ [الأنبياء].

﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴿٢٩﴾﴾ [المؤمنون].

﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴿٩٤﴾﴾ [المؤمنون].

﴿رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون].

﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴿١٠٩﴾﴾ [المؤمنون].

﴿رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴿١١٨﴾﴾[المؤمنون].

﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان].

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان].

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الشعراء].

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل].

﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾[القصص].

﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القصص].

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص].

﴿رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [العنكبوت].

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الروم].

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات].

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ [ص:٣٥].

﴿اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الزمر].

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ

ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [غافر].

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الممتحنة].

﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم].

﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح].

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح].

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق].

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [الناس].



الدرس السادس والعشرون

في محراب الابتهال (٢)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وآله الطاهرين..

ذكر الله تعالى وتحميده وتسبيحه سمة عظيمة من سمات الكمال والاتصال بذي العزة والجلال، فالله تعالى يقول: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب].

ونحن نعلم آداب الدعاء، فما جاء من الذكر وهو مستكمل لمواصفات القبول كان أبلغ في أثره وتحصيل دوره، والمأثور من ذلك أفضل، ولنأتي بنماذج من الذكر المبارك، نسأل الله الكريم قبول دعائنا، واستجابة ندائنا، إنه مجيب لمن دعاه، ومستجيب لمن ناداه.

فمن ذلك ما ذكره علامة الشيعة، وحواري آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، الحافظ المتقن، والمعمر الأكبر في طاعة الخالق عز وجل، وفي الذب عن السنة المطهرة، والذود عن الذرية المحمدية بكل ما أوتي من قوة، محمد بن منصور بن يزيد المرادي ـ رضي الله تعالى عنه ـ في كتابه (كتاب الذكر)[1]: حدثنا أحمد بن يحيى، قال: حدثنا قيصر بن زياد البجلي، عن أبي مريم، عن عبد الله بن عطاء المكي، عن أبي جعفر محمد بن علي، عن علي بن الحسين، قال:

قال علي بن أبي طالب للحسين بن علي: يا بني إنه لابد أن تمضي مقادير الله عز وجل وأحكامه وسينفذ الله قضاءه وقدره فيك وفيَّ على ما أحب، فعاهِدْني ألا تلفظْ بكلمة مما ألقي إليك وأسره إليك حتى أموت، ولا بعد ما أموت باثني عشر شهراً، يا بني أخبرك بخبر أصله من الله عز وجل، تقوله غُدوة وعَشِيَّة

---

(١) كتاب الذكر: ١٨٣.

فتشغل ألف ألف ملك يُعطى كل ملك قوة ألف ألف كاتب في سرعة الكتابة، ويوكل بالاستغفار لك ألف ألف ملك يعطى كل ملك قوة ألف ألف ملك في سرعة الكلام، ويبنى لك بيت في دار السلام بيت تكون فيه جار جدك، ويبنى لك في الفردوس ألف ألف بيت ومائة ألف قصر تكون فيه من جيران أهلك، ويبنى لك في جنات عدن ألف مدينة، ويجيء معك من قبرك كتاب ناطق: إن هذا لا سبيل عليه للفزع ولا للخوف ولا لمزاولة الصراط ولا لعذاب النار ولا تموت إلا وأنت شهيد، وتكون حياتك ما حييت وأنت سعيد، ولا يصيبك بلاء أبداً ولا جنون، ولا تدعو إلى الله بدعوة فتحب أن لا تمسي من يومك حتى تأتيك، كائنة ما كانت بالغة ما بلغت في أي نحو كان، ولا تطلب إلى الله حاجة إلا قضاها لك، ويكتب لك في كل يوم ألف حسنة، ويمحى عنك ألف سيئة، وترفع لك ألف درجة، ويوكل بالاستغفار لك العرش والكرسي حتى تقف بين يدي الله تعالى، ولا تطلب إلى الله جل ثناؤه حاجة لك أو لغيرك في أمر دنياك أو آخرتك إلا قضاها لك أو سبَّبَ لك قضاها، فعاهِدْني كما أذكر لك. قال الحسين: فعاهِدْني يا أبتي على ما أحببتَ، قال: أعاهدك على أن تكتم عَليَّ فإذا كان محل يمينك أو تعلمه أحداً سوانا أهل البيت وأولياءنا وشيعتنا، فإنك إن تفعل طلب الناسُ حوائجهم إلى الله في كل نحو فقضاها لهم، وإني أحب أن يتم الله لكم أهل البيت بما علمني مما أعلمك فتحشرون يوم القيامة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون.

فإذا أردت ذلك فقل: ((بسم الله الرحمن الرحيم، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، سبحان الله آناء الليل وأطراف النهار، سبحان الله بالغدو والآصال، سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السماوات والأرض وعشياً وحين تظهرون، يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك

تخرجون، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي العزة والعظمة والجبروت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الملك الذي لا يموت، سبحان الملك الحي القدوس، سبحان القديم الدائم، سبحان الحي العليم، سبحان العلي الأعلى، سبحانه وتعالى، سبّوح قدّوس رب الملائكة والروح، سبحان الله سبّوح قدّوس ربنا الأعلى، سبحان الله وتعالى، اللهم إني أصبحت في نعمة منك وعافية دائمة فأتم علي نعمتك وعافيتك وارزقني أداء شكرك، اللهم بنورك اهتديت، وبفضلك استغنيت، وفي نعمتك أصبحت وأمسيت، اللهم إني أُشْهِدُك وكفى بك شهيداً وأشهد ملائكتك وحملة عرشك وجميع خلقك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك، اللهم اكتب لي هذه الشهادة عندك حتى تلقنيها يوم القيامة وقد رضيت عني إنك على كل شيء قدير، اللهم لك الحمد حمداً يصعد أوله ولا ينفد آخره، اللهم لك الحمد حمداً تضع لك السماء كنفها، وتسبح لك الأرض ومن عليها، اللهم لك الحمد حمداً سرمداً لا انقطاع له ولا نفاد، ولك الحمد عليَّ وفيَّ ومعي وقبلي وبعدي وأمامي وخلفي وإذا متُ وفنيتُ وبقيتَ يا مولاي، اللهم لك الحمد بجميع محامدك كلها على جميع خلقك كلهم، اللهم لك الحمد على كل عرق ساكن، ولك الحمد على كل أكلة وشربة، وجلسة وبطشة، وعلى موضع كل شعرة، اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله، علا نيته وسره، وأنت منتهى الشأن كله، اللهم لك الحمد على حلمك بعد علمك، ولك الحمد على عفوك بعد قدرتك، ولك الحمد باعث الحمد، ولك الحمد وارث الحمد، ولك الحمد بديع الحمد، ولك الحمد مبتدع الحمد، ولك الحمد وفيَّ العهد، صادق الوعد، عزيز الجد، قديم المجد، ولك الحمد رفيع الدرجات، مجيب الدعوات، منزل الآيات من فوق سبع سموات، مخرج من

الظلمات إلى النور، ومبدل السيئات حسنات، وجاعل الحسنات درجات، اللهم لك الحمد غافر الذنب، وقابل التوب شديد العقاب، ذو الطول لا إله إلا أنت إليك المصير، اللهم لك الحمد في الليل إذا يغشى، ولك الحمد في النهار إذا تجلى، ولك الحمد في الآخرة والأولى، اللهم لك الحمد عدد كل نجم في السماء، ولك الحمد عدد كل قطرة في السماء، ولك الحمد عدد كل قطرة تنزل من السماء، ولك الحمد عدد كل مَلَك في السماء، ولك الحمد عدد كل قطرة في البحار، ولك الحمد عدد الحصى والنوى والثرى والجن والإنس والطير والبهائم والسباع والأنعام، ولك الحمد عدد ما في جوف الأرض، ولك الحمد عدد ما على وجه الأرض، ولك الحمد عدد ما أحصى كتابك، ولك الحمد عدد ما أحاط به علمك حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه)).

ثم تقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، ويميت ويحيي وهو على كل شيء قدير. عشر مرات. ثم تقول: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه. عشر مرات، ثم تقول: يا الله يا رحمن يا رحيم. عشر مرات، ثم تقول: يا حنان يا منان. عشر مرات، ثم تقول: يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام. عشر مرات، ثم تقول: (يا حي يا قيوم. عشر مرات، ثم تقول: يا حي لا إله إلا أنت. عشر مرات، ثم تقول: بسم الله الرحمن الرحيم. عشر مرات، ثم تقول: آمين. عشر مرات، ثم تصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشر مرات، ثم تسأل حاجتك.

ومن ذلك ما ذكره ـ أيضاً ـ في (كتاب الذكر)[1] قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا إبراهيم بن علي بن وهب، قال: حدثنا عبيد الله، عن الأصبغ بن نباته، قال: رأيت علياً عليه السلام مغطاً رأسه أعرف الكآبة في وجهه، فاتبعته حتى

(١) كتاب الذكر: ٢١٣-٢١٤، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

دخل مسجداً قد غطى وجهه بالتواري، فجعل يصلي فاطلعت عليه فإذا هو يقول: ((يا كهفي حين تعييني المذاهب، ويا بادئ خلقي رحمة لي وكُنْتَ عن خلقي غنياً، ويا مقيل عثرتي ولولا سترك عورتي لكنت من المفضوحين، ويا مؤيدي بالنصر على أعدائي ولولا نصرك لكنت من المغلوبين، ويا مرسل الرحمة من معادنها ويا ناشر البركة من مواضعها، ويا من خص نفسه بشموخ الرفعة فأولياؤه بعزه يتعززون، ويا من وضعت له الملوك نير المذلة على أعناقهم من سطواته خائفون، أسألك باسمك الذي شققته من نورك، وأسألك بنورك الذي شققته من كينونتك، وأسألك بكينونتك التي شققتها من عظمتك، وأسألك بعظمتك التي شققتها من كبريائك، وأسألك بكبريائك التي شققتها من عزتك، وأسألك بعزتك التي شققتها من اسمك الذي هو في الحجاب عندك فلم يطلع عليه حجابك ولا عرشك وخلقت به خلقك فكلهم لك مذعنون، أسألك أن تفعل لي وتفعل لي)). قال: ثم خرج فإذا وجهه متهللا أعرف البِشْرَ في وجهه، فقلت له، فقال لي: هذا دعاء ما دعوتُ به في كَرْبٍ قط إلا كشفه الله عني.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين..



الدرس السابع والعشرون

في محراب الابتهال (٣)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ومن الذكر المبارك ما ذكره علامة آل محمد، وسيد بني الحسن، حجة الله على خلقه، المجتهد المطلق، والمجدد المحقق، الإمام الولي بن الولي، مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي عليه السلام في كتابه (لوامع الأنوار) الذكر العظيم، والحزب المبين، ونحن هنا نذكر سنده أولاً.

قال مولانا عليه السلام في بحث عن أحوال عابد اليمن، وتلامذته، ومشائخه، الولي الزاهد إبراهيم بن أحمد الكينعي ـ رحمه الله تعالى ـ: ((ثم ذكر سنده في كيفية الطريق إلى الله تعالى، وإخلاص الذكر المتصل بمعروف الكرخي، العابد الزاهد، عن الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم، عن آبائه، عن الوصي علي بن أبي طالب صلوات الله عليه أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: دلّني على أقرب الطرق إلى الله، وأسهلها على عباده، وأوصلها عند الله، فقال: ((يا علي عليك بمداومة ذكر الله في الخلوات)).

فقال علي: كيف أذكر يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((غمّض عينيك واسمع مني ثلاث مرات: لا إله إلا الله)) فقالها وعلي يسمع، ثم قال علي: ((لا إله إلا الله)) ثلاث مرات، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يسمع.

ثم تلقن الحسن البصري هذا الذكر عن علي عليه السلام، واتصل بمعروف الكرخي ـ أيضاً ـ من طريقه إلى قوله: ثم إن علي بن عبد الله [أي ابن أبي الخير شيخ الكينعي] لقن سيدي صارم الدين إبراهيم الكينعي الذكر العظيم والحزب المبين، وألبسه الخِرْقَة.

قال السيد عماد الدين يحيى بن المهدي بن القاسم الحسيني: ثم إن سيدي

إبراهيم لقنني الذكر العظيم والحزب المبين، وألبسني الخرقة المباركة ـ انتهى.

ثم قال مولانا عليه السلام في (لوامع الأنوار) [(١)]: إلى قوله: [صاحب كتاب (صلة الإخوان) يحيى بن المهدي ـ رحمة الله عليه ـ] فمن أراد الخير كله، والأنوار والأسرار، ويدخل الحصن الحصين، فليقرأه بعد كل صلاة وسننها، وهو على ضوء جالساً متربعاً، مستقبلَ القبلةِ، واضعاً راحتيه على فخذيه، وإن كانوا جماعة احتلقوا حلقة ذكر، فيقرأ الفاتحة عشر مرات، ويقرأ هذا الحزب المبارك فيقول: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فضلاً من الله ونعمة، شكراً من الله ورحمة، الحمد لله على التوفيق، ونستغفر الله من كل تقصير، غفرانك ربنا وإليك المصير.

سبحان الله العلي الأعلى الوهاب، سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، سبحانك ما عرفناك حق معرفتك، سبحانك ما قدرناك حق قدرك.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير -ثلاث مرات- وإليه المصير.

لا إله إلا الله الملك الحق المبين، لا إله إلا الله الملك الحق اليقين، لا إله إلا الله أرحم الراحمين، لا إله إلا الله أكرم الأكرمين، لا إله إلا الله حبيب التوابين، لا إله إلا الله غياث المستغيثين، لا إله إلا الله الملك الجبار، لا إله إلا الله الواحد القهار، لا إله إلا الله الحليم الستار، لا إله إلا الله العزيز الغفار، لا إله إلا الله أبداً حقاً حقاً، لا إله إلا الله إيماناً وصدقاً، لا إله إلا الله تلطفاً ورفقاً، لا إله إلا الله تعبداً ورقاً، لا إله إلا الله قبل كل شيء، لا إله إلا الله بعد كل شيء، لا إله إلا الله يبقى ربنا ويفنى كلُّ شيء، لا إله إلا الله المعبود بكل مكان، لا إله إلا الله المذكور بكل

(١) لوامع الأنوار: ج٢/ ٢٠٣، وما بعدها.

لسان، لا إله إلا الله المعروف بالإحسان، لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، ولا شيء بعده، لا إله إلا الله له النعمة وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إيّاه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير. حسبنا الله ونعم الوكيل، ونعم المولىٰ ونعم النصير). فإذا فرغ من الحزب كرّر قوله (لا إله إلاَّ الله) يشدّد بالقوّة علىٰ لفظ الإثبات (إلاَّ الله) من مائة، إلىٰ مائتين، إلىٰ ثلاثمائة، إلىٰ أربعمائة، إلىٰ خمسمائة، إلىٰ ألف .. إلىٰ أكثر.

فإنه يرىٰ العجائب والأنوار، والأسرار والأفكار، إن شاء الله؛ لأن قول: (لا إله إلا الله) ترفع الحجب .

وأوصىٰ إبراهيم الكينعي ـ رحمه الله ـ أن يُجعل هذا الحزب وسنده في كفنه مع ختمة القرآن)).

ومن الأدعية الشريفة المباركة، دعاء الإمام زين العابدين، ورائد الخاشعين، وسيد الساجدين، علي بن الحسين عليهما السلام (دعاء مكارم الأخلاق):

قال عليه السلام: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَبَلِّغْ بِإِيْمَانِي أَكْمَلَ ٱلإِيْمَانِ، وَاجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ الْيَقِينِ، وَانْتَهِ بِنِيَّتِي إِلَىٰ أَحْسَنِ النِّيَّاتِ، وَبِعَمَلِي إِلىٰ أَحْسَنِ الأَعْمَالِ.

اللَّهُمَّ وَفِّرْ بِلُطْفِكَ نِيَّتِي، وَصَحِّحْ بِمَا عِنْدَكَ يَقِينِي، وَاسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ مَا فَسَدَ مِنِّي.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْفِنِي مَا يَشْغَلُنِي ٱلاهْتِمَامُ بِهِ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا تَسْأَلُنِي غَداً عَنْهُ، وَاسْتَفْرِغْ أَيَّامِي فِيمَا خَلَقْتَنِي لَهُ، واغْنِنِي وَأَوْسِعْ عَلَيَّ فِي رِزْقِكَ، وَلاَ تَفْتِنِّي [بِالنَّظَرِ(١)]، وَأَعِزَّنِي، وَلاَ تَبْتَلِيَنِّي بِالْكِبْرِ، وَعَبِّدْنِي لَكَ وَلاَ

(١) لا تفتني بالنظر: لا تمتحني بانتظار حصول الرزق، بل تفضل عليّ بالغنىٰ.
*- في النسخة (ل): بالبطر، والصحيح ما أثبته من (أ)، وهو في (د).

تُفْسِدْ عِبَادَتِي بِالْعُجْبِ، وَأَجْرِ لِلنَّاسِ عَلَى يَدَيَّ الْخَيْرَ، وَلاَ تَمْحَقْهُ بِالْمَنِّ، وَهَبْ لِي مَعَـالِيَ الأَخْـلاَقِ، وَاعْصِمْنِي مِنَ الْفَخْرِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلاَ تَـرْفَعْنِي فِيْ النَّاسِ دَرَجَـةً إلاَّ حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا، وَلاَ تُحْدِثْ لِي عِزّاً ظَاهِرَاً إلاَّ أَحْدَثْتَ لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقَدَرِهَا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَمَتِّعْنِي بِهُدىً صَالِحٍ لاَ أَسْتَبْدِلُ بِهِ، وَطَرِيقَةِ حَقٍّ لاَ أَزِيغُ[١] عَنْهَا، وَنِيَّةِ رُشْدٍ لاَ أَشُكُّ فِيْهَا؛ وَعَمِّرْنِي مَا كَانَ عُمْرِيْ بِذْلَةً[٢] فِي طَاعَتِكَ، فَإِذَا كَانَ عُمْرِي مَرْتَعاً لِلشَّيْطَانِ فَـاقْبِضْنِي إِلَيْـكَ قَبْـلَ أَنْ يَسْبِقَ مَقْتُـكَ إِلَيَّ، أَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ.

اللَّهُمَّ لاَ تَدَعْ خَصْلَةً تُعَابُ مِنِّي إلاَّ أَصْلَحْتَهَا، وَلاَ عَائِبَةً أُؤَنَّبُ بِهَا إلاَّ حَسَّنْتَهَا، وَلاَ أُكْـرُومَـةً[٣] فِيَّ نَاقِصَةً إلاَّ أَتْمَمْتَهَا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَبْدِلْنِي مِنْ بِغْضَةِ أَهْلِ الشَّنَآنِ[٤] الْمَحَبَّةَ، وَمِنْ حَسَدِ أَهْلِ الْبَغْيِ الْمَوَدَّةَ، وَمِنْ ظِنَّةِ أَهْلِ الصَّلاَحِ الثِّقَةَ، وَمِنْ عَدَاوَةِ الأَدْنَيْنَ الْوَلاَيَةَ[٥]، وَمِنْ عُقُوقِ ذَوِي الأَرْحَامِ الْمَبَرَّةَ[٦]، وَمِنْ خِـذْلاَنِ الأَقْرَبِينَ النُّصْـرَةَ، وَمِنْ حُبِّ الْمُدَارِينَ تَصْحِيحَ الْمِقَةِ[٧]، وَمِنْ رَدِّ الْمُلاَبِسِينَ[٨] كَرَمَ الْعِشْرَةِ، وَمِنْ مَرَارَةِ خَوْفِ الظَّالِمِينَ حَلاَوَةَ الأَمَنَةِ.

---

(١) لا أزيغ: لا أميل.
(٢) بذلة: مبذولاً.
(٣) أكرومة: فعل الكرم.
(٤) الشنآن: البغض.
(٥) الولاية: الصداقة والمحبة.
(٦) المبرة: الصلة.
(٧) المقة: المحبة.
(٨) رد الملابسين: عدم قبول المخالطين لي.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ لِيْ يَداً عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَنِي، وَلِسَاناً عَلَىٰ مَنْ خَاصَمَنِي، وَظَفَراً بِمَنْ عَانَدَنِي، وَهَبْ لِي مَكْراً[1] عَلَىٰ مَنْ كَايَدَنِي[2]، وَقُدْرَةً عَلَىٰ مَنِ اضْطَهَدَنِي، وَتَكْذِيباً لِمَنْ قَصَبَنِي[3]، وَسَلامَةً مِمَّنْ تَوَعَّدَنِي، وَوَفِّقْنِي لِطَاعَةِ مَنْ سَدَّدَنِي، وَمُتَابَعَةِ مَنْ أَرْشَدَنِي.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَسَدِّدْنِي[4] لأنْ أُعَارِضَ مَنْ غَشَّنِي بِالنُّصْحِ، وَأَجْزِيَ مَنْ هَجَرَنِي بِالْبِرِّ، وَأُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبَذْلِ، وأُكَافِيَ مَنْ قَطَعَنِي بِالْصِّلَةِ، وأُخَالِفَ مَنِ اغْتَابَنِي إِلَىٰ حُسْنِ الْذِّكْرِ، وَأَنْ أَشْكُرَ الْحَسَنَةَ وَأُغْضِيَ عَنِ السَّيِّئَةِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَحَلِّنِي بِحِلْيَةِ الْصَّالِحِينَ، وَأَلْبِسْنِي زِينَةَ الْمُتَّقِينَ فِيْ بَسْطِ الْعَدْلِ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ، وَإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ[5]، وَضَمِّ أَهْلِ الْفُرْقَةِ، وَإِصْلاَحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَإِفْشَاءِ الْعَارِفَةِ، وَسَتْرِ الْعَائِبَةِ، وَلِينِ الْعَرِيكَةِ[6]، وَخَفْضِ الْجَنَاحِ، وَحُسْنِ السِّيرَةِ، وَسُكُونِ الرِّيحِ[7]، وَطِيْبِ الْمُخَالَقَةِ، وَالسَّبْقِ إِلَىٰ الْفَضِيلَةِ، وإِيْثَارِ التَّفَضُّلِ، وَتَرْكِ التَّعْيِيرِ، وَالإِفْضَالِ عَلَىٰ غَيْرِ الْمُسْتَحِقِّ، وَالقَوْلِ بِالْحَقِّ وَإِنْ عَزَّ، وَاسْتِقْلاَلِ الخَيْرِ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَاسْتِكْثَارِ الشَّرِ وَإِنْ قَلَّ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي. وَأَكْمِلْ ذَلِكَ لِي بِدَوَامِ الطَّاعَةِ، وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ، وَرَفْضِ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَمُسْتَعْمِلِي الرَّأْيِ الْمُخْتَرَعِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ إِذَا كَبِرْتُ، وَأَقْوَىٰ قُوَّتِكَ فِيَّ إِذَا نَصِبْتُ[8]، وَلاَ تَبْتَلِيَنِّي بالكَسَلِ عَنْ عِبَادَتِكَ، وَلاَ الْعَمَىٰ عَنْ سَبِيلِكَ، وَلاَ

---

(١) مكراً: احتيالاً بالحسنى.

(٢) كايدني: مكر بي وخدعني.

(٣) قصبني: عابني.

(٤) سددني: وفقني.

(٥) إطفاء النائرة: إخماد العداوة الواقعة بين الناس.

(٦) لين العريكة: التواضع وقلة الخلاف، والعريكة: الطبيعة.

(٧) سكون الريح: المراد هنا كناية عن الوقار والرزانة.

(٨) نصبت: تعبت.

بِالتَّعَرُّضِ لِخِلاَفِ مَحَبَّتِكَ، وَلاَ مُجَامَعَةِ مَنْ تَفَرَّقَ عَنْكَ، وَلاَ مُفَارَقَةِ مَنِ اجْتَمَعَ إِلَيْكَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَصُولُ بِكَ عِنْدَ الضَّرُورَةِ وَأَسْأَلُكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ عِنْدَ الْمَسْكَنَةِ، وَلاَ تَفْتِنِّي بِالاسْتِعَانَةِ بِغَيْرِكَ إِذَا اضْطُرِرْتُ، وَلاَ بِالْخُضُوعِ لِسُؤَالِ غَيْرِكَ إِذَا افْتَقَرْتُ، وَلاَ بِالتَّضَرُّعِ إِلَى مَنْ دُونَكَ إِذَا رَهِبْتُ؛ فَأَسْتَحِقَّ بِذَلِكَ خِذْلاَنَكَ وَمَنْعَكَ؛ وَإِعْرَاضَكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِي رَوْعِي[(١)] مِنَ التَّمَنِّي وَالتَّظَنِّي[(٢)] وَالْحَسَدِ[(٣)] ذِكْراً لِعَظَمَتِكَ، وَتَفَكُّراً فِي قُدْرَتِكَ، وَتَدْبِيراً عَلَى عَدُوِّكَ؛ وَمَا أَجْرَى عَلَى لِسَانِي مِنْ لَفْظَةِ فُحْشٍ أَوْ هُجْرٍ[(٤)] أَوْ شَتْمِ عِرْضٍ أَوْ شَهَادَةِ بَاطِلٍ أو اغْتِيَابِ مُؤْمِنٍ غَائِبٍ أَوْ سَبِّ حَاضِرٍ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ نُطْقاً بِالْحَمْدِ لَكَ، وَإِغْرَاقاً فِي الثَّنَاءِ عَلَيْكَ، وَذَهَاباً فِي تَمْجِيدِكَ، وَشُكْراً لِنِعْمَتِكَ، وَاعْتِرَافاً بِإِحْسَانِكَ، وَإِحْصَاءً لِمِنَنِكَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلاَ أُظْلَمَنَّ وَأَنْتَ مُطِيقٌ لِلدَّفْعِ عَنِّي، وَلاَ أَظْلِمَنَّ وَأَنْتَ الْقَادِرُ عَلَى الْقَبْضِ مِنِّي، وَلاَ أَضِلَّنَّ وَقَدْ أَمْكَنَتْكَ هِدَايَتِي، وَلاَ أَفْتَقِرَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُسْعِي، وَلاَ أَطْغَيَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُجْدِي.

اللَّهُمَّ إِلَى مَغْفِرَتِكَ وَفَدْتُ، [وَإِلَى عَفْوِكَ قَصَدْتُ][(٥)]، وَإِلَى تَجَاوُزِكَ اشْتَقْتُ، وَبِفَضْلِكَ وَثِقْتُ، وَلَيْسَ عِنْدِي مَا يُوجِبُ لِي مَغْفِرَتَكَ، وَلاَ فِي عَمَلِي مَا أَسْتَحِقُّ بِهِ عَفْوَكَ، وَمَا لِي بَعْدَ أَنْ حَكَمْتُ عَلَى نَفْسِي إِلاَّ فَضْلُكَ؛ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ.

اللَّهُمَّ وَأَنْطِقْنِي بِالْهُدَى، وَأَلْهِمْنِي التَّقْوَى، وَوَفِّقْنِي لِلَّتِي هِيَ أَزْكَى، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا هُوَ أَرْضَى، اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِيَ الطَّرِيقَةَ الْمُثْلَى، وَاجْعَلْنِي عَلَى مِلَّتِكَ

---

(١) روعي: قلبي.

(٢) التظني: أعمال الظن في غير محله.

(٣) الحسد: تمني زوال نعمة المحسود وتحولها إلى الحاسد.

(٤) هجر: الهجر الإفحاش في النطق وكذلك هو إكثار الكلام فيما لا ينبغي.

(٥) ما بين المعكوفين غير موجود في بعض النسخ.

أَمُوتُ وَأَحْيَا، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَمَتِّعْنِي بِالاقْتِصَادِ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ السَّدَادِ، وَمِنْ أَدِلَّةِ الرَّشَادِ، وَمِنْ صَالِحِي الْعِبَادِ، وَارْزُقْنِي فَوْزَ الْمَعَادِ، وَسَلاَمَةَ الْمِرْصَادِ؛ اللَّهُمَّ خُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ نَفْسِي مَا يُخَلِّصُهَا، وَأَبْقِ لِنَفْسِي مِنْ نَفْسِي مَا يُصْلِحُهَا، فَإِنَّ نَفْسِي هَالِكَةٌ أَوْ تَعْصِمَهَا.

اللَّهُمَّ أَنْتَ عُدَّتِي إِنْ حَزِنْتُ، وَأَنْتَ مُنْتَجَعِي إِنْ حُرِمْتُ، وَبِكَ اسْتِغَاثَتِي إِنْ كَرِثْتُ[١]، وَعِنْدَكَ مِمَّا فَاتَ خَلَفٌ؛ وَلِمَا فَسَدَ صَلاَحٌ، وَفِيمَا أَنْكَرْتَ تَغْيِيرٌ؛ فَامْنُنْ عَلَيَّ قَبْلَ الْبَلاءِ بِالْعَافِيَةِ، وَقَبْلَ الطَّلَبِ بِالْجِدَةِ، وَقَبْلَ الضَّلاَلِ بِالرَّشَادِ، وَاكْفِنِي مَؤُونَةَ مَعَرَّةِ الْعِبَادِ، وَهَبْ لِيْ أَمْنَ يَوْمِ الْمَعَادِ، وَامْنَحْنِي حُسْنَ الإِرْشَادِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَادْرَأْ[٢] عَنِّيْ بِلُطْفِكَ، وَاغْذُنِي بِنِعْمَتِكَ، وَأَصْلِحْنِي بِكَرَمِكَ، وَدَاوِنِي بِصُنْعِكَ؛ وَأَظِلَّنِيْ فِي ذَرَاكَ[٣]، وجَلِّلْنِي رِضَاكَ، وَوَفِّقْنِي إِذَا اشْتَكَلَتْ عَلَيَّ الأُمُورُ لأَهْدَاهَا، وَإِذَا تَشَابَهَتِ الأَعْمَالُ لأَزْكَاهَا، وَإِذَا تَنَاقَضَتِ الْمِلَلُ لأَرْضَاهَا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَتَوِّجْنِي بِالْكِفَايَةِ، وَسُمْنِي[٤] حُسْنَ الْوِلاَيَةِ، وَهَبْ لِيْ صِدْقَ الْهِدَايَةِ، وَلاَ تَفْتِنِّي بِالسَّعَةِ، وَامْنَحْنِي حُسْنَ الدَّعَةِ[٥]، وَلاَ تَجْعَلْ عَيْشِي كَدًّا كَدًّا، وَلاَ تَرُدَّ دُعَائِي عَلَيَّ رَدًّا، فَإِنِّي لاَ أَجْعَلُ لَكَ ضِدًّا، وَلاَ أَدْعُو مَعَكَ نِدًّا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَامْنَعْنِي مِنَ السَّرَفِ، وَحَصِّنْ رِزْقِي مِنَ التَّلَفِ، وَوَفِّرْ مَلَكَتِي بِالْبَرَكَةِ فِيهِ، وَأَصِبْ بِي سَبِيلَ الْهِدَايَةِ لِلْبِرِّ فِيمَا أُنْفِقُ [مِنْهُ].

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْفِنِي مَؤُنَةَ الاكْتِسَابِ، وَارْزُقْنِي مِنْ غَيْرِ احْتِسَابٍ؛

---

(١) كرثت: اشتدت عليّ الهموم وبلغت مني المشقة.

(٢) ادرأ: ادفع المكاره.

(٣) أظلني في ذراك: استرني في حرزك ورحمتك.

(٤) سمني: أولني.

(٥) امنحني حسن الدعة: اعطني الراحة والعيش الحسن.

فَلاَ أَشْتَغِلَ عَنْ عِبَادَتِكَ بِالطَّلَبِ، وَلا أَحْتَمِلَ إِصْرَ[١] تَبِعَاتِ الْمَكْسَبِ.

اللَّهُمَّ فَأَطْلِبْنِي بِقُدْرَتِكَ مَا أَطْلُبُ، وَأَجِرْنِي بِعِزَّتِكَ مِمَّا أَرْهَبُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَصُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ، وَلاَ تَبْتَذِلْ جَاهِي بِالإِقْتارِ[٢]، فَأَسْتَرْزِقَ أَهْلَ رِزْقِكَ، وَأَسْتَعْطِيَ شِرَارَ خَلْقِكَ، فَأَفْتَتِنَ بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وأُبْتَلَى بِـذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي، وَأَنْتَ مِنْ دُونِهِمْ وَلِيُّ الإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِـهِ، وَارْزُقْنِي صِحَّةً فِيْ عِبَادَةٍ، وَفَراغاً فِي زَهَادَةٍ، وَعِلْماً فِي اسْتِعمَـالٍ، وَوَرَعـاً فِي إِجْمَالٍ[٣].

اللَّهُمَّ اخْتِمْ بِعَفْوِكَ أَجَلِي، وَحَقِّقْ فِي رَجَاءِ رَحْمَتِكَ أَمَلِي، وَسَهِّلْ إِلَى بُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلِي، وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِيْ عَمَلِي.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَنَبِّهْنِي لِذِكْرِكَ فِي أَوْقَاتِ الْغَفْلَةِ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِـكَ فِي أَيَّامِ الْمُهْلَةِ، وَانْهَجْ لِي إِلَى مَحَبَّتِكَ سَبيلاً سَهْلَةً؛ أَكْمِلْ لِي بِهَا خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، كَأَفْضَلِ مَـا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ قَبْلَهُ، وَأَنْتَ مُصَلٍّ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَهُ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنِي بِرَحْمَتِكَ عَذَابَ النَّارِ)).

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين...



---

(١) إصر: ثقل وشدة.

(٢) الاقتار: التضييق في النفقة.

(٣) ورعاً في إجمال: تركاً للشبهات في رفق بدون إسراف، كما يفعل أهل الوسوسة.

الدرس الثامن والعشرون

الإمام علي عليه السلام وليلة القدر

الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إنه أمَّة بحالها، لها ملامحها الخاصة، في أي الميادين جئت تتحدث عنه وجدَتُه أعظم إنسان عرفه التاريخ، فإذا قيل من أشجع الناس؟ قيل علي، وإذا قيل من أعلم الناس، وأبلغ الناس في مواعظه؟ قيل علي، وإذا قيل من أزهد الناس؟ قيل: علي، .. وهكذا، وهكذا.

وهنا سؤال وجواب حول شخص أمير المؤمنين علي عليه السلام، قدم السؤال العلامة صاحب (شرح نهج البلاغة) عز الدين بن أبي الحديد ـ رحمه الله تعالى ـ فأجاب عليه أحد العلماء، ويسمى أبو جعفر الحسني.

قال العلامة ابن أبي الحديد في شرحه (١٠/ ٢٢٣) قلت: ما سبب حب الناس لعلي بن أبي طالب عليه السلام، وعشقهم له، وتهالكهم في هواه؟ ودعني في الجواب من حديث الشجاعة، والعلم، والفصاحة، وغير ذلك من الخصائص التي رزقه الله سبحانه الكثير الطيب منها؟

فضحك، وقال لي: ((كم تجمع جراميزك عَلَيَّ، ثم قال: ها هنا مقدمة ينبغي أن تُعلم، وهي أن أكثر الناس موتورون من الدنيا، أما المستحقون فلا ريب في أن أكثرهم محرومون نحو عالمٍ يَرَى أنه لا حظ له في الدنيا، ويرى جاهلاً غيره مرزوقاً وموسعاً عليه، وشجاعٍ قد أبلى في الحرب وانتفع بموضعه ليس له عطاءٌ يكفيه ويقوم بضروراته، ويرى غيره وهو جبانٌ فشِلٌ يَفْرَقُ من ظله مالكاً لقطر عظيم من الدنيا، وقطعة وافرة من المال والرزق.

وعاقلٍ سديد التدبير، صحيح العقل قد قُدِرَ عليه رزقُه وهو يرى غيره أحمق مائقاً تُدَرُّ عليه الخيرات وتتحلّب عليه أخْلافُ الرزق.

وذي دينٍ قويم وعبادةٍ حسنة، وإخلاص وتوحيد وهو محروم ضيق الرزق، ويرى غيره يهودياً أو نصرانياً أو زنديقاً كثير المال حسن الحال.

حتىٰ أن هذه الطبقات المستحقة يحتاجون في أكثر الوقت إلىٰ الطبقات التي لا استحقاق لها، وتدعوهم الضرورة إلىٰ الذل لهم والخضوع بين أيديهم، إما لدفع ضرر أو لاستجلاب نفع.

ودون هذه الطبقات من ذوي الاستحقاق ـ أيضاً ـ ما نشاهده عياناً من نجّارٍ حاذقٍ، أو بنّاءٍ عالمٍ، أو نقّاشٍ بارعٍ، أو مصور لطيف علىٰ غاية ما يكون من ضيق رزقهم، وقعود الوقت بهم، وقلة الحيلة لهم، ويُرىٰ غيرهم ممن ليس يجري مجراهم، ولا يلحق طبقتهم مرزوقاً مرغوباً فيه، كثير المكسب، طيب العيش، واسع الرزق، فهذا حال ذوي الاستحقاق والاستعداد.

وأمّا الذين ليسوا من أهل الفضائل كحشو العامة، فإنهم ـ أيضاً ـ لا يخلون من الحَنَق علىٰ الدنيا والذم لها، والحنق والغيظ منها؛ لما يلحقهم من حسد أمثالهم وجيرانهم، ولا يُرىٰ أحد منهم قانعاً بعيشه، ولا راضياً بحاله، بل يستزيد ويطلب حالاً فوق حاله.

قال: فإذا عرفتَ هذه المقدمة، فمعلوم أن علياً عليه السلام كان مستحقاً محروماً، بل هو أمير المستحقين المحرومين وسيدهم وكبيرهم.

ومعلوم أن الذين ينالهم الضيم وتلحقهم المذلة والهضيمة يتعصب بعضُهم لبعض، ويكونون إلْباً ويداً واحدة علىٰ المرزوقين الذين ظفروا بالدنيا ونالوا مآربهم منها؛ لاشتراكهم في الأمر الذي آلمهم وساءهم وعضَّهم ومضّهم، واشتراكهم في الأنفة والحمية والغضب والمنافسة لمن علا عليهم وقهرهم وبلغ من الدنيا ما لم يبلغوه.

فإذا كان هؤلاء ـ أعني المحرومين ـ متساويين في المذلة والرتبة، وتعصب بعضهم لبعض فما ظنك إذا كان منهم رجل عظيم القدر، جليل الخطر، كامل الشرف، جامع للفضائل، محتو علىٰ الخصائص والمناقب، وهو مع ذلك محروم محدود، قد جرّعته الدنيا علاقِمَها، وعلّته عَلَلاً بعد نَهَلٍ مِنْ صَابِهَا وصَبِرِها،

ولقي منها بَرْحاً بَارِحاً، وجهداً جهيداً، وعلا عليه من هو دونه، وحكم فيه وفي بنيه وأهله ورهطه من لم يكن ما ناله من الإمرة والسلطان في حسابه، ولا دائراً في خلده، ولا خاطراً على باله، ولا كان أحدٌ من الناس يرتقب ذلك له ولا يراه له.

ثم كان في آخر الأمر أن قُتِل هذا الرجل الجليل في محرابه، وقُتل بنوه بعده، وسُبي حريمه ونساؤه، وَتُتُبِّعَ أهلُهُ وبنو عمه بالقتل والطرد والتشريد والسجون مع فضلهم وزهدهم وعبادتهم وسخائهم، وانتفاع الخلق بهم.. فهل يمكن ألا يتعصب البشرُ كلهم مع هذا الشخص؟!

وهل تستطيع القلوب ألاَّ تُحبَّه وتهواه، وتذوب فيه، وتفنى في عشقه؛ انتصاراً له، وحمية من أجله، وأنفة مما ناله، وامتعاضاً مما جرى عليه، وهذا أمر مركوز في الطبائع، ومخلوق في الغرائز)).

أخي القارئ ليلة القدر وقت فاضل مبارك، خصَّ اللهُ بها هذه الأمة لتربح الربح الكثير في سوق عظيم من أسواق الآخرة، فلقد توّج الله هذه الليلة المباركة بسورة كاملة من الذكر الحكيم قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ۝٣ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ۝٤ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ۝٥﴾.

ولهذه الليلة المباركة في السنة النبوية الشريفة مكانة عظيمة ومرموقة، قال الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام: ذكر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((اطلبوا ليلة القدر في العشر الأواخر)) يعني من رمضان.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: ((إذا كان ليلة القدر أمر الله ـ عزّ وجل ـ جبريل عليه السلام يهبط في كوكبة من الملائكة عليهم السلام إلى الأرض، ومعه لواء أخضر، فيركز اللواء على ظهر الكعبة، وله ستمائة جناح، منها جناحان لا ينشرهما إلا في

ليلة القدر، فينشرهما في تلك الليلة، فيجاوزان المشرق والمغرب، ويبثُّ جبريل عليه السلام الملائكة عليهم السلام في هذه الأمة، فيسلّمون على كل قائم وقاعد، ومصلٍّ وذاكر، ويصافحونهم ويؤمِّنون على دعائهم حتى يطلع الفجر.

فإذا طلع الفجر، قال جبريل عليه السلام: يا معشر الملائكة: الرحيلَ.. الرحيلَ، فيقولون: يا جبريل ما صنع الله في حوائج المؤمنين؟ فيقول: إن الله نظر إليهم في هذه الليلة، وعفا عنهم، وغفر لهم، إلا أربعة: رجل مدمن خمر، وعاق والديه، وقاطع رحم، ومشاحن، قيل: وما المشاحن يا رسول الله؟ قال: ((الـمُصَارِم)).

هذه ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، والمسلمون كل منهم يبادر ويشمّر عن ساق، ابتداءً من أول ليلة تدخل منها، فبعضهم يعتكف ويلبث في المسجد؛ ليتفرّغ تماماً للعبادة، ويوزع أوقاته في أعمال الخير وما يقرّبه إلى الملك الجليل سبحانه.

والقارئ للقرآن يشتغل بتلاوته، والذي لا يحفظ القرآن يوزع أوقاته بين الاستماع للقرآن والتهجد والاستغفار والدعاء وما شابه ذلك.

ومن أعطاه الله سبحانه مالاً يتحرى أن يخرج زكاته في تلك الليالي المباركة، والمتصدق يتصدق بما تجود به نفسُه.

وعلى كل حال كل يريد أن يقدم لنفسه في ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، وحتماً سيدركها، فإنها في ليالي العشر، وليلة التاسع عشر من شهر رمضان، كما ذلك مذكور في أحاديث مروية عن الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

أيها القارئ الكريم .. تعال لننظر ما قدم أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، ورأس العارفين، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في هذه الليلة، ليلة القدر؟

إنه قدّم روحه، وأغلى ما لديه، قدّم نفسه الطاهرة، ودمائه الزكية، قرباناً في سبيل الله.. إنها الشهادة في سبيل الخالق ومبادئه، أعلى مقام، سنام الإسلام، وهي الحياة في دار الحياة، اشترى الحياة كل الحياة، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي

سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل عمران].

ولقد قال عليه السلام حينها ((فزت ورب الكعبة)).. الإمام علي عليه السلام خدم الإسلام بكل ما لديه، فجاء في التاسع عشر من شهر رمضان في العام الأربعين من الهجرة الشريفة، جاء أشقى الأولين والآخرين، عبد الرحمن بن ملجم المرادي، لعنه جبارُ السموات والأرض، ليسفك ذلكم الدم الزكي الطاهر، والإمام متوجه إلى ربه، ليصلي ويناجي الخالق سبحانه.

وضل الإمام علي عليه السلام يقاسي آلامه بعد ذلك حتى اليوم الحادي والعشرين من شهرُ الله المبارك، ثم فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها، بعد جهد وعناء وتضحيات لا نظير لها، على مسيرة ثلاث وستين عاماً، بين عبادة وخشية، وجهاد ودعوة، ونصيحة وتضحية، وعدل في الرعية، وعطاء وزهد وورع، وعلم ومعارف، وغير هذا الكثير.

فسلام عليك يا أمير المؤمنين حين ولدت، وحين فزت بالشهادة، وحين تبعث حياً.

هذا أمير المؤمنين عليه السلام وما قدمه في ليلة القدر، والمتأمل لحياة هذه الشخصية المثالية من أول وهلة حتى خرج من عالم الدنيا، ليعلم العلم الذي ليس معه شك شدة الارتباط بينه عليه السلام وبين الأسس في الإسلام، والتجاذب الكبير بينه وبين أركان الدين الحنيف.

فمثلاً الشهادتان: الناس يعلمون، والعترة الزكية مجمعة على أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دعا إلى الرسالة الخالدة، دعا إلى النبوة يوم الأثنين، والإمام علي عليه السلام استجاب لهذه الدعوة يوم الثلاثاء، ووقف مع نبي الخير والرحمة

والعطاء منذ تلك اللحظة، يسدُّ جناحه في صلاته عند الكعبة، وخلفهما زوجة الرسول المخلصة أم المؤمنين خديجة الكبرى بنت خويلد رضي الله عنها.

وقفوا بدون مبالاة بطغاة الجاهلية، وعفاريت الشرك وجلاوزته، وأقطاب الكفر وأركانه.

وقفوا عند الكعبة التي ولد فيها أمير المؤمنين عليه السلام، فلقد ذكرت التواريخ وأكدت: أن فاطمة بنت أسد أم الإمام علي عليه السلام جاءها الطَّلْقُ وهي في الحرم، فتوجهت إلى الكعبة، ودخلت ووضعت فيها مولودها الأغر المبارك، هناك في أفضل مقام على الإطلاق، القبلة التي نتوجه إليها ليل نهار، ونطوف حولها في حجنا وعمرتنا.

تلك كانت مكان مولد الوصي الإمام علي عليه السلام.. انظروا فهو عليه السلام يتضرج بدمائه الطاهرة عند الصلاة متوجهاً إلى تلك البنية المقدسة، الكعبة المشرفة، وهذا هو الركن الثاني من أركان الإسلام كما هو معلوم.

والركن الثالث الزكاة، نحن نقرأ القرآن، ففي سورة المائدة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة].

والمفسرون مجمعون ـ إلا من شذّ ـ على أن الإمام علي عليه السلام هو المقصود بهذا الفضل الكبير، والثناء العظيم، فهو الذي تصدّق وزكّى بخاتمه وهو يصلي في ركوعه.

وكذلك عند شهر الصوم وهو الركن الرابع: ففي سورة (الإنسان): ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [الإنسان].

ففي هذه السورة القرآنية الكريمة موقف وأيما موقف، إنه يوضح بجلاء أن عبادة الصوم بالإضافة إلى أنها عبادة وامتثال للخالق ـ سبحانه وتعالى ـ فهي إيثار وعطاء، وحب للآخرين ليس له مثيل، فالإمام علي عليه السلام مع أهل بيته الكرام جاعوا وتحملوا المشقة ليطعموا الآخرين، ثلاثة أيام صَبْرٌ على الجوع ومحنته، والقصة مشهورة في تاريخ الإسلام.

وأما الركن الخامس وهو الحج، ففيه الإنذار والبراءة، فقد كلف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الإمام علي عليه السلام بتنفيذه، وكانت هذه المهمة الصعبة في العام التاسع الهجري.

وليكن على بالنا دائماً حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقوله المدوّي، وذلك عندما خرج الإمام علي عليه السلام لمبارزة عمرو بن عبد ود العامري يوم الأحزاب، حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((برز الإيمان كله للشرك كله)).

ولا بأس بلمحة خاطفة من ذكر فضائل مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام، فضائل جاءت على لسان المصطفى خير البشر، الحبيب محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

يقول صلى الله عليه وآله وسلم: ((أقضى أمتي بكتاب الله علي بن أبي طالب، فمن أحبّني فليحبه، فإن العبد لا ينال ولايتي إلا بحب علي)).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا علي بحبك يعرف المؤمنون وببغضك يعرف المنافقون، فمن أحبك من أمتي فقد برئ من النفاق، ومن أبغضك لقي الله عزّ وجل منافقاً)).

وعن علقمة بن قيسٍ، والأسود بن يزيد، قالا: أتينا أبا أيوب الأنصاري، قلنا: يا أبا أيوب، إن الله عز وجل أكرمك بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم إذ أوحى إلى راحلته فبركت على بابك، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضيفاً لك فضيلةً من الله فضلك بها، فأخبرنا عن مخرجك مع علي بن أبي طالبٍ؟

قال أبو أيوب: فإني أقسم لكما لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معي في هذا البيت الذي أنتما فيه وما في البيت غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلي جالسٌ عن يمينه، وأنا جالسٌ عن يساره، وأنس بن مالكٍ قائمٌ بين يديه إذ تحرك الباب، فقال

النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا أنس انظر من في الباب، فخرج أنس ونظر وقال: يا رسول الله هذا عمارٌ. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: افتح لعمارٍ الطيب المطيب. ففتح أنسٌ الباب فدخل عمارٌ فسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرحب به، ثم قال: يا عمار إنه سيكون من بعدي في أمتي هناتٌ حتى يختلف السيف فيما بينهم وحتى يقتل بعضهم بعضاً، وحتى يتبرأ بعضهم من بعضٍ، فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع، عن يميني يعني علي بن أبي طالبٍ (صلوات الله عليه) فإن سلك الناس وادياً وسلك علي وادياً فاسلك وادي علي وخل عن الناس، يا عمار إن علياً لا يردك عن هدى ولا يدلك على ردى، يا عمار طاعة علي طاعتي وطاعتي طاعة الله عز وجل)).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في المسيح لقلتُ فيك قولاً لا تمر بملأ إلا أخذوا من تراب نعليك، وفضل طهورك، يستشفون به، ولكن حسبك أن تكون مني وأنا منك، ترثني وأرثك، وأن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي...)) الحديث بطوله.

وروي عن الإمام علي عليه السلام، أنه قال: ((قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال لي ربي عز وجل ليلة أسري بي: من خلّفتَ على أمتك؟ قال: قلتُ: أنت يا ربّ أعلم، قال: يا محمد إني انتجبتك برسالتي، واصطفيتك لنفسي، فأنت نبيي وخيرتي من خلقي، ثم الصدِّيق الأكبر، الطاهر المطهّر، الذي خلَقْتُهُ من طينتك، وجعلته وزيرك، وأبا سبطيك السيدين الشهيدين، الطاهرين المطهرين، سيدي شباب أهل الجنة، وزوجته خير نساء العالمين. أنت شجرة، وعلي أغصانها، وفاطمة ورقها، والحسن والحسين ثمارها، خلقتكم من طينة عليين، وخلقت شيعتكم منكم، إنهم لو ضربوا على أعناقهم بالسيوف ما ازدادوا لكم إلا حباً.

قلت: يا رب ومن الصديق الأكبر؟ قال: أخوك علي بن أبي طالب، قال: بشرني بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابناي الحسن والحسين منها، وذلك قبل الهجرة

بثلاثة أحوال)) رواه الإمام زيد بن علي عليه السلام، وأخرجه محمد بن سليمان الكوفي في (المناقب).

وفي حديث آخر عن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ: أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي: ((أنت أول من آمن بي، وأول من يصافحني، يوم القيامة، وأنت الصديق الأكبر، وأنت الفاروق الذي تفرق بين الحق والباطل، وأنت يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الكافرين)) وفي رواية أخرى ((والمال يعسوب الظالمين)).

وروي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((ستكون من بعدي فتنة، فإذا كان ذلك، فالزموا علي بن أبي طالب، فإنه أول من يراني، وأول من يصافحني يوم القيامة، وهو الصديق الأكبر، وهو فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل، وهو يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين)).

قال في (القاموس): وشرحه [اليعسوب] هو أمير النحل، وذَكَرُها، واستعمل بعد ذلك في الرئيس الكبير، والسيد المقدم.

وفي أمالي المرشد بالله عليه السلام: أخبرنا محمد بن علي العلاّف، أنا أبو بكر القطيع، كتب إلينا ابن غنام: أن الحسن بن عبد الرحمن، قال: أنا عمرو بن جميع، عن محمد بن أبي ليلى، عن عيسى بن عبد الرحمن، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل موسى الذي قال: ﴿يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ۝٢٠﴾ وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ وعلي بن أبي طالب، وهو أفضلهم)).

ونختم هذا الدرس، بحديث أورده الزمخشري في (تفسيره): قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من مات على حب آل محمد مات شهيدا، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان

إلى الجنة، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة)). وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.



الدرس التاسع والعشرون

الخوف والخشية ومقام الشاكرين*

الحمد لله رب العالمين، المثيب لمن خافه واتقاه، والصلاة والسلام على سيد الرسل، وأعظم من خشي الرحمن من البشر، محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وبعد:

إن البشرية اليوم اقتصرت على الاهتمام بالجسم ووفرت له ما يحتاجه من الأغذية، والأطعمة المختلفة وبنت له المستشفيات ومصانع اللباس ووسائل النقل المختلفة، كما اقتصرت على الاهتمام بالعقل فبنت له المدارس، والجامعات، والمؤسسات، ووفرت له وسائل الإعلام، والنشر، والصحف، والمجلات، وأهملت جانباً مهماً في حياة الإنسان، جانباً من أهم الجوانب، إنه الجانب الروحي، الجانب الإيماني، الجانب النفسي، الذي بشر الله من اهتم به بالفلاح، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا۝١٠﴾ [الشمس].

والجانب الروحي وتزكيته وتطهيره هو الهدف الأسمى، الذي من أجله أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ۝٢﴾ [الجمعة].

والإسلام الحنيف قد اهتم بجميع جوانب الإنسان، كل جانب بِقدَرِهِ، فالجانب الجسدي له مكانة في نظر الإسلام، والجانب المعرفي، والعقلي كذلك، ولكن الجانب الروحي يحتل الصدارة.

إننا إذ نروي هذا الحديث النبوي الشريف لنعرف هذا المعنى بأجلى وضوح، فقد روي عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: ((إنَّ في جسد ابن آدم بضعة إذا

(*) الدليل إلى الخوف والخشية من الجليل: ٥٥-٨٢.

صلحت صلح الجسد كلُّه، وإذا فسدتْ فسد الجسدُ كلُّه، ألا وهي القلب)).

أخي المؤمن إذا أردت التحليق في سماء الرحمة، واللحوق بركب تلك الأنفس المطمئنة.. إذا أردت الحياة السعيدة، فعليك بالخوف من الجليل، والخشية لرب الأرض والسماء، والرجوع إلى الرحمن الرحيم، بقلب مخلص صادق منيب.

فالإنسان ليس معصوماً عن الأخطاء، ولكن عليه الحذر من الوقوع فيها، وإذا تورَّط رجع سريعاً، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ۝١٣٥ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ۝١٣٦﴾ [آل عمران].

الخوف والخشية مقام من أرفع مقامات الدين، وصفة عظيمة وصف الله بها عباده وأوليائه في القرآن الكريم، وجاء وصفهم على لسان الرسول الأكرم ﷺ.

فلقد ذكر الله تعالى الخوف والخشية في الكتاب العزيز في نحو خمسين موضعاً، وكل موضع يوضح بجلاء أهمية الخوف والخشية وضرورة استشعارهما في قلب المؤمن الصادق في إيمانه، بل نجد إن الله تعالى قد حصر الإيمان الحقيقي في الخائفة قلوبهم المزدادة إيماناً بآياته قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ۝٣ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ۝٤﴾ [الأنفال].

ويقول تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ۝٣٣ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ۝٣٤﴾ [لقمان].

وأقسام الخوف ثلاثة

١ـ الخوف المحمود: وهو الذي يكون حاثاً على الطاعات، وحاجزاً عن السيئات، وهو الخوف المشعر بعظمة الله خالق الأرض والسماء، وأي خوف لا يحقق هذه الأشياء فوجوده كعدمه.

٢ـ الخوف المذموم: وهو الخوف الذي يدعو صاحبه الى اليأس والقنوط من رحمة الله، وحتى يكون باعثاً في نفس الإنسان الكسل عن الطاعات، بمعنى أن يكون الإنسان قد ارتكب ذنوباً فظن أن الله لن يغفرها له، فقنط من رحمة الله ويأس من رَوْحه.

٣ـ الخوف المؤقت: وهو الخوف الذي يتأثر الإنسان فيه حال سماع أية زجر قرآنية، أو عند مشاهدة آية كونية هائلة، فإذا غابت هذه الأسباب رجع القلب إلى الغفلة وإلى القساوة والإعراض، ويعتبر هذا الخوف خوفاً لله قاصراً.

ولنعلم أنه لا يستحق الخوف والخشية إلا جبار السموات والأرض، والمنعم المتفضل الدائم سبحانه، والمراد به الخوف والخشية الديني.

وأما الخوف والخشية الجبلي فليس على الإنسان فيه تكليف، كما حقق ذلك العالم الزمخشري في كتابه (الكشاف) عند تفسير سورة التوبة، في قوله تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴿١٣﴾﴾ [التوبة].

إذاً يكون الخوف والخشية الديني لله وحده فقط، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ [البقرة:١٥٠]، وكقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٤٤].

تأنيب الله للإنسان بسبب قسوة قلبه

نجد الله سبحانه وتعالى يؤنب الانسان على قساوة قلبه، ويضرب له أمثلة بما حوله من الجبال والأحجار؛ علَّه يعتبر وينزجر، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ

قُلُوبُكُم مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة].

هذا مثال من أمثلة القلوب القاسية، فبعد أن ذكر الله تعالى ما من شأنه أن يزرع الخشية في قلوب بني إسرائيل، ختم ذلك بقوله: ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ قست فكانت كالحجارة، بل أشد قسوة منها؛ لأن هذه القلوب مجدبة عن كل خير، والمخلوقات الأخرى مثل الحجارة قد يكون فيها بعض النفع.

إنها قلوب قاسية متوحشة، ومتعطشة للدماء المحرمة، يقول الله تعالى ضارباً للأمثال لمن هو عديم الخشية والخوف: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴿٢١﴾﴾ [الحشر].

الذكرى خاصة لمن يخشى، والإنذار لمن يخاف الله

والله سبحانه وتعالى يحصر إنذار رسوله لمن يخشاه ويخافه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴿١٨﴾﴾ [فاطر].

فلن يستفيد من الإنذار إلا الذين يخافون ربهم ويخشونه.

يقول تعالى:﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ﴿١١﴾﴾ [يس].

. وفي سورة (الأعلى) يؤكد ذلك أيضاً بقوله تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ﴿١٠﴾﴾، ويقول تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴿٤٥﴾﴾ [ق].

ولقد جعل الله تعالى المقياس الصحيح للخوف والخشية، هو مراقبته تعالى في كل حال وفي كل زمان، فالله سبحانه وتعالى في الآية هذه وضّح أن الجم الغفير من البشر يركز على المظاهر، فتأمل قوله تعالى: ﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا

يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴿١٠٨﴾ [النساء].

وقد قيل إنها نزلت في رجل من المسلمين، يدعى (طعيمة بن أُبَيْرِق) وذلك أنه سرق درعاً ورماه في دار يهودي، وبيت في نفسه قولاً، وهو أنه سيحلف أنه بريء من سرقة الدرع فيصدقه المسلمون؛ لأنه على دينهم ولا يصدقون اليهودي..

هذا الشخص من الذين يخافون من الناس ويخشونهم، ولا يخافون من الله، وهو المطلع على جميع أحواله. والقصة مشهورة.

أهل الخشية لله سبحانه وتعالى:

الملائكة هم عباد لله مكرَّمون، أفضل الخلق على الإطلاق، وأكرمهم عنده، يخافون الله ويخشونه أشد خشية وأعظم خوف، يقول الله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴿٥٠﴾﴾ [النحل].

ولقد روي عن رسول الله ﷺ: ((إن لله ملكاً ما بين جنبيه خفقان الطير المسرع خمس مائة عام، وإنه ليتضاءل حتى يصير كالعصفور من خشية الله تعالى)، وفي حديث آخر: (إن لله ملكاً ما بين شقر عينيه مسيرة مائة عام...)) الحديث.

هذا هو خوف ملائكة الرحمن عليهم السلام فكيف حالنا نحن المساكين الضعفاء.

ويأتي بعد الملائكة في الخوف الأنبياء والرسل عليهم السلام قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب].

فالخوف لله والخشية له على قدر معرفة ذلك الشخص، فمن كان به أعرف كان له أخشى، وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر].

والأنبياء عليهم السلام يتصدرون بني البشر في هذا، يقول الله تعالى في حق نبينا وعظيمنا محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴿١٣﴾﴾ [الأنعام].

ولقد روت عائشة زوج الرسول الأعظم ﷺ: ((أن رسول الله ﷺ

كان إذا تغير الهواء، وهبَّت ريح عاصفة، يتغير وجهه، ويقوم ويتردّد في الحجرة ويخرج، كل ذلك خوفاً لله ومن عقابه)). ويروى أنه قرأ سورة الحاقة فغشي عليه.

ويروي أبو الدرداء أن إبراهيم خليل الرحمن كان يُسمع أزيز قلبه من مسيرة يوم خوفاً من ربه وقال مجاهد: بكى داود عليه السلام أربعين يوماً ساجداً حتى نبت المرعى من دموعه وحتى غطّى رأسه فنودي: يا داود أجائع فتُطعم أم ظمئان فتُسقى أم عار فتُكسى؟ فنحب نحبة هاج العود فاحترق جوفه فأنزل الله التوبة والمغفرة فقال: يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئتُه مكتوبةً في كفه، وكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيرهما إلا رآها فأبكته، ويقال أنه خرج يوماً الى الناس يعظهم ويخوفهم فخرج في أربعين ألفاً فمات ثلاثون الفاً فما رجع إلا في عشرة آلاف.

وكم.. وكم من الدروس في حياة الأنبياء عليهم السلام في باب الخشية والخوف.

ويأتي في الدرجة الثالثة أهل البيت النبوي عليهم السلام من أئمة آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلقد ضربوا أروع الأمثلة في هذا الباب، ولم يعبروا عنها تعبيراً فحسب، بل استشعروا الخوف والخشية في قلوبهم، واستصحبوا ذلك في جميع أعمالهم، وأبسط الأمثلة على ذلك هو ما ذكره الله في سورة (الإنسان) وما امتدح به الإمام أمير المؤمنين، وسيد الوصيين علي عليه السلام مع سائر أهل البيت عليهم السلام يقول تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا۝٧ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا۝١٠﴾ [الإنسان].

ومن المعلوم تاريخياً أن الإمام علي عليه السلام وصل إلى منزلة من الخوف والخشية لم يصلها أحد من الصحابة، وإننا عند التأمل في أدعيته ومواعظه وخطبه نكاد نقول: إن الخشية كل الخشية قد تغلغلت في صدر ذلك العملاق وقد شغفت قلبه.

وأولاده عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مشوا هذا الطريق، وشربت قلوبهم هذا الخوف والخشية لخالق الكون سبحانه.

ويأتي في الدرجة الرابعة في باب الخوف والخشية: العلماء الربانيون العاملون المخلصون، والأولياء المتقون: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۝٣٧﴾ [النور].

والتاريخ طافح بالمواقف والأمثلة على ذلك.

جزاء من اتصف بالخوف والخشية

إنه النجاح في الدنيا، والفلاح في الأخرة، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، فمن هذه الخيرات:

١ـ المغفرة والأجر الكبير، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٢﴾ [الملك].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١﴾ [يس].

٢ـ الفوز والنجاح، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝٥٢﴾ [النور].

٣ـ وراثة الأرض والاستخلاف، يقول تعالى: ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ۝١٤﴾ [إبراهيم].

٤ـ جنات عدن والخلود فيها، وجنتان من فضة، كما ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾ [الرحمن]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ۝٨﴾ [البينة].

٥ـ الثناء عليهم من جبار السموات والأرض، والبشرى لهم من الرحمن الرحيم، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ۝٣٤﴾ [الحج].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنبياء].

الوسائل التي تبعث على الخوف والخشية

١ـ استشعار عظمة الله، وقدرته التي ليس لها حد، وكذلك استشعار مقام نعمه النازلة علينا دائماً.

٢ـ تذكر النار وما فيها من العذاب الأليم، وتذكر الموت وسكراته، والحساب والمناقشة علىٰ كل صغيرة وكبيرة، وتذكر أهوال يوم القيامة، يوم مقداره خمسون ألف سنة.

٣ـ تذكر الآيات القرآنية، نحو قوله تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر:٢٢]، والويل واد في جهنم تعجز الألسنة عن وصف شدته وما اشتمل عليه من أصناف العذاب.

٤ـ محاسبة النفس في آخر ساعة من الليل محاسبة دقيقة صادقة، بعد أداء الصلاة والدعاء في هذا الوقت المبارك.

٥ـ الصوم فإنه وسيلة عظيمة مولدة للخوف والخشية من الله سبحانه وتعالىٰ.

٦ـ تذكر الجنة وما اشتملت عليه من النعيم الدائم، والأطعمة المختلفة، والفواكه الطيبة، والزوجات الحسان الحور العين وما شابه ذلك، ((وفيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر)).

نسأل الله الكريم أن يصلي علىٰ محمد وآله، ويرزقنا خشيته وخوفه، وأن يسكننا جنته، آمين رب العالمين.

مقام الشاكرين

إن شكر الله تعالىٰ واجب عقلاً وشرعاً، فهو سبحانه المنعم المتفضل، وكما هو واجب فهو سبب كبير للنجاة من العذاب، وله فوائد لا تحصىٰ، ونحن نعلم أن

الله تعالىٰ غني كل الغنىٰ، فلا تنفعه طاعة من أطاعه، ولا تضره معصية من عصاه وخالفه، يقول ـ عز وجل ـ في محكم كتابه: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء].

وعندما نتأمل في الآية الأخرىٰ نجد أن عدم الشكر لله كان السبب في انتشار الفساد، وجعله ظاهرة مستشرية في شتىٰ أنحاء الأرض، برها وبحرها، يقول الله تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم].

فإذا قام المسلم بهذا الواجب فشكر الله، فله المكاسب العظيمة في الدنيا والآخرة، يقول تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم].

والآن أخي القارئ كيف نقوم بهذا الواجب؟

بعد أن نعرف الله سبحانه وتعالىٰ، ونعرف ما له من الصفات العظيمة، صفات الكمال، وأيضاً ننزِّهه ـ عزّ وجل ـ من صفات النقص، صفات الحدوث والخلق، نتوجه بكل ما أعطانا سبحانه من الأعضاء، وما أعطانا من الإمكانيات المادية الأخرىٰ، في تحقيق ما يطلبه تعالىٰ منا، أعني العبادة الخالصة الكاملة، والقيام حق القيام بمقتضىٰ هذه الآية الكريمة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات].

الشكر اعتقاد بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح والأركان.

كم للقلب من أعمال، وكم للسان من أعمال، وكم العبادات اللفظية، والعبادات العملية الفعلية، فنستخدم الجميع في عبادة المنعم المتفضل سبحانه وتعالىٰ.

ونحن نعلم مع ذلك أن الله لو لم يُعطِنا ما أعطانا من هذه الأعضاء، ولو لم يحفظها ويرعاها من الآفات، ولولا الحياة والتمكين وغيرها لم نستطع أن نعمل شيئاً علىٰ الإطلاق.

فسبحان الله ما أعظمه، وما أكرمه، وما أرحمه بنا!

ومقام الشاكرين عظيم، فلقد روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: ((ينادي منادٍ يوم القيامة: ليقم الحمّاون، فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة، قيل: ومن الحمّادون؟ قال: الذين يشكرون الله على كل حال)).

ويقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((ليتخذ أحدكُم لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً)).

شكر الله مجالاته واسعة، فأداء الواجبات من شكر الله، والابتعاد عن المحرمات والانتهاء عنها من شكر الله، والقيام بالمستحبات من شكر الله، وطلبُ العلمِ الشريف الخالص كفيلٌ بأن يوصل صاحبه إلى مكانة رفيعة حتى يكون من الشاكرين لله تعالى.

ولنتأمل قوله تعالى في شأن النبي سليمان عليه السلام: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴿١٩﴾﴾ [النمل:١٩]، وقال تعالى: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴿٤٠﴾﴾ [النمل].

ولنتأمل في الحديث الشريف، الذي يرفعه الإمام الصادق عليه السلام، قال: ((إن الله تعالى منَّ على الناس بعدٍّ ثلاث: مَنّ عليهم بالدّابة تكون في الحَبِّ، فلولا ذلك ما كنزت الملوك غيرها، ومنّ عليهم بالسلوى بعد المصيبة، فلولا ذلك ما قَرُب ذكر أنثى ولا عُمِرت الدنيا، ومنّ عليهم بالريح المنتنة بعد الريح الطيبة، ولولا ذلك ما دفن حميمٌ حميماً)).

ومن شكر الله سبحانه وتعالى الشكر لذي الإنعام من بني البشر على صنيعه، فلقد روي: ((لا يشكر الله من لا يشكر الناس)) ومن هذا الشكر الثناء الحسن، والدعاء لهم بظهر الغيب، ولنتأمل الحديث النبوي الشريف الذي يُروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن لله أقواماً يخصهم بالنعم لمنافع العباد، ويُقِرُّها فيهم ما بذلوها، فإذا منعوها نَزَعها منهم، فحوّلها إلى غيرهم)).

والآن تعالوا معي لنكمل هذا الموضوع بالحديث عن الألفاظ المرادفة للشكر، من المدح والحمد..

فالذي يظهر من كتب اللغة: أن الحمد أعم الثلاثة؛ لأنه يطلق على الشكر وغيره، ويُحمد الفاعلُ المختار وغيرُه، ثم الشكر؛ لأنه مدح وزيادة، ثم المدح؛ لأنه لا يكون إلا باللسان، ولا يكون إلا على الفعل الاختياري(١).

وما ورد مما يوهم المدح على غير الأفعال الاختيارية فليس بمدح، وإنما هو وصف مستحسن يفيد بيان حال الموصوف في الجودة، لكن ربما ظن من لا تمييز له بين الأوضاع اللغوية أن ذلك مدح فيُقال دفعاً لهذا الظن. ها هنا ألفاظ ربما تلتبس بعض معانيها ببعض فيطلق أحدها على الآخر لعدم معرفة الفرق بينها، وهي: الوصف، والثناء، والحمد، والشكر، والمدح.

فأما الوصف: فيطلق على النعت، وعلى الإخبار عن الشيء بما يميزه، يقال: تواصفوا الشيء، إذا وصفه بعضهم لبعض، واستوصفه لدائه، إذا سأله أن يصف له ما يعالج به، وبيع المواصفة: بيع الشيء بصفة من غير رؤية للمبيع، وتطلق الصفة على الأعراض، كالعلم والسواد.

وأما الثناء: فهو الوصف بمدح أو ذم، أو خاص بالمدح.

وأما الحمد: فهو الشكر، والرضاء، والجزاء، وقضاء الحق، يقال: أَحمَدُ الأرضَ، وحَمِدَها أي صادفها حميدةً، وفلاناً رضي فعله ومذهبه ولم ينشره للناس، وحمد أمره صار عنده محموداً، ومنزل حَمْدٍ ـ أي محمود ـ والحمد ضد الذم.

وأما الشكر: فهو عرفان الإحسان ونشره، ولا يكون إلا عن يدٍ، ومن الله المجازاة والثناء الجميل، ونقيضه الكفران.

وأما المدح: فهو الثناء الحسن، وضده الذم، ومرادهم: أنه الثناء الحسن على

---

(١)- مفتاح السعادة: ج١/ ٥٥٣، وما بعدها.

الجميل الاختياري، وإنما حذفت هذه الزيادة للعلم بها.

ويدل على لزومها، وأنها مقصودة لأهل اللغة قول أمير المؤمنين علي عليه السلام للشامي الذي سأله عن القضاء والقدر من الدلالة على أنه لا يكون إلا على الأفعال الاختيارية، قال: ((لو كان ذلك كذلك، لبطل الثواب والعقاب ـ إلى أن قال ـ: ولم يكن المحسنُ أولى بالمدح من المسيء ولا المسيء أولى بالذم من المحسن)).

والعلامة الزمخشري نقل عن المحققين تخطئة مَنْ مَدَحَ على غير الفعل الاختياري، وقضاء العقل بعدم حسن ذلك.

وهذه المعاني التي حكيناها لهذه الألفاظ مأخوذة من الكتب المعتبرة في اللغة، كالقاموس، والصحاح، ومختار الصحاح، وغيرها.

فإن قيل: فما تقولون فيما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: ((اطلبوا الخير عند حسان الوجه))؟

قيل: المراد بحسن الوجه: البِشْرُ عند الطلب، وقد فسره بهذا ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فقد روي أنه قيل له: كم من رجل قبيح الوجه قضّاء للحاجة؟ فقال: إنما يعني حسن الوجه عند طلب الحاجة.

والحديث ذكره السيوطي في الجامع الصغير، وعزاه إلى البخاري في التاريخ، وابن أبي الدنيا في (كتاب قضاء الحوائج) وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والطبراني في (الكبير)، كلهم عن عائشة.

وإلى الطبراني في (الكبير) والبيهقي في (الشعب) عن ابن عباس، وابن عدي، عن ابن عمر، وابن عساكر، عن أنس، والطبراني في (الأوسط) عن جابر، وتـمّام في (فوائده) والخطيب في رواية مالك عن أبي هريرة، وأخرجه تـمّام ـ أيضاً ـ عن أبي بكرة.

هذا وقد دل كلام أهل اللغة، على: أن الحمد قد يكون بمعنى المدح ـ وهو ما تضمن الثناء ـ وقد لا يكون بمعناه وهو حيث لم يتضمن ثناءً.

والظاهر: أن جميع معانيه المذكورة لائقة بالباري سبحانه وتعالى، أما ما كان بمعنى الشكر، والجزاء، وقضاء الحق فواضح، إذ هي في الحقيقة كلها راجعة إلى معنى الشكر، والعبادة لله تعالى.

والجزاء بمعنى المكافأة، وقضاء حقه تعالى بمعنى أداء ما يجب له مما يقضي به العقل والشرع كما تقدم.

وقد ورد في حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((الحمد لله رب العالمين، حمداً يوافي نعمه، ويكافي مزيده)).

وقال علي عليه السلام: (ونحمدُهُ على عظيم إحسانه..) إلى قوله عليه السلام: (حمداً يكون لحقه قضاءً، ولشكره أداءً) وهو في (نهج البلاغة) وكلها دالة على التعظيم، وكذلك ما كان بمعنى الرضا، قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة:١١٩].

نسأل الله سبحانه وتعالى أن نكون قائمين بهذا الواجب العظيم، والمقام المشهود، آمين.. آمين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين.



الدرس الثلاثون

النار وجحيمها والجنة ونعيمها*

أيها القارئ الكريم.. إنها النارُ، وما أدارك ما النار؟

في كتاب (الاعتبار وسلوة العارفين)[١] للإمام الموفق بالله الحسين بن إسماعيل الجرجاني عليه السلام: أبو سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: ((لما خلق اللّه الجنة، قال لجبريل عليه السلام: اذهب، فانظر إليها فنظر إليها. فقال: لا يسمع بها أحد إلا دخلها. ثم حَفَّها بالمكاره. ثم قال: اذهب، فانظر إليها فنظر. فقال: يا رب، وعزتك، لقد خشيت أن لا يدخلها أحد. فلما خلق اللّه النار. قال: اذهب، فانظر إليها. فقال: لا يسمع بها أحد فيدخلها، ثم حَفَّها بالشهوات. وقال: اذهب، فانظر إليها. فقال: يا رب، وعزتك، لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها)).

النار .. حالها أعظم من أن يوصف، وعذابها أكبر من أن يكيف، فبينما أهل الإجرام والآثام في المحشر على ما أصابهم من تلك النكالات إذ غشيتهم ظلمات ذات شعب، وأظلت عليهم نار ذات لهب، وسمعوا لها زفيراً وجرجرة، تفصح عن شدة الغيظ والغضب، فأيقن المجرمون عند ذلك بالعطب، وجثت الأمم على الركب، وخرج المنادي من الزبانية قائلاً: أين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل، المضيع عمره في سوء العمل؟ فيبادرونه بمقامع من حديد، ويسوقونه الى العذاب الشديد.

يقول الله تعالى في كتابه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۝١٨٥﴾ [آل عمران].

(*) الدليل إلى الخوف والخشية من الجليل: ٢٥-٤٧

(١) الاعتبار وسلوة العارفين: ص (٤٨٨) برقم (٤٠٩).

قال المسيح عليه السلام: (ذكر الخالدين قطّع قلوب الخائفين). وقال ثابت البناني: بلغني: (أنه ما من قوم جلسوا فيقومون قبل أن يسألوا الله الجنة، ويتعوذوا بالله من النار، إلا قالت الملائكة: مساكين أغفلوا العظيمين).

فكيف بك لو نظرت اليهم وقد اسودت وجوههم أشد سوادٍ من الحميم، وأعميت أبصارهم، وأبكمت ألسنتهم، وقصمت ظهورهم، وكسرت عظامهم، وجدعت آذانهم، ومُزّقت جلودهم، وغلّت أيديهم الى أعناقهم، وجمعت بين نواصيهم وأقدامهم، وهم يمشون في النار على وجوههم ويطؤون حسك الحديد بأحداقهم، فلهب النار سارٍ في بواطن أحداقهم، وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم فهذه جملة أحوالهم على جهة الإجمال فيما يتصل بهم من النكال.

حال أهل النار في النار[1]

إن كل ألوان العقاب، وكل أصناف البلايا لا تساوي شيئاً أمام عذاب جهنم، يقول الإمام الصادق عليه السلام: ((إن أهون الناس عذاباً يوم القيامة لرجل في ضحضاح من نار عليه نعلان من نار وشراكان من نار يغلي منها دماغه كما يغلي المرجل ما يرى أن في النار أحداً أشد عذاباً منه، وما في النار أحد أهون عذاباً منه)) وروي: ((إن الشمس صخرة واحدة من صخور جهنم)).

والمتأمل يجد إن درجة حرارة الشمس تقدّر على سطح الشمس بنحو ستة آلاف درجة مئوية وتقدّر درجة حرارتها في باطن الشمس بعشرين مليون درجة مئوية والحديد كما هو ثابت في علم الفيزياء ينصهر ويذوب عند درجة ألف وخمسمائة درجة مئوية.

فإذا كان الحديد مع صلابته وقوته يذوب عند درجة ألف وخمسمائة درجة

---

(١) - الدليل إلى الخوف والخشية من الجليل: ٢٥-٤٧.

مئوية، وحرارة الشمس الباطنة تقدّر بعشرين مليون درجة مئوية وهي عبارة عن صخرة واحدة، عن لبنة واحدة من لبن جهنم إذن كيف حال جهنم؟ الشرر كالقصر المرتفع، والجبل الشاهق.

يقول الإمام علي عليه السلام في صفة النار وأهلها: (وألبسهم سرابيل القطران، ومقطعات النيران في عذاب قد اشتد حره، وباب قد أطبق على أهله في نار لها كَلَبَ ولجب ولهيب ساطع وقصيف هائل لا يظعن مقيمها ولا يفادي أسيرها ولا تفصم كبولها، لا مدة للدار فتفنى ولا أجل للقوم فيقضى).

ويقول عليه السلام في وصفها: (فاحذروا ناراً قعرها بعيد، وحرها شديد، وترابها صديد، وعذابها جديد، ومقامعها حديد، لا يفتر عذابها، ولا يموت ساكنها، دار ليس فيها رحمة، ولا تسمع لأهلها دعوة).

وقال المولى العلامة، شرف الإسلام، والمصلح المرشد العظيم، مثال الورع والزهد، سيدي الحسين بن يحيى الحوثي رحمه الله شعراً ضمن قصيدة مؤثرة:

وحاذر النار إن النار داهية
ولا يحيط بها وصف وتقدير

تشوي اللحوم وروحُ العبد باقية
ثمت يعود لها لحم وتسعير

وكلما نضجت فالله مبدلها
حتى تذوق من التعذيب تكرير

كل الشرور حوتها فهي حافلة
وليس في شرحها يحتاج تفسير

ولا لها أمد حتى يحاط به
ولا لتسعيرها نقص وتفتير

فحقها أن يموت الخلق أجمعهم

لـــذكر شـــدتها حتـــى العصـــافير

وأقصـــد إلى صرفهـــا ربًّـــاً فقـــد نزلـــت

في صرفهـــا طـــرق مـــثلى وتـــدبير

قـــد أوضـــح الله في فرقانـــه ســـبلاً

وكـــم أتـــى فيـــه للإنســـان تحـــذير

وتـــب إلى الله مـــن كـــل الـــذنوب ففـــي

صـــدق الإنابـــة للإجـــرام تكفـــير

لـــو كنـــت تعصـــى إلهـــك كـــل معصـــية

فكـــل ذنـــب لمـــن قـــد تـــاب مغفـــور

كـــن تائبـــاً أبـــداً مـــن كـــل معصـــية

حتـــى يكـــون لهـــا محـــو وتطهـــير

مســـتغفراً عـــاملاً للخـــير مجتهـــداً

ففاعـــل الخـــير مشـــكور ومـــأجور

تلـــق إلهـــك في أمْـــن وفي ســـعة

وكـــل عـــاص فمفـــزوع ومثبـــور

وقد ذكر الإمام الزاهد، عماد الإسلام، يحيى بن حمزة عليه السلام في كتابه (تصفية القلوب)[1] تفصيلاً لبعض ما عليه أهل النار، أعاذنا الله منها، وما هو طعامهم والشراب؟

حيث قال عليه السلام: (وتفاصيل النكالات الحاصلة إليهم لا يعلم كنهها إلا الله تعالى، لكنا نشير منها إلى أنواع عشرة:

(١)- تصفية القلوب من درن الأوزار والذنوب: ٦٠٥-٦٠٧.

النوع الأول:

أمكنة النار: فهي درجات بعضها فوق بعض، فالأعلىٰ جهنم، ثم لظىٰ، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم الجحيم، ثم الهاوية.

قال رسول الله ﷺ: ((إن في جهنم سبعين ألف واد، في كل واد سبعون ألف شعب، في كل شعب سبعون ألف ثعبان، وسبعون ألف عقرب، لا ينتهي المنافق والكافر حتىٰ يواقع ذلك كله))، وقال ﷺ: ((تعوذوا بالله من جُبّ[1] الحزن، قيل: يا رسول الله وما جب الحزن؟ قال: واد في جهنم، تتعوذ منه جهنم في كل يوم سبعين مرة، أعدّه الله للقراء المرائين)).

النوع الثاني:

طعامهم هو الزقوم، قال الرسول ﷺ: ((لو أن شيئاً من الزقوم أخرج الىٰ الدنيا لأفسد علىٰ أهل الدنيا معاشهم))، وقال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ۝٦ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ۝٧﴾ [الغاشية].

وقال تعالىٰ: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ [المزمل:١٣].

النوع الثالث:

شرابهم: هو الغساق، وهو الصديد الذي يسيل من أبدانهم، قال الرسول ﷺ: ((لو أن دلواً من غساق أهل جهنم ألقي في الدنيا لأنتن أهل الأرض)) والصديد في قوله تعالىٰ: ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ۝١٦﴾ [إبراهيم].

والمهل: في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ [الكهف:٢٩].

(١) قال في (مختار الصحاح): ج ب ب ـ الجُبّ: البئر التي لم تطو. قلت: معناه: لم تُبْنَ بالحجارة.

النوع الرابع:

الجوع: قال رسول الله ﷺ: ((يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالشراب والطعام، فأما الطعام فيرفع إليهم الزقوم بكلاليب من نار حديد، فإذا دنى من وجههم شوى وجههم، فإذا دخل بطونهم قطع أمعاءهم، كما حكى الله تعالى: ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ۝١٥﴾ [محمد]، وأما الشراب فهو الحميم، كما قال تعالى: ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ۝٥٤﴾ [الواقعة].

النوع الخامس:

حيّات النار وعقاربها: قال الرسول ﷺ: ((إن في النار لحيّات مثل أعناق البخت، يلسعن اللسعة الواحدة، فيجد حموتها أربعين خريفاً)).

النوع السادس:

تعظم أجسادهم: فإن الله تعالى يزيد في أجسادهم طولاً وعرضاً، حتى يعظم عقابها بلسع العقارب والحيات ولفح النار، قال الرسول ﷺ: ((ضرس الكافر في النار مثل أحد، وغلظ جسده مسيرة ثلاث)).

النوع السابع:

البكاء: الشهيق والعويل الذي لا ينفع، قال الرسول ﷺ: ((يرسل على أهل النار البكاء، حتى تنقطع الدموع، ثم يبكون الدم حتى يجري في وجوههم كهيئة الأخاديد، حتى لو أرسلت فيه السفن لجرت)).

وما دام يؤذن لهم في البكاء والعويل، والشهيق، والزفير، والدعاء بالويل والثبور فلهم فيه مستروح، ولكنهم يمنعون من ذلك.

النوع الثامن:

الحسرة العظيمة بفوات الجنة ونعيمها: قال الرسول ﷺ: ((يؤتى يوم

القيامة بناس من أهل النار إلى الجنة، حتى إذا دنوا منها واستنشقوا ريحها، ونظروا إلى قصورها، والى ما أعد الله لأهلها فيها، فتصرف وجوههم عنها، فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون بمثلها)).

النوع التاسع:

القيود في أرجلهم، والسلاسل في أعناقهم، والأغلال يسحبون في النار على وجوههم، قال الله تعالى: ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝٤٩﴾ [ص]، وقال سبحانه: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ۝٧١﴾ [غافر].

النوع العاشر:

اللباس: قال الله تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ۝٥٠﴾ [إبراهيم]، وإنما قال من قطران لأن النار إلى القطران أسرع ما يكون وأشد حراً.

فهذه أوصاف جهنم على الجملة، وتفصيل غمومها وأحزانها ومحنها وحسراتها لانهاية لها، وقد قال رسول الله ﷺ: ((يؤتى يوم القيامة بكبش أملح فيذبح بين النار والجنة، ثم يقال: يا أهل النار خلود ولا موت، ويا أهل الجنة خلود ولا موت)) وقال الله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ۝٢١﴾ [إبراهيم].

أخي المؤمن أتدري لمن ذلك العذاب؟

إنه للعصاة والمجرمين والمعاندين والفاسقين قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝٢٠﴾ [السجدة].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ۝٢٢ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ۝٢٣ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥ جَزَاءً وِفَاقًا ۝٢٦ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ۝٢٨ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ۝٢٩ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾ [النبأ].

وأصحاب النار هم أصحاب الشمال الذين قال الله فيهم: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ۝٤١ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ۝٤٢ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ۝٤٣ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ۝٤٤ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ۝٤٥ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ۝٤٦ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ۝٤٧ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ۝٤٨ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ۝٥٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ۝٥١ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ۝٥٢ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ۝٥٣ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ۝٥٤ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ۝٥٥ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ۝٥٦﴾ [الواقعة].

جنة عرضها السموات والأرض

الكلام عن الجنة وأوصافها يطول شرحه ولا نستطيع أن نفي ولو بقليل منه وفيها كما قال الرسول ﷺ: ((ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)).

ولنتأمل هذه الآيات المباركة، قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ۝٧٣ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ۝٧٤ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ۝٧٥﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ۝٤٠ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ۝٤١ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ۝٤٢ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ۝٤٣ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ۝٤٤ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ۝٤٥ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ۝٤٦ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ۝٤٧ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ۝٤٨ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ۝٤٩﴾ [الصافات].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ

يُحْبَرُونَ﴿١٥﴾ [الروم].

وقال الإمام الموفق بالله عليه السلام في كتاب (الاعتبار وسلوة العارفين): أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((ينادي منادي في الجنة: آن لكم أن تحيوا فلا تموتوا، وآن لكم أن تصحوا فلا تسقموا، وآن لكم أن تشبُّوا فلا تهرموا أبداً، وآن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً، فذلك قول اللّه عز وجل: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف])).

علقمة، عن عبد الله، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: ((يسطع نور من الجنة، فيرفعون رؤوسهم، فإذا هو حوراء ضحكت في وجه زوجها)).

وعن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((الجنة مائة درجة ما بين كل درجة خمسمائة عام)).

وعن أبي وائل، عن عبد الله، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إنَّ الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك)).

وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: ((يبعث أهل الجنة على صورة آدم عليه السلام في ميلاد ثلاثة وثلاثين سنة، جرداً مرداً، مكحلين، ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة، فيلبسون منها ثياباً، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم)).

أبو سعيد، قلت: يا رسول اللّه، أيولد لأهل الجنة؟

فقال: ((والذي نفسي بيده، إن الرجل ليتمنى أو ليشتهي أن يكون له ولد، فيكون حمله ووضعه وشبابه الذي ينتهي إليه، في ساعة واحدة)).

وعن عبد الله، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إنك لتنظر إلى الطير في الجنة، فيخر بين يديك مشوياً)).

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إنَّ في الجنة لغرفاً يرى بطونها من ظهورها، وظهورها من بطونها)).

فقيل: لمن هي يا نبي الله؟

قال: ((لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلَّى والناس نيام)).

و قال رسول اللّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((لو أنَّ امرأة من نساء أهل الجنة أشرفت إلى الأرض، لملأت الأرض بريح المسك، ولأذهبت ضوء الشمس والقمر)).

ولنكتفي بما أورده الإمام يحيى بن حمزة عَلَيْهِ السَّلَامُ في كتابه (تصفية القلوب)(١) فقد ذكر أوصاف الجنة جملةً ثم مفصلةً، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: (فاعمل فكرك في أهل الجنة، فتجدهم كما حكى الله: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ [المطففين].

جالسين على منابر من الياقوت الأحمر، في خيام من اللؤلؤ الرطب الأبيض، فيها بسط من العبقري الأخضر، ومتكئين على أرائك منصوبة، على أطراف الأنهار المطردة بالخمر والعسل، محفوفة بالغلمان والولدان، مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان، إذا اختالت إحداهن في مشيها حمل أعطافها سبعون ألفاً من الولدان، عليها من طرائف الحرير الأبيض ما تتحير فيه الأبصار، مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان، شكلات غنجات، عطرات أمنات من الهرم والبؤس، مقصورات في قصورهن من الياقوت الأحمر بنيت في وسط روضات الجنان، قاصرات الطرف كأنهن بيض مكنون، ويطوف عليهم ولدان مخلدون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاءً بما كانوا يعملون، في مقام أمين، في جنات وعيون، في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ينظرون فيها الى رحمة الملك الكريم وقد أشرقت في وجوههم نظرة النعيم، لا ترهق وجوههم قتر ولا ذلة، بل عباد مكرمون، وبأنواع الترفه والتحف يتعهدون، وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون، لا يخافون ولا يحزنون، وهم عن ريب المنون آمنون، فيها يتنعمون، ويأكلون من أطعمتها، ويشربون من أنهارها لبناً وخمراً وعسلاً، أرضها فضة، وحصباؤها مرجان، وعلى أرض ترابها مسك أذفر، ونباتها زعفران، ويمطرون من سحائب فيها

(١) تصفية القلوب: ٦٠٩-٦١٦.

من ماء النسرين على كثبان الكافور.

ويؤتون بأكواب وأي أكواب، أكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان، كوب فيه من الرحيق المختوم، ممزوج بماء السلسبيل العذب، وكوب يشرق نوره من ضياء جوهره، يبدو الشراب من ورائها لرقته وحمرته، لم يصغه أدمي فيقصر في تسوية صنعته، وتحسين صناعته، في كف خادم يحكي ضياء وجه الشمس في إشراقها، ولكن أين الشمس من حلاوة صورته، وحسن أصداغه وملاحة أحداقه.

فيا عجباً لمن يؤمن بهذه الدار التي وصفناها، ويوقن أنه لا يموت أهلها، ولا تحل الفجائع فيها ثم ينزل بفنائها، ولا ينظر الأحداث بعين التغيير الى أهلها، كيف قد أُنس بدار قد أذن الله بخرابها، ويهنأ بعيش دونها، والله لو لم يكن فيها إلا سلامة الأبدان مع الأمن من الخوف والجوع والعطش، وسائر أصناف الحدثان، لكان جديراً بأَن يهجر الدنيا بسببها، وألا يؤثر عليها دار التصرم والتنغيص من ضروبها، فكيف وأهلها ملوك أمنون، وفي أنواع السرور ممتعون، لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون، في كل يوم بفناء العرش يحضرون، وإلى رحمة الله وثوابه ينظرون، وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم يترددون، ومن زوال النعم أمنون، لا يمسهم فيها نصب، وما هم منها بمخرجين).

ثم أورد عليه السلام: (ينادي مناد....) الحديث السابق، ثم قال عليه السلام: (فهذا بيان وصفها قد أشرنا إليه على جهة الإجمال...).

ثم قال عليه السلام: (فتأمل في عدد الجنان فهي كثيرة: جنة الفردوس، وجنة المأوى، وجنة عدن، وجنة الخلد، وجنة النعيم، وفي قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ۝٤٦﴾ [الرحمن]، جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما.

ونحن الآن نشير الى تفاصيل نعيمها، ونشير الى أصناف عشرة:

الصنف الأول: في صفة أبواب الجنة وهي كثيرة بحسب أصول الطاعات،

فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، وإن فعل هذه الطاعات كلها دعي منها كلها، وهي ثمانية، وأبواب النار سبعة.

الصنف الثاني: حيطانها، وقد قال ﷺ: ((إن حائط الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، ترابها زعفران، وطينها مسك))، وسئل رسول الله ﷺ عن تراب الجنة؟ فقال: ((دَرْمَكَةٌ بيضاء مسك خالص)).

الصنف الثالث: أشجارها وأنهارها، قال رسول الله ﷺ: ((أنهار الجنة تنفجر من تحت قلال أو من تحت جبال المسك)).

وقال أبو هريرة: إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام، اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ۝٣٠﴾ [الواقعة]، وفي قوله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ۝٢٨﴾ [الواقعة]، أي يخضد الله شوكها، فيجعل مكان كل شوكة ثمرة، ثم انفتق الثمر عن اثنين وسبعين لوناً ما فيها لون يشبه الآخر.

الصنف الرابع: لباس أهل الجنة، قال الله تعالى: ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ۝٥٣﴾ [الدخان]، وقال سبحانه: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝٢٣﴾ [الحج].

وقال عز وجل: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ۝٧٦﴾ [الرحمن]، وقال رجل: أخبرنا يا رسول الله عن ثياب أهل الجنة أخلق تخلق أم نسيج تنسج؟، فسكت رسول الله ﷺ وضحك بعض القوم، فقال رسول الله ﷺ: ((مم تضحكون؟ من جاهل يسأل عالماً ـ ثم قال رسول الله ﷺ ـ: بل ينشق من ثمرة الجنة من بين أكمامها وينفتح عنها)).

الصنف الخامس: حلية أهل الجنة، قال الله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [الحج]، قال الرسول ﷺ: ((إن عليهم التيجان، إن أدنى لؤلؤة تضيء ما بين المشرق والمغرب)) وقال ﷺ: ((من يدخل الجنة ينعم ولا ييأس، ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه، وفي الجنة مالا عين رأت، ولا أذن

سمعت، ولا خطر على قلب بشر)).

الصنف السادس: فرشهم وسرورهم وأرائكهم وخيامهم، قال الله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾[الواقعة].

وقال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية]، وقال تعالى:﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن].

وقال ﷺ: ((ما بين الفرشين كما بين السماء والأرض))، وقال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [الكهف]، وقال تعالى: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن].

قال ابن عباس: الخيمة درة مجوفة، فرسخ في فرسخ، لها أربعة ألاف مصراع من ذهب، وفي حديث آخر: ((الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً، في كل زاوية للمؤمن أهل لا يرون الآخرين)).

الصنف السابع: طعام أهل الجنة، قد ذكره الله تعالى في كتابه الكريم كقوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان]، وقال تعالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة]، وقال تعالى: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة: ٢٥].

وقال الرسول ﷺ: ((تحفة أهل الجنة عند دخولهم الجنة زائدة كبد الحوت، وغذاؤهم ثور الجنة التي كان يأكل من أطرافها)) وقال رسول الله ﷺ: ((إن الرجل من أهل الجنة لينظر الى الطير في الجنة فيشتهيه، فيخر بين يديه مشوياً، وما يأكلونه من الطعام فإنه يكون عرقاً يفيض من جلودهم مثل المسك)).

وقال عبدالله بن عمر في قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الزخرف]. قال: يطاف عليهم بسبعين صحيفة من ذهب، كل صحيفة فيها لون غير الآخر.

الصنف الثامن: شرابهم، وهو كما قال الله تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد:١٥]، وقال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص].

وقال تعالىٰ: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ [المطففين] ، وقال تعالىٰ: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧)﴾ [المطففين]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (١٨)﴾ [الإنسان]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥)﴾ [الإنسان].

وقال أبو الدرداء: في قوله تعالىٰ: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ [المطففين:٢٦]، قال: هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم، لو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها، لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها.

الصنف التاسع: صفة الحور العين والولدان، وهم كما حكىٰ الله تعالىٰ: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢)﴾ [الرحمن]، وقال تعالىٰ: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (٥٨)﴾ [الرحمن]، وقال تعالىٰ: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨)﴾ [الصافات].

وقال الرسول ﷺ: ((لو أن امرأة من أهل الجنة أُطْلِعت علىٰ الأرض لأضاءت وملأت ما بينهما ريحاً، ولبصقتها خير من الدنيا وما فيها))، وقال ﷺ في قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (٥٨)﴾ [الرحمن]، قال: ((ينظرُ إلىٰ وجهها في خدرها أصفىٰ من المرآة، وإن أدنىٰ لؤلؤة عليها لتضيء بين المشرق والمغرب، وإنه يكون عليها سبعون ثوباً، ينفذها بصره حتىٰ يرىٰ مخ ساقها من وراء ذلك)).

وقال الرسول ﷺ: ((لما أسري بي دخلت موضعاً يقال له البندح، عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر، فقلن: السلام عليك يا رسول الله، فقلت: يا جبريل ما هذا النداء؟ فقال: هؤلاء المقصورات في الخيام استأْذن ربهن في السلام عليك فأْذن لهن، فطفقن يقلن: نحن الراضيات فلا نسخط أبداً، ونحن الخالدات فلا نظعن أبداً، وقرأ رسول الله ﷺ: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢)﴾ [الرحمن])).

وقال مجاهد: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة]، قال: من الحيض والغائط، والبول والبزاق، والنخامة والمني، والولد، وقال الأوزاعي: قوله

تعالى: ﴿فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ [يس]، أراد أن شغلهم كان في افتضاض الأبكار.

الصنف العاشر: في بيان جمل من أوصاف أهل الجنة، قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: ((ألا هل مشمر للجنة إن الجنة لا نظير لها؟ وهي ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وفاكهة كثيرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة في خير ونعمة في مقام أبداً، ونظرة في دار عالية، قالوا: نحن المشمرون لها، قال: قولوا إن شاء الله)).

وجاء رجل إلي فقال: يا رسول الله هل في الجنة خيل فإنها تعجبني؟ قال: ((إن أحببت أتيت بفرس من ياقوتة حمراء فتطير بك في الجنة حيث شئت)) وجاء رجل، وقال: هل في الجنة إبل، فإن الإبل تعجبني؟ فقال: ((يا عبد الله إن دخلت الجنة فلك منها ما اشتهيت ولذت عيناك)).

وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم، واثنتان وسبعون زوجة، وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد، وياقوت كما بين الجابية وصنعاء، وإن عليهم التيجان، وإن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب)).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن في الجنة حوراء يقال لها: العيناء، إذا مشت مشى حولها سبعون ألف وصيفة، وهي تقول: أين الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر))، وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن في الجنة لياقوتة فيها سبعون ألف دار، في كل دار سبعون ألف بيت، ليس فيها صدع ولا نقب)). فهذا ما أردنا ذكره في صفات الجنة وأهلها على جهة الإجمال والتفصيل، والله أعلم. انتهى.

اللهم صل على محمد وآله، ونسألك الجنة ما يقرب إليها من قول وعمل ونية، ونستعيذ بك يا رب من النار وما يقرب إليها من قول وعمل ونية، آمين.. آمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين الميامين.

الدرس الواحد والثلاثون

(وقفات وتأملات) [١]

في كتاب (الاعتبار وسلوة العارفين)[٢] للإمام الموفق بالله الحسين بن إسماعيل الجرجاني عليه السلام: ((في بعض مواعظ أهل البيت عليهم السلام: أنَّ رجلاً جاءه ـ أي جاء إلى الإمام أمير المؤمنين، وسيد الزاهدين، ورائد الخاشعين، علي بن أبي طالب عليه السلام ـ فقال: يا أمير المؤمنين، عظني؟ فقال: ((لا تكن ممَّن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخر التوبة لطول الأمل، يقول في الدنيا قول الزاهدين، ويعمل فيها عمل الراغبين، إن أعطي منها لم يشبع، وإن منع لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي، ينهى ولا ينتهي، ويأمر ولا يأتمر، يحب الصالحين ولا يعمل بعملهم، ويبغض الظالمين وهو منهم، ويكره الموت لكثرة ذنوبه، ويقيم على ما يكره الموت له، إن مرض ظل نادماً، وإن صح أمن لاهياً، يعجب بنفسه إذا عوفي، ويقنط إذا ابتلي، تغلبه نفسه على الظن، ولا يغلبها على ما يستيقن، لا يثق من الدنيا على ما ضمن له، ولا يعمل من العمل بما فرض عليه، إن استغنى بطر، وإن افتقر قنط ووهن، فهو من الذنب والنقمة موقراً يبتغي الزيادة ولا يشكر، يتكلف من الناس ما لم يؤمر، ويضيع من نفسه ما هو أكبر، يبالغ إذا سئل، ويقصر إذا عمل، يخشى الموت ولا يبادر الفوت، يستكثر من معصية غيره ما يستقل أكبر منه في نفسه، ويستكثر من طاعته ما يحتقره من غيره،

---

(١) معظم الدرس مقتبس من كتاب (الوافد على العالم) مستقل، وهو مطبوع ـ أيضاً ـ ضمن (مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي [١٦٩-٢٤٦]. من هو الوافد؟ ومن هو العالم؟ سوف نترك الإجابة للمولى الحجة شيخ الإسلام، وإمام أهل البيت الكرام، العلامة مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي عليه السلام، حيث قال في كتابه (لوامع الأنوار): ((المشهور أن الوافد: قاموس آل محمد، محمد بن القاسم، والعالم: والده نجم آل الرسول القاسم بن إبراهيم، عليهم السلام أجمعين، وهو كتاب من جوامع العلم، وسواطع الحكم، كله سؤال من الوافد، وجواب من العالم)).

(٢) الاعتبار وسلوة العارفين: ٥٧٥.

فهو على الناس طاعن، ولنفسه مداهن، اللغو مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقراء، يحكم لنفسه على غيره، ولا يحكم عليها لغيره، وهو يُطاع ويعصي ويستوفي ولا يوفِّي)).

قال العالم: كيف تعرف نفسك؟

قال الوافد: أعرف حدثها، وأعرف صنعها، وأعرف عجزها، فأجهدها في طاعة ربها، وأحملها على الخوف بحالها واحتمال الأذى، وأحثها على الطلب لما فيه نجاتها، وأصرفها من الكذب إلى الصدق، ومن الطمع إلى الورع، ومن الشك إلى اليقين، ومن الشرك إلى الإخلاص، وأخرجها من محبوبها في الدنيا، وأريضها في السفر حتى تنال كرامة الله في الآخرة.

[ثم] قال العالم: فكيف عرفت دنياك؟

قال الوافد: عرفت فناها وتقلُّبَها وغدرها وخدائعها فحذرتها، ونظرت وميزت، فإذا الدنيا تغر طالبها، وتقتل صاحبها، تفرق ما جمع، وتغير ما صنع، فعرفت أنها تفعل بي كما فعلت بالأولين.

[ثم] قال العالم: فكم الناس؟

قال الوافد: أربعة: واحد فيه خير وشر، والثاني شر بلا خير، والثالث خير بلا شر، والرابع لا خير فيه ولا شر.

قال العالم: فما هم بعد ذلك؟

قال الوافد: نُبُلٌ وَسُفْلٌ، فلا النبل لهم قدر عند السفل، ولا السفل لهم قدر عند النبل.

قال العالم: فكم الكلام؟

قال الوافد: أربعة: خطاب، وجواب، وخطأ، وصواب.

[ثم] قال العالم: فما أعظم الأشياء؟

قال الوافد: معرفة الله على الحقيقة، وهي: توحيد، وتعديل، وتصديق، وذكر على كل حال، في الليل والنهار.

قال العالم: فما أفضل الأشياء؟

قال الوافد: أفضل الأشياء: طلب العلم من العلماء، حتى يعرف الطالب الحق فيعمل به، فمتى زَهَرَ مصباح الهدى في قلبه أخلص العمل والنية الصادقة، وأنطقه الله بالحكمة.

قال العالم: فما أخبث الأشياء؟

قال الوافد: الجهل؛ لأن الجهل الهلاك والعطب، والجاهل إذا أراد أن يصلح شيئاً أفسده بجهله، وقلة علمه، وهو يجلب جميع الآفات، ويتولد منه الكبر، والطمع، والحسد، والحرص، والشهوة، والبخل، والسخرية.

قال العالم: فما أقبح الأشياء؟

قال الوافد: اللغو الضَّرِر(١)، والغيبة، والنميمة، والخيانة، والكذب، والزنا، والرياء، وحب المدح، وحب الفاسق، وصحبة المنافق، وسوء الظن.

قال العالم: فما أدنس الأشياء؟

قال الوافد: سؤال الناس، ومقاربة الأنجاس، والثقة بِخُمل الناس، ومفارقة الأكياس.

قال العالم: فما أنفع الأشياء؟

قال الوافد: حسنة تكون بعشر أمثالها.

قال العالم: وما هي هذه الحسنة؟

قال الوافد: هي أن تطعم أخاك المسلم من جوع، أو تكسوه من عري، أو تقضي عنه ديناً، أو تفرّج عنه غماً، أو تكشف عنه هماً، فمن فعل هذه لأخيه

---

(١) – اللغو الضرر: صيغة من صيغ المبالغة للغو، أو بدل منه، أو بيان له.

المسلم جاء يوم القيامة ولوجهه نور يضيء مثل نور القمر، وتلقته الملائكة بالبشارة، ودخل الجنة آمناً، وأعطاه الله من الثواب ما لا يصفه واصف، ولا يحيط بمعرفته عارف.

قال العالم: فما أمرّ الأشياء؟

قال الوافد: سيئة يتبعها سيئة، ولا يكون عليها ندامة، ولا يرجع صاحبها إلى توبة.

قال العالم: فما أطيب الأشياء؟

قال الوافد: العافية مع المعرفة، ووضع الأشياء في مواضعها، ومجالسة العلماء، ومدارسة الحكماء، وحضور مجالس الذكر، والتفكر في الصنع، والمبادرة في أعمال البر، وصلاح ذات البين، والتجهز للرحلة، والاستعداد للموت.

قال العالم: فما أهول الأشياء، وأعظمها فزعاً؟

قال الوافد: إذا نفخ في الصور، وبعثر من في القبور، واجتمع الخلائق إلى الموقف المتضايق، فهنالك الفزع العظيم، والخطب الجسيم، وكل واحد منهم يقول: نفسي نفسي، لا يسأل في ذلك اليوم والد عن ولده، ولا ولد عن والده، ولا أخ عن أخيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدثر].

قال: فلما انتهى الكلام بالعالم والوافد إلى هذا الحد، عرف العالم أن الوافد حسن المعرفة، جيّد الفطنة، رصين الدين، صحيح اليقين، متين الورع، كثير الفزع، أقبل عليه العالم بوجهه، وقال: أيها الوافد الصالح، والتاجر الرابح، والخليل الناصح: اسأل عما تحب يرحمك الله [ثم سأل الوافد أسئلة عن المعرفة وعن الإيمان وغير ذلك].

[ثم] قال الوافد: فما وراء ذلك؟

قال العالم: الإسلام، هو: أن تسلم للذي آمنت به.

ومن الإسلام أن تسلم كليتك إلى أعمال الطاعات، فإذا بلغت ذلك سلمت من العقاب، وسلم الخلق منك، ويكون إسلامك بالظاهر والباطن، حتى لا يخالف قولَكَ فعلُكَ، ولا فعلُكَ قَولَكَ، فيكون ظاهرك هو باطنك، وباطنك هو ظاهرك، وتكون موقناً بالوحدانية، معترفاً بالعبودية، مقراً بالربوبية، مجلاً للعظمة، هائباً للجلالة، فرحاً بالمَلَكَة[1]، محباً للطاعة، طالباً للرضى، خائفاً للبعث، راغباً للجزاء، راهباً للعذاب، مؤدياً للشكر، مداوماً على الذكر، معتصماً بالصبر، عاملاً بالفكر، فهذا عمل الباطن.

وأما الظاهر: فالاجتهاد في أداء الفرائض والسنن، والفضائل والنوافل، منها: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، والأمر، والنهي، وقراءة القرآن.

ومن السنن: الختان، وصلاة العيدين، وحلق العانة، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وقص الشارب، والسواك. ومن الفضائل: صيام رجب، وشعبان، والأيام البيض، والاثنين والخميس.

قال الوافد: فما وراء ذلك يرحمك الله؟

قال العالم: وراء ذلك المواصلة، والمعاونة، والمؤاساة، والمؤاخاة في الله، والحب لأولياء الله تعالى، والبغض لأعداء الله، وصلة الرحم، وبر الوالدين، ورحمة اليتيم، ومعونة الضعيف، وتعليم الأولاد، وإنصاف الزوجة فيما تسألك عنه وهي ناظرة إليك، والعناية في تعلمها، والأمر لها فيما لا بد لها منه، والنهي لها عما لا حاجة لها إليه، ولزومها لمنزلها، وطول الحجاب، وتصفية الأثواب، وتعليم الحكمة والصواب، مع لزوم العفاف، والرضى بالكفاف، والصيانة لها من التبرج من اللهوج والأبواب، والتشرف إلى أهل الفحش والارتياب، ومنع الدّخالات إلى دار المسلمات، مما لا يشاركهن في الدين والإحسان، فأولئك

(١) – أي تفرح بأنك مملوك لله تعالى.

هاتكات الستور، ومبيحات كل محظور، والناقلات الكلام الزور، والجالبات للفحشاء والفجور، والمبغِّضات للنعمة، والمدخلات على المؤمنات الهم، والمفرقات للألفة، والراعيات للكشفة؛ ولقد روي عن علي عليه السلام: ((أحب إلي أن أجد في منزلي مائة لص يسرقونه، أهون علي من أن أجد فيه عجوزاً لا أعرفها)).

ومن ذلك إنصاف الخادم فيما يقدر عليه، والنهي له عن ما لا حاجة له فيه، والرفق به فيما لا يقدر عليه، والنظر له فيما لا يدري، فهذا الأمر بالمعروف.

وأما النهي عن المنكر، فمن المنكر: فعل الشرور، والقول السيئ، والقول بالفواحش، والغدر، والتيه.

ومن الفعل: القتل، والزنا، والربا.

ومن التيه: الرياء، والكبر، والحسد، والبغضاء، والشحناء.

ومن الفعل: أخذ أموال الناس سراً وجهراً، ومن القول: النميمة، والغيبة، وشهادة الزور. فهذا من النهي عن المنكر.

[ثم] قال الوافد: وما التقوى؟

قال العالم: لسانك، وعينك، ويدك، وفرجك، وظنون قلبك. فلا تنظر بعينيك إلى ما لا يحل لك، فإن النظرة الواحدة تزرع في القلب الشهوة، وهي سهم من سهام إبليس. وتحفظ لسانك عن الكلام فيما لا يعنيك فلا تفعل ما لا يحل لك. ولا تمد يدك إلى ما لا يحل لك، فإن لم تفعل فما اتقيت الله، ولك في ذلك المغفرة والرحمة، وذلك قول الله ـ عزَّ وجل ـ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴿٨٢﴾﴾ [طه].

قال الوافد: فما وراء ذلك يرحمك الله؟

قال العالم: القيام بما أمر الله به حتى تعرف عملك، فتضع كل شيء منه في موضعه، وتعرف خطأه وصوابه، ويكون ذلك العمل متابعاً للعلم مطابقاً له، ويكون فيه الرغبة، واليقين، والإخلاص، والحياء، والاستقامة، وتعرف الرجاء

ما هو؟ وكيف هو؟ ومن ترجو؟

قال الوافد: بيِّن لي ذلك يرحمك الله؟

قال العالم: هو أن يكون رجاؤك الله في كل أمورك، لدنياك وآخرتك، ولا يكون رجاؤك للخلق أكثر من رجائك للخالق، فتحبط عملك، وتبطل أجرك، فإن الله سبحانه يقول: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

فتعمل بما أمرك الله به ظاهراً وباطناً، فتصلح ظاهرك، وتصلح باطنك، فإن الظاهر الجلي، يدل على الباطن الخفي، ويكون قلبك متعلقا بذكرِ مَن ناصيتك بيده، ورزقك عليه، ورجاؤك عنده، وشدتك وعافيتك وبلواك ومحياك ومماتك ودنياك وآخرتك، وترجوه للشدة كما ترجوه للرخاء، وترجوه للآخرة كما ترجوه للدنيا، وتخافه كما تخاف الفقر.

قال الوافد: فما وراء لك يرحمك الله؟

قال العالم: الرغبة في التطوع، تعرفها ما هي؟ وكيف هي؟

قال: بيِّنها يرحمك الله؟

قال العالم: إن الرغبة في التطوع بعد الوفاء بما أمرك الله به، فإنك إذا رغبت ازددت إلى الخير خيراً، وإن لم ترغب لم تزدد وأنت متطوع ولست براغب.

وأما كيف هي: فالتضرع عند الدعاء، فإنك إذا رغبت تطوعت، وإن لم ترغب كان دعاؤك بلا رغبة، وذلك قول الله ـ عزَّ وجل ـ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف]، فمن خاف وتضرع رحمه الله وأجابه.

قال الوافد: فما وراء ذلك يرحمك الله؟

قال العالم: وراء ذلك اليقين بالله.

قال الوافد: وما هو؟

قال العالم: صاحب اليقين ذنبه لا يكتب، وتوبته لا تحجب.

قال الوافد: بيّن لي ذلك؟

قال العالم: صاحب اليقين يعلم أن العلم متصل بالنية، فكلما يخطر خاطر في قلبه، علم أن الله قد علمه فيلحقه الخوف، ويبادر بالتوبة قبل أن يعمل الذنب، فتوبته مقبولة، وذنبه غير مكتوب، وإنما يكتب ذنبه لو أصر عليه، ولم يتب منه.

قال الوافد: فما وراء ذلك يرحمك الله؟

قال العالم: وراء ذلك الإخلاص في الدين، وهو في القول، والعمل، والاعتقاد، قول خير، وعمل خير، واعتقاد خير، أما سمعت ما قال الله ـ عزَّ وجل ـ في كتابه: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣].

قال الوافد: بيّن لي هذا يرحمك الله؟

قال العالم: هو أن يعلم العبد أنه بين يدي سيده يراه، ويسمع كلامه، ويعلم ما في نفسه، فيجعله أمله، وتكون الطاعة عمله، ولا يغيب عن مشاهدته، ولا يزول إلى معاندته بإزالة، قلّت الدنيا في عينه، وتعلّقت الآخرة في قلبه، فقيامه طاعة، وقوله نفاعة، وكلامه ذكر، وسكوته فكر، قد قطع قوله بعمله، وقطع أمله بأجله، وخرج من الشك إلى اليقين، فقلبه متعلّق بحب الآخرة وجسده في الدنيا، أحبّ الأشياء إليه الخروج من الدنيا إلى الآخرة، فقلبه وجل، ودمعه عجل، وصوته ضعيف، وكلامه لطيف، وثقله خفيف، وحركته إحسان، وتقلبه إيمان، وسكوته إيمان.

قال الوافد: فما وراء ذلك يرحمك الله؟

قال العالم: حب الحق، وبغض الباطل، وحب من أطاع الله قريباً كان أو بعيداً، وبغض من عصى الله قريباً كان أو بعيداً.

قال الوافد: كيف أحب من أطاع الله قريباً كان أو بعيداً؟

قال العالم: يسرّك ما يسرّه، ويسوءُك ما يسوءه، وتدخل السرور عليه، وإن كان أعلم منك تعلمت منه، وإن كنت أعلم منه علّمته، وحفظته في محضره

ومغيبه، وواسيته وأعنته، ورعيت صحبته، وجعلت ذلك لله وفي الله، ولا يكون في ذلك مناً ولا أذىً.

قال الوافد: فما وراء ذلك يرحمك الله؟

قال العالم: وراء ذلك الحياء من الله.

قال الوافد: بيّن لي ذلك؟

قال العالم: ذلك على ثلاث:

أولهن: أن يعلم العبد أن طاعة الله عليه، وأن رزقه على الله، أفلا يستحيي العبد من الله أن يراه حريصاً على رزقه، كسلاناً عن طاعة ربه، يمن على قومٍ أجسادُهم معافاة، وعقولهم ثابتة، وقلوبهم آمنة، ونفوسهم طيبة، قد أحسن إليهم، فلا ينظرون إلى شيء من قدرة الله فيتفكرون، وإلى نعمه عليهم فيشكرون، ولا إلى من كان قبلهم فيعتبرون، ولا إلى ذنوبهم فيستغفرون، ولا إلى ما وعدهم الله في الآخرة فيحذرون، أفلا يستحيي من آمن بالله أن يراه مع أولئك مقيماً لا بثاً؟! ومساكناً مواسياً؟! وحاضراً مجالساً؟!

وأما الثانية: فإن الله أعطى وقضى، يعطي وهو راضٍ، أفلا يستحيي العبد من الله أن يرضى برضى ربه عند العطاء، ولا يرضى برضاه عند القضاء، كما يرضى برضاه عند العطاء.

وأما الثالثة: فإن الله يرضى لعباده الجنة، ويأمر بالعمل لما يصلح لها فيعمل العبد ما لا يرضى الله، ويكره ما يرضى الله له من الخير، ويرتكب المعاصي والشرور، ولا يرضى برضى الله له، ويكون له ولد يحبه ويريده الدنيا، وربما قبضه الله إليه وهو له ولي.. أفلا يرضى العبد بقضاء الله كما يرضي أولاً بعطائه، وهو يعلم أن موت ولي الله خير له من حياته في هذه الدنيا الفانية، المحشوة هموماً وغموماً ونغصاً وغصصاً وآفاتاً وشروراً.

قال الوافد: فما وراء ذلك يرحمك الله؟

قال العالم: وراء ذلك الاستقامة. أما سمعت الله تعالىٰ، يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت].

قال الوافد: بيِّن لي ذلك؟

قال العالم: الاستقامة، هي: أن الدنيا قيامة، فلا يلتفت فيها إلىٰ كرامة، ولا يبالي فيها بالملامة. الاستقامة تؤدي صاحبها إلىٰ السلامة، والمستقيم صادق، وبالحق ناطق، عمله في خضوع، وقلبه في خشوع، وروحه في رجوع، وسره يروع، وجسمه سقيم، وقلبه سليم، مقيم بلا التفات، مداوم علىٰ المراقبات، ملازم للأمر، ومدمن علىٰ الزجر، وطالب للأجر، تارك للهوىٰ، مقيم علىٰ الوفاء، حريص علىٰ التقىٰ، مجتهد علىٰ الصفاء.

ليله قائم، ونهاره صائم، إلف من آلف ، صابر عاكف، تآم الصحبة، دائم المحبة، مجيب غير مريب، معرض لا متعرض، مطيع غير مريع، طالب راهب، مسلم مستسلم، مقر لا منكر، محتقَر لا محتقِر، متواضع غير مستكبر، مقبل غير مدبر.

علامة المستقيم: أن يستقيم له كل معوج، ويُسلَك به خير منهج، عالماً يقتدىٰ به، ولياً يهتدىٰ به، ولا يكون ممن يعبد الله علىٰ حرف، فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب علىٰ وجهه، خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

قال الوافد: فما وراء ذلك يرحمك الله؟

قال العالم: أما علمت أن الدنيا شدة ورخاء.

قال: بلىٰ.

قال: فليكن حالك في الشدة كحالك في الرخاء.

قال: بيِّن لي ذلك؟

قال: أليس الرخاء حساب، والشدة ثواب؟

قال: بلىٰ.

قال: فأيهما أحب إليك الثواب؟ أم الحساب؟

قال: بل الثواب أحب إلي من الحساب.

قال: أما علمت أنك وقت الشدة ترجو الرخاء، وفي وقت الرخاء تخاف الشدة، وذلك قوله ـ عزَّ وجل ـ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا۝﴾ [الشرح]. فتعَّرف حد الشدة فتكون راجياً للرخاء، وتعَّرف حد الرخاء فتكون خائفاً للشدة، لأن الرخاء والشدة يعتقبان، فاستعد للحالتين جميعاً. ولست أعني لك شدة الدنيا ولا رخاءها؛ لأن (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) ولكني أخاف عليك شدة الآخرة إذا رضيت برخاء الدنيا.

قال الوافد: فما وراء ذلك يرحمك الله؟

قال العالم: الرضا بالعطاء، والصبر على القضاء.

[ثم] قال الوافد: أيها العالم الحكيم ما أفضل ما أُعطي العبد؟

قال: العقل الذي عرّفك نعمة الله، وأعانك على شكرها، وقام بخلاف الهوى، حتى عرف الحق من الباطل، والضار من النافع، والحسن من القبيح.

قال الوافد: فما وراء ذلك يرحمك الله؟

قال العالم: الإيمان، وحقيقة الإيمان: الإخلاص، وصدق النية، حتى إذا عملت عملاً صالحاً لم تحب أن تذكر وتُعظَّم من أجل عملك، ولا تطلب ثواب عملك إلا من الله، فهذا هو إخلاص عملك، فإن عملت عملاً وأحببت أن تُذكر وتُعظَّم من أجل ذلك العمل، فقد تعجّلت ثوابه من غير الله، ولم يبق لآخرتك منه شيء.

قال الوافد: فما تقول في المناجاة؟

قال العالم: لا تكون المناجاة، إلا مع الرجاء والمصافاة، بقلب سليم من الآفات والظنون والغيبات، ثم تقول: إلهي إن لم أكن لحقك راعياً، لم أكن لغيرك داعياً، وإن لم أكن في طاعتك مسابقاً، لم أكن لأعدائك مطابقاً، وإن لم أكن لك

عابداً، لم أكن لآياتك معانداً، وإن لم أكن لحبك واجداً، لم أكن لغيرك ساجداً، وإن لم أكن إلى الخيرات مسارعاً، لم أكن لباب الخطيئات قارعاً، وإن لم أكن للحدود حافظاً، لم أكن بكلام السوء لافظاً، وإن لم أكن في الصلاة خاشعاً، لم أكن لأعدائك خاضعاً، وإن لم أكن في سبيلك مجاهداً، لم أكن لدليلك جاحداً.

إلهي كيف يصافيك من لا يأتيك؟! وكيف يرجوك من لا يتقرب إليك؟! أنا المتخلف عن أقراني، أنا الضعيف في أركاني، أنا الفريد بحرقتي عن إخواني، أنا الذي لم أحقق إيماني، سيدي قد أتيتك بفاقتي، وجئت إليك لما عدمت طاقتي، أنت العالم بجُرمي، والمطلع على طلبي، المحصي لخطيئتي، الشاهد على طويتي، الناظر لي في خلوتي، كسدتْ بضاعتي، وخسرتْ تجارتي، ولم أتزود من حياتي، وقد أتيتك قرب وفاتي.

إلهي إن لم تقبلني فأين المنجأ، وإن رددتني فأين الملجأ؟!!! من للعبد إلا مولاه؟! ذهبت أيامي، وبقيت آثامي، فلا تذل مقامي، ولا تحجب عني إمامي، يا من ابتدأني بتفضله، وأكرمني بتطوله.

ما الحيلة أعضائي ذليلة، ما الحيلة أحزاني طويلة، ما الحيلة حسناتي قليلة، ما الحيلة وليس لي وسيلة.

لا حيلة لي غير الرجوع، والتضرع والخضوع، والإقبال والإياب، وتعفير الوجه بالتراب، والتذلل عند الباب، وقراءة آيات الكتاب، والسجود لرب الأرباب، وترك الاشتغال، والإقبال على مقدِّر الأرزاق والآجال، وترك المعارضة، ورفض المناقضة، وحنين وحرقات، وأنين وزفرات، وسهر دائم، وليل قائم، ونهار صائم، وقلب هائم، ووعظ لائم، فدار بلا قرار، فراق كل محبوب، والبين عن كل منسوب.

الحيلة ترك الاستراحة في طلب الراحة، ودوام النياحة مع القيام على السياحة، وترك الخطايا واستعداد المطايا.

الحيلة أن تخضع حتى تسمع، ويخاف القلب ويخشع، وتعتبر العين فتدمع، اقرع الباب تسمع الجواب.

قال الوافد: قد سمعت لذيذ المناجاة، كيف أصنع في داء قد تمكن في قلبي حتى أقلعه وأحسمه؟

قال العالم: من أوجعته علته، أظهر عند الطبيب زلته، وأبدى إليه شكيته، مَن عدم مراده قلق فؤاده، ومَن قلق فؤاده بان رقاده، ارفع نواظر القلب إلى الرب، فهو يجلي منه الكرب، ويغفر الذنب، ارفع حوائجك إلى ربك، كما ترجوه لغفران ذنبك، اكتب قصة الاعتذار بقلم الافتقار، امش إلى باب الجبار بقدم الاضطرار، في وقت الأسحار، وارفع يديك بالاستغفار.

قال الوافد: فما تقول في البكاء؟

قال العالم: لأن تبكي وأنت سليم، خير من أن تبكي وأنت في النار مقيم، بين أطباق الحميم، والشيطان لك قرين خصيم.

واعلم أنك دخلت الدنيا عند خروجك من بطن أمك باكياً عابساً، فاجتهد أن تخرج منها ضاحكاً مستأنسا، لأن تبكي وأنت في الطريق، خير من أن تبكي وأنت في وسط الحريق، البكاء مع السلامة، خير من البكاء مع الملامة، اليوم ينفعك البكاء إذا بكيت ندماً، وغداً لا ينفعك البكاء لو بكيت دماً، البكاء قبل المعاتبة، خير من البكاء عند المعاتبة.

ابك لضعف فاقتك، ابك لقلة طاعتك، ابك لكثرة معاصيك، ابك لعظم مساوئك، ابك لإفلاسك، ابك لعدم إيناسك، ابك لقلة عملك، ابك لقلة حيلتك، ابك لعدم وسيلتك، ابك لكثرة وزرك، ابك لثقل ظهرك، ابك لفساد أمرك، ابك لظلمة قبرك، ابك لقسوة قلبك، ابك لخبث سرك، ابك لمضي دهرك، ابك لكشف سترك، ابك لساعة موتك، ابك لانقطاع حياتك، ابك لغربتك في لحدك، ابك لتوديع دارك، ابك لتوقع فراقك، ابك ليوم بوارك، ابك لاستقبال أهوالك.

قال الوافد: كيف أصنع إذا لم أستطع البكاء ولم تدمع العين؟!

قال العالم: ما جمدت العيون إلا من قساوة القلوب، وما قست القلوب إلا من كثرة الذنوب، وما كثرت الذنوب إلا بالرضى بالعيوب، وما وقع الرضى إلاّ بعد الاجتراء على علاّم الغيوب، جمود العين من وجود الرين. وقال في ذلك شعراً:

تـــزَّود مــــن حياتـــك للمـــمات ... ولا تغـــــترَّ في طـــــول الحيــــاة

أترقـــــد والمنايـــــا طارقـــــات ... كأنـــك قـــد أمنــت مــن البيــات

أتضــحك أيهـــا العـــاصي وتلهـــو ... ونـــــار الله تســـــعر للعصـــــات

أتضــحك يــا ســفيه ولســت تــدري ... بـــــأي بشـــــارة يأتيـــــك آت

فيـــا قلبـــي فلـــم تـــزدد رجوعـــا ... وتعــرض عــن عظــات ذوي العظــات

ثم قال: أتبغي صفاء الفؤاد مع بقاء المراد، تُضيع الأصول، وتركب الفضول، ثم تطمع في الوصول، وأنت لا تتبع ما جاء به الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - .

أتطلب المراد مع كثرة الرقاد، وقلة الاجتهاد، أتطلب المساعدة مع قلة المجاهدة، هذا من علامة المباعدة!!! لن تنال الأماني إلا بترك الفاني، لا بالكسل والتواني، أسهر العيون تصبح غير مغبون، لن تنال غرف الجِنان إلا بصفاء الجَنان، وخالص الإيمان، وقراءة القرآن، وتوحيد الرحمن، وإطعام الطعام، ورحمة الأيتام، وكثرة الصيام، وطول القيام، من طابت مناجاته ارتفعت درجاته، وقلَّت فزعاته.

قال الوافد: بما ينال العبد جنة الخلود؟

قال العالم: بحفظ الحدود، وبذل المجهود، وطاعة المعبود، والوفاء بالعهود، وكثرة الركوع والسجود.

من أراد الأمان، فليخلص الإيمان، ويفعل الإحسان، ويقرأ القرآن. لن ينال جنة النعيم، إلا من جاء بقلب سليم، لن تنال من الله المزيد، إلا بصدق التوحيد،

وكثرة التحميد ، من أراد البر لم يكتسب الوزر، من أراد العطاء صبر على البلاء.

لا تنال شهوات الآخرة إلا بترك شهوات الدنيا، لا تنال النعيم، إلا بترك النعيم، لا تنال معانقة الحور، إلا بصلاح الأمور، ومجانبة الشرور، ورفض المحذور.

لا ينال الشفاعة، إلا من قام لأخيه بالنفاعة، وحافظ على صلاة الجماعة، وأطعم الأيتام في المجاعة. من أحب الشرب من حوض الرسول ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ فليترك كلام الفضول، ويتثبَّت فيما يقول، فإنه لا بد مسئول.

قال الوافد: صف لي الحياء؟

قال العالم: من عمل بالرياء بعُد منه الحياء، وحجب منه الضياء، وتكدرت عليه الدنيا، وعاش في الناس يهودياً، وحشر يوم القيامة مجوسياً.

قال الوافد: كيف أنال حلاوة الطاعة؟

قال العالم: لا تدرك الحلاوة، إلا بإدمان الفكر والتلاوة، ولا تنال حقائق المعاني إلا بترك الأماني، ولا يتمكن في قلبك الخوف والوجل، إلا برفض الدنيا، وقصر الأمل، وإخلاص العمل، وهجران الكسل.

قال الوافد: صف لي محض الورع؟

قال العالم: لا تنال الورع، إلا بكثرة الخوف والفزع، واختيار الجوع على الشبع، وبترك الشهوات والطمع، وصفا عند ذلك قلبك، ونلت لذة السهر والقيام، وقربت من ذي الجلال والإكرام، وملكت نفسك، ووافقت أنسك، ورضي عنك الرب، وغفر لك الذنب.

واعلم أنك لا تنال من الله البرّ والسلامة، إلا بالصبر والاستقامة، ولا تنال حقائق الرجاء، إلا بالانقطاع إلى الله والالتجاء، ولا تنال الكرم والتَّفَضُّل، إلا بالندم والتبذّل، ولا تنال الراحة، إلا بكثرة النياحة، ولا تنال الولاية، إلا بالمحافظة والرعاية، ولا تنال مجاورة الأبرار في دار القرار، إلا بترك الأوزار، ولا يخشع القلب ويلين، إلا بتفكر وتبيين، ولا تنال الخوف، إلا بترك عسى وسوف،

ولا تنال الاتصال، إلا بإهمال الاشتغال، ولا ينقى القلب، مع بقاء شيء من الذنب، ولا تدرك صفاء الفهم، وفي قلبك من الدنيا غم، ولا يزول عنك الهم ما كان لك في الدنيا خصم.

من أنفق مما يحب، فهو حقاً المحب، من ترك ما كان يألف، دخل الجنة وثوابه مضاعف، من يعمل بما يقول، شفع له الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ومن عمل بخلاف ما يقول، لم يكن عمله مقبول، من لم يندم على معصيته، أخذته الزبانية بناصيته.

من قصر في الطاعات، حرم الصالحات، من نافس في الخيرات، ارتقى في الدرجات، من اغتر في الليل فجع في النهار، ومن سهى في النهار فجع في الليل، مَنْ ركب الظن غبن أيّ غبن، من ركب فرس الأماني، عثر في ميدان التواني، التاجر برأس مال غيره مفلس.

قال الوافد: كيف المجاهدة؟

قال العالم: المجاهدة في المباعدة والوحدة، والصبر على المحنة والشدة، من لا عبادة له لا زاد له، من لا زاد له لا عقبى له، اقرع الباب، يأتك الجواب، من أمَّل العظيم، وُهِبَ الجسيم، من أراد الجود طلبه في السجود، من لا سجود له لا جود له، من لا ندامة له لا كرامة له، من لا خير فيه، لا خير عنده.

خير البضاعة الطاعة، من اختار الطاعة نجا من فجعات الساعة، لا بد من سهر الأسحار، وقيام الليل، وصيام النهار، إذا أردت الجنة فاسجد وتضرع، واظمأ وتجوَّع، واسهر وتفزّع، وتذلل وتخشّع، وتفرد وتوحد، واخضع وتجرّد، تنل فضل الواحد الأحد.

اترك الآثام تأمن الصَّولة، واعمل صالحاً تكن لك الدولة، اهجر الجرائم، تصل وأنت سالم. مَن أكثر النحيب، لم يكن عليه رقيب، ما دعا إلا أجيب، وكان له من الخير نصيب، من رغب إلى الله أعطاه، ومن اكتفى به كفاه، ومن استعان به أعانه، ومن لجأ إليه آواه.

[ثم] قال الوافد: كيف أحتال في الخلاص؟

قال العالم: أما تعتذر؟! أما تزدجر؟! أما تستغفر؟! أما لك فيمن مضى عبرة؟! أما لك في العواقب فكرة؟! إلى متى هذه الجفوة والفترة؟! إني أخاف عليك الشقوة والحسرة؟! فكم هذه الغفلة؟! وكم هذه الغرة؟! إلى متى هذه الغفلة الغامرة؟! والقسوة الحاضرة؟! أما تغتنم أيامك؟! أما تمحو آثامك؟! أما تكفِّر إجرامك؟! أما تحذر برأيك؟! أنسيت ما أمامك؟! أما تنتبه من رقادك؟! أما تتأهب لمعادك؟! أنسيت اللحد وضيقه وظلمته؟! أغفلت عن البعث والنشور؟! يوم يظهر كل مستور.

إلى متى تعلَّل بالأماني الكاذبة؟! وتضيِّع الحقوق الواجبة؟! دفنت الأحباب فلم تعتبر! وغيبتهم في الثرى فلم تزدجر! ما للناس لا يرجعون؟! يوعظون فلا يتعظون ولا ينتهون، وينادون فلا يسمعون، ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ [المجادلة]. وغشي على قلوبهم الران، فالقلوب مسودة متباعدة، والأجسام منافقة متوآدة، يقولون ما لا يفعلون، ويأملون ما لا يبلغون ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴿٤٨﴾﴾ [المرسلات].

أُمروا بالطاعة فقالوا: ما يأكلون؟! وما يلبسون؟! يكذبون ويسرقون، وينافقون، ويعدِون ويخلفون، ويراؤون ويبخلون، فبأي حديث بعد القرآن يؤمنون؟! ويجمعون ما لا يفرقون، ويمنعون ما لا ينفقون، ويبنون ما لا يسكنون، ويقطعون ما لا يلبسون، ينافقون ولا يخلصون، لا الله يخافون، ولا منه عند المعاصي يستحيون.

ينامون نوم الهائم، وينسون يوم يؤخذون بالجرائم، لا الله يخافون، ولا عقابه يحذرون، يصبحون على خلاف ما يمسون، همتهم دنية، وأفعالهم ردية، وأعمالهم غير تقية، وأحوالهم غير مرضية.

قال الوافد: كيف يصنع من أصبح مع هؤلاء؟

قال العالم: يرضى بالله صاحباً، ويعتزل منهم جانباً، ويل لمن له ذنب مستور، وثناء مشهور، وهو عند الله مثبور، ظاهره بالخير معروف، وباطنه بحب الدنيا مشغوف، وهو عن باب الله مصروف، ثيابه أبيض من الحليب، وقلبه مثل قلب الذيب، باطنه من التقوى خراب، وهو يطمع في الثواب، وهو في الدنيا سكران من غير شراب، ظاهره فيه سيماء العابدين، وباطنه فيه سيماء الجاحدين، مقالته مقالة الأبدال، وفعله فعال الجهال، سيرته سيرة المغترين، وأمله أمل المفتونين، فهذا من المطرودين، عن باب رب العالمين.

ما لي أرى الناس يركبون الشرور؟! ويدخلون في المحذور؟! ويضيعون الأيام والشهور؟! إلى متى يسوفون التوبة؟! ويلبسون لباس ثياب المهتدين؟! ويُضمرون أسرار الظالمين؟!

إن أبعد الناس من الله بعداً، عبد نظر إلى عيب أخيه ولم ينظر إلى عيب نفسه، ومن رأى لأخيه المسلم حسنة وسترها، ورأى سيئة ونشرها كبّه الله في النار على وجهه، ولم يخفف عنه من عذابها شيئاً.

من لم يميز بين الحلال والحرام، أسرعت إليه سهام الانتقام، من أسف على شيء من الدنيا يفوته، كثر نزاعه عند موته.

قال الوافد: كيف يكون الاعتبار؟

قال العالم: انظر إلى الذين يجمعون.. جمعوا كثيراً، وبنوا كبيراً، وأمّلوا طويلاً، وعاشوا قليلاً، هل تسمع لهم حساً؟! أو ترى لهم في القبور أنساً؟! سكنوا التراب، واغتربوا عن الأصحاب، ولم يسلموا من العقاب، حملوا أثقالاً، وعاينوا وبالاً، وصارت النار لهم منزلاً ومقيلاً، وعرضت عليهم جهنم بكرةً وأصيلاً، لا يطيقون فتيلاً، ولا يسمعون جميلاً، ولا يرجون تحويلاً، ولا يملُّون عويلاً.

أين الذين شيدوا العمران؟! وشرفوا البنيان؟! وعانقوا النسوان؟! وفرحوا بالولدان؟! وجمعوا الديوان؟! وملكوا البلدان؟! وغلقوا الأبواب؟! وأقاموا الحجاب؟!

أما رأيت كيف دارت عليهم الدوائر؟! وخلت منهم المآثر؟! وتعطلت منهم المنابر؟! وضمتهم المقابر؟! وغيّبتهم المحافر؟! تمزقت جلودهم؟! وتفرقت جنودهم؟! ورجعت قصورهم خراباً؟! ودورهم يَبابا؟! وأجسادهم ترابا؟!

أين ملوكهم؟! أين أحبارهم،؟! أين مواكبهم؟! أين مراكبهم؟! أين أنصارهم؟! أين عددهم؟! أين وزراؤهم؟! أين ندماؤهم؟! أين من آواهم؟! أصبح غنيهم فقيراً!! وأميرهم حقيراً !!!

هل بقي الذكر إلا لمن أطاع الله، ونبذ في رضاء ربه دنياه، وخالف مِن خوفِ الله هواه؟ وقدّم الخير لعقباه، يدخل دار السرور، وكفي كل محذور، دارٌ فيها الأمان، والحور الحسان، والأكاليل والتيجان، والوصائف والغلمان، والأنهار الجارية، والأشجار الدانية، والنعمة الوافية، والسرر المصفوفة، والموائد المعروفة، والفرش المرفوعة، والأكواب الموضوعة، والقصور المنصوبة، هذه دار المتقين، ومحل الصالحين، ومأوى المؤمنين.

قال في ذلك شعراً:

تنام ولم تنم عنك المنايا ... تنبّه للمنية يا ظلوم

وحق الله إن الظلم شؤم ... وما زال المسيء هو الظلوم

إلى الدّيان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم

سل الأيام عن نعم تفانت ... فتخبرك المنازل والرسوم

تروم الخلد في دار المنايا ... وكم قد رام قبلك ما تروم

وقال غيره:

أعارك ماله لتقوم فيه ... بطاعته وتعرف بعض حقه

فلم تعمل بطاعته ولكن ... قويت على معاصيه برزقه

تبارزه نهاراً ثم ليلاً ... وتستخفي بها من سوء خلقه

ما أسوأ حال عبد يصلي ويصوم! ويسهر ويقوم! ثم هو يحفر بئراً لأخيه! لا يدري أنه يقع فيه. قال الشاعر:

اغتنم ركعتين زلفاً إلى اللـ	ـه إذا كنت فارغاً مستريحاً
وإذا هممت بالزور والبا	طل فاجعل مكانه تسبيحاً
اغتنم ركعتين عند فراغ	فعسى أن يكون موتك بغتة
كم صحيح رأيت غير مقيم	ذهبت نفسه الصحيحة فلتة

قال الوافد: كيف أصنع؟ كيف التواضع؟

قال العالم: يا عجباً ممن خلق من نطفة!! ورزق بلا كلفة!! كيف لا يلزم التواضع والعفة؟! ويا عجباً ممن خُلق من ماء مهين! كيف يغتر بالمال والبنين؟! ويا عجباً ممن أصله من التراب والطين! كيف لا يتواضع للفقراء والمساكين؟!

كيف يفتخر ويعجب؟! ويضحك ويطرب؟! ويلهو ويلعب؟! والتراب وساده، ولا يعتبر، ولا يتفكر! ولا يتوب ولا يستغفر! أليس بعد الغنى الفقر؟! وبعد العمارة القبر؟!

وكيف يتكبر مَن أوله كف تراب؟ ووسطه ريح في جِراب؟! وآخره ميتة في خراب؟! وكيف يفرح بالمنى من هو عرض للفناء؟! كيف يطمئن بالسرور من تعجله المنية إلى القبور؟! كيف يفرح بمضاجعة النواهد، من يضاجع الدود غداً في الملاحد.

أيها المعجب بالدنيا وأسبابه، المختال في مراكبه وثيابه، المفتخر بأهله وأصحابه، انظر إلى المنقول من بين أترابه، إلى ظلمة اللحد وترابه.

أيها المفخور برجاله وماله، المعجب بأحواله وأشغاله، انظر إلى المقبور وتفكر في حاله.

أيها المتطاول بعشائره وأحبابه، المسرور بعلومه وآدابه، انظر إلى من قصر في شبابه، المختطف من بين أحبابه، هل منع منه حجابه؟! أو نفع أصحابه.

أيها الجامع لأنواع العلوم، أعلمت ما سبق لك من المعلوم؟! أتدري أمقبول أنت أم محروم؟! أم محمود عند ربك أم مذموم؟!

يا صاحب العلم والإفادة، أمعك خبر من الشقاوة والسعادة.

أيها الناظر في الدقائق، ألك أمان من البوائق؟! هل علمت بالحقائق؟! حتى رضي عنك الخالق، ما حيلتك إن هتك سترك غداً في مشهد الخلائق؟!

قال الوافد: أخبرني مَن المكين في ذلك اليوم؟

قال العالم: المكين في ذلك اليوم، مَن أخف في هذا اليوم العظيم، من أتى الله بقلب سليم.

المتين من عرف الحق المبين.

الشجاع من غمد السيف المطاع.

الحازم الوفي من ترك العمل الدني.

قال الوافد: من الحقير في ذلك اليوم؟

قال العالم: الحقير من هو في رحمة فقير، الحقير من هو للذنوب أسير.

الخاسر البائس من هو من رحمة الله آيس.

السقيم من هو في النار مقيم.

الحزين من كان له من الشياطين قرين.

الهالك من سلم إلى مالك.

يا صاحب الحسن والجمال والفخر ، عند انقطاع الآجال، يبطل الجمال.

يا كثير الاشتغال، كأني بك يقلبك الغسال، ماذا العجز والإذلال؟! كيف تطيق السلاسل والأغلال؟!

ما أسوأ حالك! إذا لم تقدِّم مالك! لا تفقر نفسك وتغني عيالك.

يا ذا الأموال الكثيرة، غداً نفسك إليها فقيرة، يا ذا العز والملكة، كيف بك في دار الهلكة؟!

يا ذا العساكر والجنود، كيف عيشك في دار الوقود؟!

قال الوافد: أخبرني مَن الملك في ذلك اليوم؟

قال العالم: المَلك، من رضي عنه الملك.

النبيل، من استقام على السبيل.

الخليل، من رضي عنه الجليل.

الشريف، من هو من الأوزار خفيف.

الظريف، من هو عن الحرام عفيف.

العاقل، من لم يكن عن الله غافل.

يُستقبح من المؤمن كبره، ومن الشيخ كفره، ومن الفتى فقره، حقيقٌ بالتواضع من يموت، وبالبذل ما لا يفوت.

المؤمن دنياه فوت، ومعاشه قوت، وقيل في ذلك شعراً:

صنيع مليكنا حسن جميل	فما أرزاقنا عنا تفوت
فيا هذا سترحل عن قريب	إلى قوم كلامهم السكوت

وقال غيره:

أيها الشامخ الذي لا يرام	نحن من طينة عليك السلام
إنما هذه الحياة متاع	ومع الموت يستوي الاقدام

قال الوافد: كيف يهنأنا العيش في هذه الدنيا، وهذه أفعالها في أهلها؟

قال العالم: إنّ بنانا للخراب، وإنّ أعمارنا إلى ذهاب، ودهرنا إلى انقلاب.

الموت يبدد الأحباب، ويفرق الأصحاب.

الموت ينزل الملوك من القصور والقباب، إلى القبور والتراب.

كل ما عملنا معدود، وعليه حفظة شهود.

أعمالنا محفوظة، وأنفاسنا مقبوضة، وسيئاتنا علينا معروضة.

لنا من كأس الموت شراب، ولا نأمن بعده سوء العذاب.

طوبى لمن له في الطاعة اكتساب، حتى ينال في الآخرة الثواب.

الويل لمن له العتاب والحساب والعذاب.

والموت يدخل كل باب، من أخرجه الموت من داره لم يكن له إياب.

غفلنا من اكتساب الخيرات، ولم نستعد للممات، لا بد لنا من الحساب، ولا بد لنا من العرض على الملك الوهاب.

ما أغفلنا عن الآخرة!! ما أغفلنا عن الورود في الساهرة !! غفلنا عن الانتحاب، غفلنا عن الاكتساب.

غفلنا عن الآزفة، غفلنا عن الواقعة، غفلنا عن القارعة.

لم نكثر الندامة، لم نذكر القيامة، لم نخف الطآمة.

يا من بارز الله في السر والحجاب، وغلق عليه الأبواب، أتظن أن ذلك يخفى على الملك الوهاب، إنك في دينك مصاب، إن العاصي يسقى في النار من الحميم المذاب، هل معك لمالكٍ خازن النار جواب؟ أم لك عنده خطاب؟ أترجو من غير الطاعة الثواب؟ ما أسوأ حالك عند البعث والحساب!!

ما أغفلنا عن الرحلة!! ما أغفلنا عن الزلزلة!! ما أغفلنا عن الصيحة!! ما أجرأنا على الخالق! ما أكفرنا للرازق! يا ويل كل منافق.

إنا راحلون، إنا مسؤولون، إنا موقوفون، إنا مهانون.

إنا على سفر، بين أيدينا خطر، ما لنا لا نحذر؟! هل لنا من مفر؟! لا ملجأ من الله ولا وزر، إلى الله المستقر.

العاقل من ترك ما يهوى لما يخشى، قال الشاعر:

سبحان ذي الملكوت رَبِّيَ ليلةً ... محضت بوجهِ صباحِ يومِ الموقف

لو أن عيناً أوهمتها نفسها ... أن العذاب مصور لم تطرف

حُتِمَ الفناءُ على البرية كلها ... فالناس بين مقدّم ومخلف

قال الوافد: صف لي الراغب؟

قال العالم: قَلَّ الراغب، وترك الواجب، ما لله طالب، ولا لعذابه راهب، ولا في ثوابه راغب، ولا عن الذنوب تائب، ولا فتىً نفسّه لله واهب، بل مدِّع كاذب، تارك للحق مجانب، معانق للخلائق، مواظب جاذب مشغوف بالدنيا طالب، مهمل للسنّة والواجب.

إن البكاء على أمثالنا واجب، قبل الوقوع في العذاب الواصب، بين الحيات والعقارب، نفسٌ من الباب طريد، وقلبٌ من النشاط شديد، وعملٌ من المريد بعيد، كأن الفؤاد حجر أو حديد.

أيها القلب الشديد، أما يكفيك الزجر والتهديد؟! أما سمعت الوعد والوعيد؟!

ونهارك عطلة، وليلك غبطة، ودهرك مهلة، أليس لك من الجهل نُقلة! أيُّ عذر لك غداً أو أي علة؟! إلى متى العمل والزلة؟! والمودة في غير الله والخلة؟! أما تخاف موقف الذلة.

إذا عرفت عملك كله، وعرضت على عالم التفصيل والجملة، أيّ ليلة لك وأيّ يوم؟! وأيّ صلاة لك وأيّ صوم؟! إلى كم الغفلة والنوم؟ إلى كم تتبع عادات القوم؟! إلى كم تجوم في المعاصي حقا ما جوم؟!

كأني بك وقد أوقفت موقف اللوم؟! على أي عهد لله أوفيتَ، على أي وعد قمت؟! على أي توبة نمت، أي صلاح إليه رمت؟! هل صليت لله مخلصاً أو صمت؟! هل قعدت في رضى الله أو قمت؟!

أيّ معصية لله تركت؟! أيّ طاعة لله سلكت؟! أيّ هوى لنفسك لله خالفت؟! أيّ ليلة سهرت لربك؟! أيّ يوم صمت من خوف ذنبك؟!

هل أعملت في جوف الليل فكرك؟! قد أذنبت فهل اعتذرت! وقد أجرمت فهل جدبت! وقد أضعت فهل أطعت! قد هربت فهل طلبت!

تَقَوَّلْتَ وتَحَرَّفْتَ، وتوانيت وسوَّفت، وبارزت وخالفت، وعصيت وجاهرت.

كأني بك وقد ندمت على إضاعتك، وتأسفت عن ترك طاعتك، وبكيت عند هجوم ساعتك، وخسرت في تجارتك وبضاعتك، ولم تنتفع بفصاحتك وبراعتك، وذهب ما كان من قوتك وشجاعتك.

[ثم] قال الوافد: كأني بالقيامة وقد قامت!

قال العالم: نعم..كأني بالشاب المليح وهو في النار طريح، ثاوٍ يصيح، بمقامعها جريح، يطلب الراحة لا يستريح، بين أطباق العذاب يصيح.

كم من شيخ كبير في العذاب المستطير، لم تُرحم شيبته! ولم تُكشف كربته! ولم تقبل معذرته! قد أُطعم الضريع، وسُقي الحميم، وعُرِّي وجُرِّد، وقرِّب للعذاب ومُدِّد، وضرب بالمقامع وتُهُدِّد، وغُلِّل بالسلاسل وقُيِّد، وأُنزل في أدراك النار وأفرد، وطُرد من الرحمة وبعد، وبُسط له من النار ومُهِّد، وغُلظ عليه العذاب وُقيّد، ومُزق جلده بالسياط وبُدّد، وصُب عليه العذاب وجُدّد.

فالويل له من توابيت النيران، وغضبِ مالك الغضبان، يقول له: هذا جزاء ما أذنبت وعصيت، وأخطأت وتعمدت، وسوفت وتوانيت، لم تنته من العيب، ولم تتعظ بالشيب، بالمعاصي جاهرت، وبنفسك خاطرت، الصلاح أظهرت، والنفاق أسررت، هذا جزاء من أظهر الصلاح وأضمر الفساد، هذا جزاء من أساء وظلم العباد، هذا جزاء من فلت صلاته وأطال الرقاد، هذا جزاء من كان للمسلمين كثير الفساد، هذا جزاء من أضاع الصلاة ولم يقم بها في الأوقات، هذا جزاء من لَهَىٰ واتبع الشهوات، هذا جزاء من عصىٰ الله في الخلوات.

قال الوافد: كيف يستريح في الدنيا من وعد بهذه المصائب؟

قال العالم: من ارتكب المحارم، وكسب المآثم، دخل هذه الدار، وخُلد في عذاب النار.

يا من عصىٰ الملك العلام، وخلا بالمعاصي في الظلام، يا من ذنوبه لا تحصىٰ، وعيوبه لا تنسىٰ، وذنبه لا يعفىٰ، وقد برح الخفاء، وكثر الجفاء، إخْسَأ فيها يا مطلوب يا مكروب، يا كثير الذنوب، أفسدت في الدنيا دينك، وضيعت فيها حظك.

يا كثير القبائح، يا عظيم الفضائح، يا كثير الرياء، يا قليل الحياء، يا مغرور، يا من عطل الأيام والشهور، يا من ركب الشرور، يا من جعل ليله لكسب الذنوب والأوزار، يا من عصىٰ الملك الجبار، يا من بارز الخالق في وقت الأسحار، يا من يصبح عاصياً، ويمسي ناسياً، ويصلي لاهياً، أصبحت من رحمة الله قاصياً.

يا مغبون يا مثبور، يا من اطمأن إلىٰ دار الغرور، يا من قَدِم غير معذور، ما حجتك في يوم النشور؟ ما أتركك لصلاحك! ما أغفلك عن أخذ زادك! مهلاً عن التفريط، مهلاً عن التخليط، مهلاً قبل البين والفراق، يوم تلتف الساق بالساق، قبل مِحَنٍ لا تطاق.

قال الوافد: يا عجباً لهذه الدنيا ما أمكرها وأخدعها!! ما أخورها، ما أدبرها! ما أقل نفعها! ما أكثر ضرها! تحلو وتُمِر، ما للدنيا بقاء، ما للدنيا وفاء، الدنيا بلاء لا يجمعها ذو تقاء.

ما أكثر تخليطي، ما أكثر تفريطي، ما أغفلني عن أعمالي، ما أقبح أفعالي، إلىٰ كم أغتر بآمالي، كم أُخوَّف ولا أخاف، كم أُعرَّف ولا أعرف، كم أصر علىٰ الذنوب لا أنصرف؟! كم يمهلني ربي ولا أعترف؟! إلىٰ متىٰ أقول: عسىٰ وسوف؟! وأدخل الحرام الجوف، أدخلت في قلبي الظلمة، غفلت عن الطاعة، كفرت النعمة، نسيت الحرمة، واستمعت النهمة.

قال العالم: اعترف بذنبك، وارجع إلىٰ ربك، واقبل بكلك، واندم علىٰ فعلك، لا تحمل الثقيل، لا تستقل القليل، لا تنم الليل الطويل.

أظلم الناس من ظلم نفسه، وأضيع الناس من ضيع يومه وأمسه، أسرق الناس من سرق من صلاته، أبخل الناس من امتن بزكاته، أنذل الناس من أساء

عمله في خلواته، أجلد الناس من غلب شهواته، أغفل الناس من ضيع حياته، أندم الناس مَن عطَّل ساعاته، أقوىٰ الناس من مات علىٰ التوبة.

رأس مالك في الدنيا الطاعة، التقاء أفضل بضاعة، من أمَّل الله أعطاه، من سأل الله بلَّغه سُؤاله.

أسلمُ الناس مَن خَـمُلَ ذكرُه، وكثر شكره، من قنع بالعطاء، سلا عما مضىٰ.

كيف لا يهتم ولا يغتم من لا يدري أي عمل بما يختم؟! كيف يهناه رقاده؟! وكيف يتوسد وساده؟! كيف يسكن نفسه وفؤاده؟! وهو لا يدري أهو مِن أهل الشقاوة أم من أهل السعادة؟! كيف يسكن إلىٰ الدار والجار؟! ويقر به القرار؟! ويأكل في الليل والنهار؟! من هو موعود بعذاب النار، وغضب الجبار!!

لا تقصر في عمل الأخيار، ولا تسلك سبيل الفجار، ولا تكسب الأوزار، وأطع ربك في الليل والنهار، (ولا تأمن فتغتبن، ولا تجمع فتفتتن)، تجوَّع ولا تشبع، وتورَّع ولا تطمع، وخف واحزن، فمنزلك القبر وثوبك الكفن، كيف يلهو بالملاهي؟! مَن بين يديه الدواهي، كيف يكتسب الآثام؟! من وُكِّل به الملائكة الكرام، وكيف يضحك ويفرح؟! من عليه غداً يُصرخ؟! وللدود والهوام يطرح، كيف يفرح ويسترّ؟! من يموت ويقبر.

[ثم] قال الوافد: قد وعدنا الله في كتابه الرحمة؟

قال العالم: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف]، إذا عملت بالرضا، عفىٰ عنك ما مضىٰ، وحرم لحمك علىٰ لظىٰ، (وإن لم تعمل بالرضىٰ، أخذك بما بقي وما مضىٰ، وأحرقك بنار لظىٰ)، إذا نظر ستر، وإذا رحم غفر، عظيمٌ فضله، صادقٌ قوله، عليم، رحيم، بالكرم موصوف، وبالرحمة معروف، العبد ينشره، والرب يستره، يكافئ، ويعافي، ويشفي عبده، ويوفي وعده، كم قبيحٍ فعلناه ستره، وكم رزق لنا يسَّره، اقرع بابه، تجد جوابه، اقرأ كتابه، يبن لك عتابه، ارجع إليه يمنُ بالقبول، واقرب إليه يُحسن بالوصول، ما ضاع مَن قصده،

وما جاع مَن عبده، ولا خاب مَن أمَّله، ولا خسر مَن عمل له، بابه لا يُغلق، وحكمه لا يُسبق، وجاره لا يَفرق، القلوب من خوفه تفرق، والصدور من هيبته تقلق، والرجاء بعفوه يعلق.

من ناجاه أنجاه، ومن اتقاه وقاه، (ومن أوفاه وفَّاه، ومن أطاعه أعطاه)، مَن التجأ إليه نصره، ومَن استغنى به ستره، ومَن قصده قَبِلَه، ومَن وَحَّده أجلَّه، وَمن عبده فضَّله، من تاجره أربحه، ومَن أمَّله فرَّحه، من سأله منحه، ومن شكره [شكره، ومن ذكره]ذكره، مَن استهداه وفَّقه، ومَن توكل عليه رزقه، ومَن أمَّله صدقه، ومن تعزز به أعزه، من استغنى به أغناه، ومن سأله أعطاه، ومن تولاه والاه، ومن استأنس بذكره لم يخب، ومن تخلا لطاعته نال ما يحب، إليه المفر، وعنده المستقر، مَن للفقير إلا الغني، مَن للضعيف إلا القوي، مَن للذليل إلا العزيز العلي، مَن للعبد إلا سيده، وأين يوجد إلا عنده.

[ثم] قال الوافد: حد لي الصلاة؟

قال العالم: الصلاة صلة بين العبد والرب، وستر للعيب، وكفارة للذنب، الصلاة صلة بلا مسافة، وطهارة كل خطيئة وآفة، الصلاة مواصلة ومصافاة، ومداناة ومناجاة.

المصلي يقرع باب الله ويطمع في ثوابه، وهو قائم على بساط الله عزَّ وجل.

إذا كبر العبد تكبيرة الإحرام، تساقط عنه الأوزار والآثام.

إذا توجه العبد إلى القبلة فقد أبدى من نفسه الخضوع والذلة، واتبع الشرع والملة.

إذا أخلص العبد في الصلاة بنيته، كفر الله عنه ذنبه وخطيئته، وأجزل له عطيته.

إذا أخلص العبد في القراءة والتلاوة، سطع في قلبه النور والحلاوة.

إذا قرأ الفاتحة، أدرك الصفقة الرابحة، وإذا أتبعها بالسورة، كثر في الآخرة سروره، وكفاه الله محذوره.

إذا انحنى للركوع، فقد أظهر لله الخضوع. إذا قام على الاعتدال، فقد نفى عنه الاشتغال. إذا هوى للسجود، فقد خرج من الجحود، واستحق من الله الجود. إذا تشهَّد على التمام، سلَّمت عليه الملائكة الكرام، وبشروه عند موته بدار السلام.

الصلاة شرح للصدور، وفَرَجٌ من جميع الأمور.

الصلاة نور في الفؤاد، وسرور يوم المعاد.

الصلاة للقلوب منهاج، وللأرواح معراج.

الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتؤمِن صاحبها من نكير ومنكر.

الصلاة تغني بعد الإفلاس، وتُلبس العبد الإيناس.

الصلاة قرة العين، وجلاء الرَّين، المصلي على بساط المولى، يناجي الملك الأعلى.

الصلاة ضياء في القبور، وبهاء يوم الحشر والنشور.

الصلاة يجوز صاحبها على الصراط، وتورث صاحبها في القلب النشاط.

الصلاة تنزع قساوة القلوب، وتكفر كبائر الذنوب.

الصلاة تسهل العسير، وتمحو الذنب الكبير.

الصلاة توسع الأرزاق، وتطيب الأخلاق.

الصلاة تقرب العبد إلى المولى، ويأمن البلوى.

من لزم المحراب قرع الباب، ومن قرع الباب أتاه الجواب. علامة صحة الإرادة، لزوم المساجد للعبادة.

الصلاة تخفف الأوزار، وتقرب المزار، وتؤمن من النار، أقرب ما يكون العبد من ربه إذا سجد.

لو علم المصلي مَن يناجي لما التفت من صلاته، من سهل في أوقات الصلاة فقد ضيع أشرف أوقاته، وقال في ذلك:

اخضع لربك في الصلاة ذليلاً ... واذكر وقوفك في الحساب طويلا

لو علمت بين يدي من تقوم، كنت تلازم بابه وتدوم.

عجباً ممن ينادي الملك القاهر! كيف يخطر في قلبه الخاطر، ليس للمرء من صلاته إلاَّ ما عقل، ولا تُرفع صلاته إذا غفل.

عفِّر وجهك بالتراب، فلعله يفتح لك الباب، أحضر للصلاة باطنك، كما أحضرت ظاهرك، طهّر باطنك كما تطهر ظاهرك، طهِّر قلبك كما تطهر ثيابك.

عجباً ممن يسأل الخلق! وباب مولاه مفتوح لكل سائل!

عجباً ممن يتذلل للعبيد! وله عند سيده ما يريد!

من أطال لله القيام، أزال عنه الأوزار والآثام.

من أخَّر الصلاة عن الأوقات، من غير علة من العلات، حرم الخيرات والصالحات.

مَن ترك الصلاة إلى الليل، حلَّ به الذل والويل.

من حافظ على الصلوات، تتابعت عليه الخيرات، ورُفعت عنه النقمات.

من لم تكن الصِّلات من ماله وغرمه، لم يُبَارَك له في رزقه وترك الله سهمه.

مَن أضاع صلاته لم تقبل حسناته.

من ضيّع صلاته كثرت عند الموت سكراته.

من غفل عن الصلاة والذكر، ضيق عليه القبر.

الصلاة عماد الدين، وتمامها صحة اليقين.

قال الوافد: ما لمن يقوم الليل؟ صف لي ثوابه؟

قال العالم: من قام الليل وسهر، نجاه الله من اليوم العسر. من خاف البيات، لم يغلبه السبات. من حذر من الحرام، شرد عنه المنام. من اغتنم الليالي والأيام لم يقطعها بالبطالة والمنام. من أطال الرقاد، فقد طمس النور من الفؤاد. من دام رقاده، عدم مراده. مَن أَلِفَ الوطء والمهاد، خرج إلى الآخرة بغير زاد. مَن تعوَّد الوسادة، لم يؤد حق العبادة. من خاف ضيق اللحد، لم ينم على الخد. من عصى مولاه، كانت الجحيم مأواه. من كسب الآثام قام إلى الصلاة من بين النيام.

من فزع من يوم القصاص، تضرع إلى ربه بإخلاص. من تحقق أن الرب اطلع في المعصية عليه، أسبل الدموع في الليل على خديه. من علم أن إلى ربه مرجعه، هجر في الليل نومه ومضجعه، من تحقق أن المصير إلى الله والرجوع، أكثر من السجود والركوع.

من تفكر في قبيح الرجوع، شرد عن عينيه الهجوع، وأسبل من مقلتيه الدموع. مَن علم أنه مأخوذ مطلوب، كان له في الليل تهجد وهبوب. من عرف عصيانه، داوَم أحزانه. من داوم أحزانه، لم تنطبق بالليل أجفانه. من غلب على قلبه الحزن نزع من عينيه الوسن.

من تحقق الإفلاس، شرد عنه النعاس. من علم أن الله يدعوه، لم يزل يخافه ويرجوه، إن الله يقول عزّ من قائل: ((هل من داع فأجيب؟ هل من مطيع فأثيب؟ هل من متقرب فأنا منه قريب؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من سائل فأُفضِل عليه، هل من متوكل فأسوق عطاي إليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من مستعين فأعينه؟ هل من مستجير فأجره)).

يا أهل الليل دام لكم الوصال، يا أهل الليل نلتم خير منال، يا أهل الليل أبشروا بالسرور والجمال، يا أهل الليل كفيتم جميع الأهوال، يا أهل الليل أمنتم الأفزاع والأشغال، يا أهل الليل تقر أعينكم عند انقضاء الآجال، يا أهل الليل عليكم بالتضرع والابتهال، فقد اطلع عليكم الكبير المتعال.

يا أهل القرآن تهجّدوا بذكر الرحمن، يا أهل القرآن معكم النذير والبيان.

من سهر في الليل وقام، وتجوَّع بالنهار وصام، كان مقامه في الآخرة خير مقام.

يا أهل الليل قد أغلقت الملوك عليها أبوابها، وطاف عليها حجابها، وطلبت صحبة أصحابها، وأرخى أهل المعاصي أستارها، وأنا الملك الجبار العزيز الغفار الستار، أطلب عبادي، وأزيد أهل ودادي، ومن يختار على مراده مرادي، أقول: يا عبادي.. أبشروا بودادي، وبالثواب في معادي.

قال الوافد: ما أجرأ العباد على المعاصي! لم يخافوا الأخذ بالنواصي! كم تغفل وتنام؟ وتظلم الأيتام؟ كأني بك وقد غافصك[1] الحِمام وأنت غافل في ألذ منام، يا من هو مقيم على القبائح والآثام، أما تخاف انقطاع الأيام؟! وحلول الحِمام؟! وشهادة الملائكة عليهم السلام؟!

قال العالم: في الليل يقرع باب الوهاب. في الليل خلوة الأحباب. في الليل تقبل توبة من تاب. في الليل يستغفر مَن بهت واغتاب، في الليل يُعمر القلب الخراب، في الليل يجيء الجواب لأهل الصلاة في المحراب.

يا أهل الأسحار لكم الأنوار. يا أهل الليل خففت عنكم الأوزار. يا أهل الليل أبشروا برضى الجبار، ومرافقة الأخيار الأبرار. يا أهل الأسحار أَقبِلوا على الاستغفار.

في صلاة الليل النجاة من الويل، في المناجاة نجاة، في الصلوات صِلات، أقبلوا فهو ذو الإجابة، هلموا فهو ذو الإنابة، اعملوا بالصواب يفتح لكم الباب، أطيعوا فهو يضاعف لكم الثواب.

سلوا الأمان يا أهل الإيمان، تضرعوا إلى الحبيب فهو إلى المتضرعين قريب، ارجعوا إليه يكن لكم من كل خير نصيب.

السّهَرَ السّهَرَ يا من هو على سفر، الإدلاجَ الإدلاجَ يا طالب المنهاج، البكورَ البكورَ يا من يريد السرور، الأسحارَ الأسحارَ يا من كثرت منه الأوزار، الضراعةَ الضراعةَ يا من كثرت منه الإضاعة.

قال الوافد: صف فضل الصيام، والإقلال من الطعام؟!

قال العالم: أكثر من الصيام تسلم من الآثام، أقل من الطعام تسبق إلى القيام. من شبع من الطعام غلبه المنام، ومن غلبه المنام قعد عن القيام. الشبعُ يظلم

---

(١) في القاموس: عافصه: فاجأه.

الروح، ويترك القلب مقروح. الجائع عفيف خفيف، والشابع عاكف على الكنيف، من لم يزل شابعاً لم يزل الشيطان له متابعاً. الشبع يكسب الوجع، ويذهب الورع، ويكثر الطمع.

الصوم جُنَّة من النار، ورضى للجبار، من أطاع ضرسه أضاع نفسه، الجوع في الفؤاد نور، وفي المعاد سرور. من استعمل القصد استغنى عن الفصد، ومن أشفق على نفسه لم يتبع شهوات ضرسه. من أطاع أسنانه هدم أركانه، من قنع شبع، ومن شبع طمع. كم من طاعة نبعت من مجاعة، وكم من قناعة أتت بخير بضاعة، لا مجاعة مع القناعة.

[ثم] قال الوافد: صف لي المتوكل الواثق بربه؟

قال العالم: عجباً لمن يثق بالمخلوق ولا يثق بالخالق، ومن يهتم بالرزق وقد ضمن له الرزق، ثق بكفاية الله واعتمد عليه، ورد أمورك وأحوالك كلها إليه، من لم يثق بضمان مولاه، وَكَله إلى خدمة دنياه، إن الله سبحانه يقول: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

ما أعجب أمورك! تأمن ما رُهِبْتَ، وتحزن لما كفيت، ولا تشكر على ما أعطيت.

إلى كم تأسى على المفقود؟! وقد ضمن الرزق الملكُ المعبودُ، إلى كم الحزن على القوت؟! وقد ضمن القوت الحي الذي لا يموت، الرزق مقسوم، وطالبه مغموم، كثير الهموم.

من جعل بالمولى اشتغاله، كفاه المولى في الدارين أشغاله، من وَكَل أموره إلى مولاه لم يكله إلى أحدٍ سواه، وأغناه وكفاه، وآواه وأعطاه، ومن اعتصم بالله وقاه، ومن استعاذ به أنجاه، ومن أمَّل إفضاله، لم يحرمه نواله، ومن توكل على الوهاب، لم يخضع لأبناء التراب، من عرف أن الله متكفل بالرزق، ساق إليه أسباب الرزق، من أقرّ أن الله هو المتفضل، لم يكن على غيره متوكل، من عرف أن الله هو الجواد، سخى بما في يده وجاد، من عرف أن الله هو المعطي، لم يعصه

أبداً ولا يخطي، من عرف أن الله هو الجواد، لم يطلب من غيره المراد، من تيقن أن الله خالق العباد ومالك البلاد، لم يعلق بغيره الفؤاد.

أتظن أن من غذّاك في الصغر! أينساك في الكبر؟! الذي رفع عنك المؤنة وأنت طفل، يأتيك برزقك وأنت كهل، الذي رزقك وأنت مغيَّب جنين، كيف لا يرزقك وأنت تضرع وتستكين؟! يرزق مَن جحده، فكيف يضيع مَن وحَّده؟! يرزق الدودة في الصخرة الصماء، والطير في الأوكار، والحيتان في البحار، والوحش في القفار، فكيف يضيعك مع الذكر في الليل والنهار، والتسبيح في العشي والإبكار، يرزق الجِنَّة والناس إلى منتهى الآجال وانقطاع الأنفاس.

عجباً ممن يرفع حوائجه إلى المخلوقين !! ولا يطلبها من عند رب العالمين، عجباً ممن يسأل حوائجه من ضعيف لا يسجد له أحد!! ولا يسألها ممن يسجد له كل أحد!! عجباً ممن يتذلل لمحتاج فقير!! ولا يتذلل للغني الكبير!! عجباً لمن يخضع ويتضعضع للعبد الفقير المحتاج الضرير!! ولا يخضع ويتضعضع للملك القدير!! الذي يعطي الكثير، ويكشف العسير، ويغني الفقير، وهو على كل شيء قدير.

من اتقاه جعل له من أمره مخرجاً، ومن دعاه جعل له منهجاً وفرجاً، أجملوا في الطلب، فما مِن حُكمه مهرب، من أجمل في الطلب، أتاه الرزق بلا تعب، إذا أحرزت رزق غد، فمن يأتيك بالحياة إلى غد.

لما رأيت الناس يسألون كل معجب، نزهت نفسي عنهم وجعلت حوائجي إلى الرب. قال الشاعر:

فلا تجزع وإن أعسرت يوماً ... فقد أيسرت في الدهر الطويل

ولا تيأس فإن اليأس كفر ... لعل الله يغني عن قليل

ولا تظنن بربك ظن سوء ... فإن الله أولى بالجميل

وقال غيره:

لقد علمت وما الإسراف من خُلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى إليه فيعنيني تطلبه ولو جلست أتاني لا يعنّيني

لا خير في طمع يدلي إلى طبع وعفة من قليل العيش تكفيني

[ثم] قال الوافد: صف لي المتقي العارف؟

قال العالم: إن من صفات المتقي العارف، أن يكون غذاؤه ذكر الله، ورأس ماله اليقين بالله، ومطيته الهيبة من الله، ولباسه تقوى، وتحريكه التفويض لأمر الله، وعزمه التسليم إلى الله، وخوفه التعظيم لله، وهو محبوس في سجن الرهبة، مقيّد بالحياء، متنعّم بالمناجاة، قد أمرضه الشوق، وأشغفه الحب، فهو مستأنس بطبيبه، مُمَكَّن بحبيبه، وله ورع لا يشوبه طمع، ويقين لا يشوبه طلب، وانتباه لا يشوبه غفلة، وذكر لا يشوبه نسيان، وعزم لا يشوبه تواني، وتعب لا يشوبه عجز، وعلم لا يشوبه جهل، ورجاءٌ لا يشوبه غِرَّة، ودعاء لا يشوبه فترة، وتفكر لا يشوبه تَوَهُّم، وتوحيد لا يشوبه تشبيه، وتصديق لا يشوبه تكذيب، وتعديل لا يشوبه تجوير. فهذه صفة المتقي العارف.

فعليك بهذه الطريقة فالزمها، وأقبل عليها بقولك وفعلك، وحركتك وسكونك، وسمعك وبصرك، وظاهرك وباطنك، ونظرك وتمييزك، فإن الخير والبركة بحذافيرها لمن سلك هذه الطريقة.

واعلم أنك إذا صدقَت عليها نيتك، وعلم الله منك المجهود في ذلك، نظّرك عليها وظفَّرك بها، فمن صبر على هذه الصفة أربعين يوماً لا يشوب عمله بالكدرة والتخاليط والآفات، اتقد في قلبه مصباح النور، وانفتح له عينا قلبه، فيبصر بنورهما إلى جميع الدنيا والآخرة، فيعرف عند ذلك مصائب الدنيا، ومصائب الآخرة، فيصبر على مصائب الدنيا، ويخاف من مصائب الآخرة، لأن

مصائب الدنيا نِعمٌ، ومصائب الآخرة نِقمٌ، فإذا ميز بينهما واعتبر، أقبل على خيرهما عاقبة، وعمل لآخرته بطيبة من نفسه، وانتبه واطمأن، وعرف أن الآخرة خير من الدنيا، وتحصَّن بذكر الله في دنياه، وعمل لعقباه، فطوبى له وحسن مآب.

قال الوافد: فما يجب عليه بعد ذلك؟

قال العالم: يجب عليه أن يدعو عباد الله إلى الله، ويعرِّفهم أنهم قد هربوا من ربهم، فيرغبهم ويردهم إلى مولاهم من بعد هربهم منه، ويحبب إليهم خالقهم، ويعلمهم شرائع دينه، ويعرفهم آلاء الله ومنَّه ونعماه، ويلقّنهم الشكر، ويرغبهم بالذكر في طاعته، ويحذرهم من معصيته، ويريهم تقصيرهم، ويخوفهم هجوم الموت عليهم، ويعلمهم التوبة، ويدلّهم على الله، ويعلمهم التوحيد حتى يوحّدوا الله ويصدقوه ويعدلوه، وينشر العلم فنشره غنيمة، وذلك فعل الأنبياء والصالحين، ولو سكت هلك العالم والمتعلم جميعاً، ومثل العالِم والمتعلم مثل نور الشمس ونور العينين.

افهم لو أن رجلاً بصير العينين بقي في بيت مظلم فسُدَّ بابه، وهو لا يهتدي إلى شيء فيه مخرجه، أليس يكون فيه محتاراً لا ينتفع ببصر عينيه ما دام البيت مظلماً، حتى إذا فُتح عليه الباب، وخرج ورأى ضوء الشمس، كذلك المتعلم يكون في بيت الجهل موثقاً عليه بأنه لا يهتدي إلى الخروج حتى يفتح عليه العالم العارف؛ لأن المتعلم يستضيء بنور العالم، ويهتدي إلى منار طرقه، ويخرج من ظلمة الجهل إلى نور العلم، فعند ذلك يكون علمه خالصاً صافياً من الآفات، فإنما مثل الجاهل مثل مكفوف البصر لا ينتفع أبداً بضوء النهار، فالليل والنهار في الظلمة عليه سواء. كذلك الجاهل لا يعرف ما هو فيه من ظلمة الجهل وعمى القلب، ولا يميز بين الحق والباطل، والجهل دآء وشَين، لا يداويه غير العلم.

والعلم شفاء وزين، لا يدخل معه دآء ولا شين، وليس العلم علم اللسان، المعلق على ظاهر الإنسان، الخالي عن القلب، إنما هذا مثله مثل شبكة الصياد

التي ينثر عليها الحب للطير، وليس يريد بذلك مرافقة الطير ولا منفعتها، لكنه يريد أن يصطادها بذلك الحب المنثور على الشبكة.

كذلك عالم السوء لا يريد بعلمه رضى الله، ولكنه يريد رضى نفسه ومنفعتها، وقد جعل هذا علمه شبكة يصطاد بها حطام الدنيا. وإنما العلم المنجي علم القلوب المنيرة الصافية الخائفة القانعة باليسير، السليمة من الآفات والتخاليط، وليس العالم من قد أسكره حب الدنيا، وإنما العالم الذي يعمل للآخرة الباقية، فهو منتظر للنزول والانتقال، مشغول يخاف أن يفاجئه الموت بحال من الأحوال، فقلبه محزون، وشره مأمون، يجول بقلبه في الجنة أحياناً، وفي النار أحياناً، يخاف أن يكون من أصحاب النار، ولا يكون من أصحاب الجنة، فليس له همة غير تفتيش الآفات، وكثرة الذكر في كل حركة وسكون.

[ثم] قال الوافد: صف لي الحياة الطيبة؟

قال العالم: أقول لك: إن الحياة الطيبة لا تدركها إلا بخمسة أشياء:

- أول ذلك: العقل.
- ثم المعرفة.
- ثم اليقين.
- ثم العلم.
- ثم الغنى بما عند الله، فهذه الحياة الطيبة.

فإذا أردت أن تنالها فعليك بمنازعة النفس ومعاداتها، ومخالفة الهوى، فإن لك في ذلك كفاية، فإذا أردت أن تكون من أهل الصدق في الحياة الطيبة فإنك تنفي العادة الخبيثة، وألبس نفسك الصبر والخلق الحسن، وأزل عن قلبك الذكر الرديء، ولا تشغل قلبك بغير ذكر الله وطاعته، وأمت حرارة الشهوة من نفسك، وليكن الموت عندك أحب إليك من الحياة، فإن الصالحين من قبلك تناسوا قلوبهم بالحزن الطويل، والجهد الثقيل، يريدون بذلك رضى ربهم،

والتقرب إليه، فإن أحببت أن تسلك طريقهم، وتقفو آثارهم، فحول نفسك عن الدنيا وزهرتها، وأدِّب نفسك بالجوع، وأذلها بالفقر، وموّتها بقرب الأجل، وأبصر بعينيك إلى عرصة القيامة، حتى كأنك تحاسب فيها، فحاسب نفسك قبل ورودك إليها، واقطع نيتك عن كل شغل يشغلك عن الله، وتأدب بآداب الصالحين الذين من قبلك، رموا بقلوبهم نحو خالقهم، وكلما تحولت قلوبهم إلى غيره، حملوا عليها بالزجر، ورجعوا إلى مقامهم، وقصدوا بأبدانهم نحو قلوبهم جهداً منهم، وأيأسوا أنفسهم عن الدنيا وراحتها، وعوَّدوا قلوبهم الجهد وكدُّوها في طاعة خالقهم، فعندما عرف الله منهم الصدق والثبات أثابهم بالفرح والسرور من عنده، وصرف عنهم العادة الردية.

فإذا أردت أن تكون مثلهم فغمض عينيك عن الدنيا، وأختم أذنيك عن أقاويل أهلها، واصرف قلبك عن زهرات بهجتها، وانقطع إلى ربك، وأعمر قلبك بذكره، واستعمل لسانك في شكره، واجعل قلبك مملوءاً من محبته، وتلذذ بطاعته، فإنه يغنيك عن الخلق كلهم، ويهوّن عليك الصعوبة، ويخفّف عليك المؤنة، وتصير حراً عن عبودية الدنيا إذا وصلت حبلك بحبل خالقك، وتسلم من الأشغال، وتصبح منير القلب كثير الذكر، لذيذ المناجاة، حريصاً على الطاعات، قليل الزلل والخطأ، قليل الغفلة، حسن الفعال، صافي الذكر، قليل الكلام والفضول، واسع الصدر، خلوتك مع الله لا تزول، وأنسك بالله لا تستوحش إن كنت في القفرة، ويكثر يقينك في قلبك، فبدنك مطيع، ولسانك ذاكر، وكلامك حق، وعملك زين، وسعيك مشكور، وكل شيء منك نور، وكل حركة وسكون منك محمود، قد أعد الله لك النعيم في جنات النعيم.

[ثم] قال الوافد: كيف يكون المريد للعبادة؟

قال: يكون قلبه يجول في الملكوت الأعلى، ثم يمنع نفسه من الرجوع إلى عادتها وشهواتها، فإن لم يكن كذلك فهو مغرور فيما هو فيه، وغير مستحق لما

يدعىٰ عنه، ومحال أن يطير الطائر في الهوىٰ، وهو مربوط بحجر ثقيل، كذلك القلب محال أن يصعد في الملكوت الأعلىٰ وهو مربوط بالآفات، محفوف بالرغبة في الدنيا، مشغول بالتزين والتنقل في الشهوات، والغفلة عن الطاعات، وقلة الخوف لما هو آت.

واعلم أن مقام الأولياء، لا يقوم به إلا من عَمِل أعمال الصادقين، وهي: الاجتهاد في الطاعات، والانتهاء عن الشبهات، والترك للشهوات، والتوكل والتفويض، والزهد والتسليم، والاعتبار والتفكر، والورع والذكر، والخوف والخلوة، والقرب والمعرفة، والحب والإخلاص واليقين، والصدق والخشية والرجاء، وجميع ذلك لا يكون إلا من القلب الصليب الصافي الرقيق، التارك لحطام الدنيا وعنائها، فإن الله تعالىٰ يُقبل علىٰ عبده بالجود والعطاء، ما دام العبدُ مُقْبِلاً علىٰ صفاء عمله، لا يولي إلىٰ غيره.

فإذا خيَّلتْ لك نفسك أنك من الصالحين، فحقق ذلك بخمسة أشياء، واختبر بها نفسك، وهي:

- الأخذ والعطاء.
- والفقر والغناء.
- والعز والذل.
- والمدح والذم.
- والموت والحياة.

فإذا وجدت قلبك يميل إلىٰ واحدة منهن دون الأخرىٰ، فاعلم أن الذي أنت تزعم باطل، هذا من تخيل النفس، وأنت مغتر فيما تدعي، لم تنل شيئاً مما ناله البررة والصادقون.

واعلم أن لكل شيء حقيقةً، ولكل صدق علامة، فحقيقة المعرفة معرفة النفس، فمن عرف نفسه فقد عرف ربه، وحقيقة الصدق الانقطاع إلىٰ الله

ورفض الدنيا، فمن عرف الرب عَبَدَه، ومن عرف الدنيا زهد فيها، فمن عرف الله أحبه، ومن أحبه لم يعصه، وعمل بما يرضيه، وإن نعيم المحب ساعةً واحدة أكثر وأحلى وأطيب وأعلا من نعيم أهل الدنيا بنعيمهم، من يوم خلقهم الله تعالى إلى آخر ما يفنيهم، وإن رفيع الدرجات ذو العرش إله الدنيا والآخرة حبيبهم، به يستأنسون، وعلى بساط قربه يتقلبون، وفي جزيل كرمه يتنعمون، وبذكره يتلذذون، وبالوصول إليه يفتخرون، قد وعدهم من جزيل عطائه، وسعة رحمته، ومكنون فضله، ما يعجز عنه الوصف، ورضي عنهم وأرضاهم واصطفاهم، أولئك الذين لا يشقى جليسهم، ولا تُرد دعوتهم، يدورون مع الحق حيثما دار، والأرض بهم رحيمة، والجبار عليهم راضٍ، جعلهم الله بركة أرضه، ورحمة على عباده، فطوبى لهم وحسن مآب.

قال الوافد: صف لي الصادق المجتهد؟

قال العالم: هو الذي لا يعجز عن الاجتهاد فيما يقربه إلى الله، في تحريكه وسكونه، وكلامه وقيامه وقعوده، ثم يجعل اجتهاده من جميع جوارحه بصدق تكلفه، ثم يجعل تحريك لسانه، واستماع أذنيه، وبطش يديه، ومشي رجليه، وأخذه وعطاه، ونومه ويقظته، وجميع ما يكون منه في ليله ونهاره، يصدق بعضه بعضاً.

ثم يجعل طعامه وشرابه، ولباسه، وجوعه وعطشه، وقيامه وقعوده، وشبعه وريّه، يوافق بعضه بعضاً، ويجعل جميع ذلك صدقاً منه، وقصداً إلى ما يوافق إرادته، وليكن ذلك من خالص قلبه. فإن فعل ذلك كان صادقاً في إرادته من عبادته، فإن الصادق المحب المستمر في الطاعة، ينبذ الدنيا وراء ظهره، ويظمأ نهاره، ويسهر ليله، ويترك شهواته، ويخالف هواه، ويقصر أمله، ويقرب أجله، ويخلص عمله من الآفات والتخاليط، ويرتعد بدنه من خوف الله.

قد عزف الدنيا عنه لـمّا عرف مكرها وخاف مضرتها، لم ينظر إليها بقلبه، ولم يمش إليها بقدمه، ولم يبطش فيها بيده، حذراً من الدنيا وحذراً من شرورها

وفتنتها، فهو هارب بنفسه حذراً من أهلها، فقلبه غير غافل عن الله، مداوم على الذكر، وقد عزل عن نفسه كل شغل شغله عن الله عزّ وجل، وأقبل على قلبه فعمره بذكر ربه، وجعل ذلك صافياً خالصاً لله تعالى، فهو خائف وَجِل مرعوب، هارب من الدنيا وأهلها، محافظ على عمله، قائم على نيته، فبذلك يهتدي الضآل، ويسلك الطريق، ويستجيب الله دعاءه، ويملكه من قصور الجنة، ويزوجه من حور العين، ويخدمه الولدان، فطوبى له وحسن مآب.

فسلام الله على من أنشأ هذا الكلام، وطيب ثراه، وجزاه الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.



قائمة المراجع

١- القرآن الكريم.
٢- الأحكام في الحلال والحرام، الإمام أمير المؤمنين الهادي إلى الحق المبين، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، مكتبة التراث الإسلامي.
٣- الإرشاد إلى نجاة العباد، للعلامة القاضي عبد الله بن زيد العنسي، مكتبة التراث الإسلامي.
٤- الاعتبار وسلوة العارفين، الإمام الموفق بالله الحسين بن إسماعيل الجرجاني عليه السلام، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية.
٥- الاعتصام بحبل الله المتين، الإمام القاسم بن محمد، مكتبة اليمن الكبرى.
٦- إعجاز القرآن، الدكتور داود العطّار، دار الأعراف للدراسات والنشر.
٧- التحف شرح الزلف، شيخ الإسلام وإمام أهل البيت الكرام، أبي الحسنين، مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي، مكتبة بدر للطباعة والنشر والتوزيع.
٨- تصفية القلوب من درن الأوزار والذنوب، الإمام الزاهد يحيى بن حمزة عليه السلام، دار الحكمة اليمانية.
٩- تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيين، العلامة المحسن بن كرامة البيهقي الجشمي، منشورات مركز أهل البيت.
١٠- تيسير المطالب في أمالي السيد أبي طالب، للإمام الناطق بالحق أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية.
١١- الحقوق المنسية، للعلامة عبد الله بن حمود العزي، الطبعة الأولى- مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية.
١٢- الدليل إلى الخوف والخشية من الجليل، للعلامة عبد الله بن حمود العزي، الطبعة الأولى — مكتبة التراث الإسلامي.
١٣- رضاء الرحمن في الذكر والدعاء وتلاوة القرآن، للعلامة علي بن محمد العجري، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية.

١٤- سنريهم آياتنا، الأستاذ عدنان السَّبيعي، دار القلم/ الدار الشامية.

١٥- شرح الرسالة الناصحة بالأدلة الواضحة، الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام، منشورات مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية.

١٦- شرح الغاية، للإمام الحسين بن القاسم بن محمد عليه السلام، المكتبة الإسلامية.

١٧- شرح نهج البلاغة، للعلامة عز الدين بن هبة الله بن محمد بن أبي الحديد، دار الفكر.

١٨- شمس الأخبار، علي بن حميد القرشي، منشورات مكتبة اليمن الكبرى.

١٩- الصحاح، اسماعيل بن حماد الجوهري.

٢٠- الصحيفة السجادية، الإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية.

٢١- الصحيفة العلوية المباركة، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية.

٢٢- طرائف المشتاقين في قصص الأولياء والصالحين، السيد العلامة قاسم بن أحمد المهدي.

٢٣- القاموس المحيط، للعلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي.

٢٤- الأخلاق الفاضلة، محمد بدر الدين الحوثي.

٢٥- كتاب الذكر، العلامة المحدِّث محمد بن منصور المرادي، مكتبة بدر للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٦- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار الفكر.

٢٧- لوامع الأنوار في جوامع العلوم والآثار، وتراجم أولي العلم والأنظار، شيخ الإسلام وإمام أهل البيت الكرام، أبي الحسنين، مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي، منشورات مركز أهل البيت للدرسات الإسلامية.

٢٨- مجموع السيد حميدان، الإمام حميدان بن يحيى القاسمي، منشورات مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية.
٢٩- مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن ابراهيم الرسي، للإمام نجم آل محمد وترجمان الدين، القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، دار الحكمة اليمانية.
٣٠- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.
٣١- المختار من صحيح الأحاديث والآثار، للعلامة محمد بن يحيى الحوثي، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية.
٣٢- مسند الإمام زيد بن علي عليهما السلام، دار مكتبة الحياة.
٣٣- المصابيح الساطعة الأنوار، تفسير أهل البيت عليهم السلام، الأجزاء (١-٤) العلامة عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الشرفي، مكتبة التراث الإسلامي.
٣٤- مفتاح السعادة الجامع للمهم من مسائل الإعتقاد والمعاملات والعبادة، المستنبط من الآيات القرآنية، المؤيد بالبراهين العقلية والنبوية والعلوية والإجماعات المروية عن العترة الزكية والأمة المحمدية والأقيسة الجلية، العلامة المجتهد سيد بني الحسن علي بن محمد العجري، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية.
٣٥- نهج البلاغة، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، دار الكتاب اللبناني.
٣٦- الوافد على العالم، الإمام نجم آل الرسول القاسم بن إبراهيم عليه السلام، منشورات مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية.

تم بحمد الله وتوفيقه وهدايته وتسديده

وصلى الله على سيدنا محمد الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين



الفهرس


السكينة والوقار الزيدية
www.zidyah.blogspot.com